

الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله ﷻ

الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله ﷻ واجب ، والسالم من الكتب السالفة من التحريف-إن كان- مع القرآن يصدق بعضها بعضًا .

قال الله ﷻ : ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة : ١٣٦].

وقال ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا** ﴾ [النساء : ١٣٦] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ** ﴾ [الشورى : ١٥] .

وهذه الكتب كلها مشتملة على أوامر الله ﷻ ، وقد أمر أصحابها أن يأخذوا بما فيها ويعملوا به – وذلك قبل نزول رسالة محمد ﷺ ونسخها للشرائع السابقة

قال ﷻ : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ.وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ**

فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ . وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤ – ٤٨] .

وهذه الكتب كلها تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له – وإن اختلفت في تشريعاتها العملية –

قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

وقال ﷻ : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] .

وهذا الكتاب القرآن الكريم أو هذه الشريعة هو المهيمن على الكتب السابقة

قال ﷻ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة : ٤٨] أي مصدقًا بهذه الكتب وأمينًا عليها .

وقال ﷻ : ﴿ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران : ٥٠] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وقد ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ ، فَقَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ ، فَقَالَ : «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلا أَنْ يَتَّبِعَنِي**» وفي إسناده كلام[1] .

ويغني عن هذا ما أخرجه مسلم (٣٧) عَنْ أَبِي السَّوَّارِ أَنَّهُ سَمِعَ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «**الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِى إِلاَّ بِخَيْرٍ**» ، فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ : إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِى الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا وَمِنْهُ سَكِينَةً .

فَقَالَ عِمْرَانُ : أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتُحَدِّثُنِى عَنْ صُحُفِكَ؟» .

وأفضل من هذا كله وأوضح ما أخرجه البخاري (٢٦٨٥) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أُنْزِلَ

---

(١) ففي إسناده علة بينتها في كتابي «الفوائد النيرة» برقم (١٥٨٩) ، فطرقه كلها متكلَّم فيها ، وقول الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٦٣٧) : «مجموعها يقتضي أن لها أصلاً» بعيد ، ثم إنه ليس تصحيحًا كما بينته هناك .

عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَحْدَثُ الأَخْبَارِ بِاللَّهِ[1] تَقْرَءُونَهُ لَمْ يُشَبْ وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمْ الْكِتَابَ ، فَقَالُوا : هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿ **لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا** ﴾ أَفَلا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنْ الْعِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ؟ وَلا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلاً قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنْ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ» .

والواجب على جميع الأمة التزامه نحو القرآن الكريم وإرشاد نبينا ﷺ الإتباع ظاهرًا وباطنًا والتمسُّك به والقيام بحقه

قال ﷻ : ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾

---

(١) وقد وقع في «فتح الباري» (٥/ ٣٥٧) في تفسير أحدث الأخبار نزولاً :

أي أقربها نزولاً إليكم من عند الله ﷻ ، فالحديث بالنسبة إلى المنزول إليهم وهو في نفسه قديم».

قلت : وهذه العبارة «هو في نفسه قديم» تحتاج إلى تفصيل بينه الشيخ عبد الله الدويش – طيب الله ثراه – فقال معقبًا عليها : هذا يحتاج إلى تفصيل : إن أراد به أن الله علمه وكتبه في اللوح المحفوظ ، وإذا نزل جبريل بشيء منه سمعه من الله ونزل به منه : فهذا حقّ : كما قال تعالى : ﴿مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأنعام : ١١٤] ، وإن أراد أنه قديم بمعنى أن جبريل يأخذه من اللوح المحفوظ ولا يسمعه من الله فهذا باطل» أ . هـ .

وقد بين بطلانه شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٥٢٠) فقال : «وَلَوْ كَانَ جِبْرِيلُ أَخَذَ الْقُرْآنَ مِنْ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لَكَانَ الْيَهُودُ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ؛ لأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ لِمُوسَى التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ وَأَنْزَلَهَا مَكْتُوبَةً ، فَيَكُونُ بَنُو إسْرَائِيلَ قَدْ قَرَءُوا الأَلْوَاحَ الَّتِي كَتَبَهَا اللَّهُ ، وَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَأَخَذُوهُ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمُحَمَّدٌ أَخَذَهُ عَنْ جِبْرِيلَ ، وَجِبْرِيلُ عَنْ اللَّوْحِ فَيَكُونُ بَنُو إسْرَائِيلَ بِمَنْزِلَةِ جِبْرِيلَ ، وَتَكُونُ مَنْزِلَةُ بَنِي إسْرَائِيلَ أَرْفَعَ مِنْ مَنْزِلَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى قَوْلِ هَؤُلاءِ الْجَهْمِيَّة ...» إلى آخر تفنيده رحمه الله لهذا القول الفاسد ومخالفته لحشد من آيات القرآن .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ [الأعراف : ٣] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٠] .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : «خُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»[(١)] .

ولا يترك القرآن للأعاجم والكفار ، ولا يسافر به إليهم إذا كان يخشى عليهم انتهاكه

لقوله صلى الله عليه وسلم : «لاَ تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ فَإِنِّي لاَ آمَنُ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ»[(٢)] .

والنسخ ثابت في القرآن – بعض الآيات نسخت ببعض – [(٣)]

قال سبحانه وتعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ١٠١] .

وهذا الكتاب – القرآن الكريم محفوظ من قِبَل الله سبحانه وتعالى بتفسيره وقراءته ،

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٤٠٨) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٦٩) .

(٣) وهناك نَسخٌ في الحكم لكن الكتابة لم تُنسخ ، وهناك نَسْخ للكتابة دون الحكم ، وعلى ذلك أمثلة ليس موطنها هنا .

بل وأحكامه ، ولا يزال عصابة يقاتلون على حفظه حتى يقاتل آخرهم الدجال

قال ﷻ : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر : ٩] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [النحل : ٤٤] .

وهذه الآية تدل على أن الله قد تعهد بحفظ بيان القرآن هو والسنة المبينة لتفسيره ، فإنه لا منفعة من حفظ حروفه إذا ضُيِّعت أحكامه .

واعلم أن الكتب المحرَّفة(الإنجيل والتوراة) فيها أشياء لم تحرَّف كآية الرجم التي أظهرها عبد الله بن سلام لما أتى اليهودي بالتوراة فأخفاها، وكبعض الدعوات لمحاسن الأخلاق والزهد، وأخبار الأنبياء السابقين، ولذا لما سمع ورقة ابن نوفل وصف من أتاه وما أتاه في الغار قال ورقة:« هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا » (١)

فثَمَّ أشياء لم تحرَّف، وأشياء حرِّفت وبدِّلت وغيِّرت وأخفيت، ولله الحمد على حفظ دين القرآن، وكوننا على دين الإسلام من كل ذلك.

فلا يغتر مغتر ببعض ما يوجد في الإنجيل أو التوراة من بعض المحاسن، والله المستعان.

---

(١) كما في الصحيحين وغيرهما.

مسألة خلق القرآن وأنه كلام الله ﷻ

قالت المعتزلة : القرآن مخلوق .

وقالت الكلابية : قديم قائم بذات الرب ليس بحروف ولا أصوات ، والموجود بين الناس عبارة عنه لا عينه .

وقالت السالمية : أنه حروف وأصوات قديمة الأعين ، وهو عين هذه الحروف المكتوبة والأصوات المسموعة .

وقالت الكرامية : إنه محدث لا مخلوق .

وقول أهل السنة : إنه كلام الله غير مخلوق لم يزل يتكلم إذا شاء، وقد نص على ذلك أحمد في كتابه «الرد علي الجهمية» ...

كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ** ﴾ [التوبة : ٦] .

وكما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ** ﴾ [الفتح : ١٥] .

قال الحافظ رحمه الله :

«وَمِنْ شِدَّة اللَّبْس فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَة كَثُرَ نَهْي السَّلَف عَنْ الْخَوْض فِيهَا وَاكْتَفَوْا بِاعْتِقَادِ أَنَّ الْقُرْآن كَلامُ اللَّه غَيْر مَخْلُوق ، وَلَمْ يَزِيدُوا عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا وَهُوَ أَسْلَمُ الأَقْوَال وَاَللَّهُ الْمُسْتَعَان»[١] .

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٥٩٨) .

ومن استدل على خلق القرآن بقوله ﷻ : ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾ [الزخرف : ٣]

وقال إن المجعُول هو المخلوق ، فقوله مناقَض بقوله ﷻ: ﴿ **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ** ﴾ [الفيل : ٥] هل معنى فجعلهم أي فخلقهم ؟ »

* وقوله ﷻ : ﴿ **وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً** ﴾ [الفرقان : ٣٧] ، هل المعنى «**جَعَلْنَاهُمْ**» أي خلقناهم ؟» ، هل خلقهم بعد أن أغرقهم ؟»

* وقوله ﷻ : ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ** ﴾ [الأنعام : ١٠٠] .

هل معنى « **جَعَلُوا**» أي خلقوا ؟» هل يعنى هذا أنهم خلقوا الجن ؟

* قوله ﷻ : ﴿ **الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ** ﴾ [الحجر : ٩١] أي آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، ففَرَّقوه وفرقوا فيه القول ، فقالوا : شعر وسحر وكهانة .

هل جعلوا بمعنى خلقوا ؟»

أفهم خلقوا القرآن ؟»

* وقوله ﷻ : ﴿ **وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا** ﴾ [النحل : ٩١] .

هل معنى جعلتم أي خلقتم ؟

فهل خلقوا الله ﷻ ؟

* وقوله ﷻ : ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا** ﴾ [النور : ٦٣] .

هل «تجعلوا» بمعنى : تخلقوا ؟

فهل خلقوا دعاء الرسول ﷺ ؟»

والحاصل :

أن الجعل لفظ عام في الأفعال كلها ن ويتصرف على أوجه :

الأول : **بمعنى صار** نحو : جعل زيد يقول.أي صار زيد يقول.

الثاني : **أوجد** : ومنه قوله ﷻ : ﴿ **وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ** ﴾ [الأنعام : ١] .أي وأوجد الظلمات والنور.

الثالث : **إخراج شيء من شيء** : ومنه قوله ﷻ : ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ** ﴾ [النحل : ٧٢] .أي وأخرجنا لكم من أزواجكم

الرابع : **تصيير شيء على حالة مخصوصة** : ومنه قوله ﷻ : ﴿ **جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا** ﴾ [البقرة : ٢٢] . **أي صيَّرنا لكم الأرض فراشاً.**

الخامس: الحكم بالشيء على الشيء ومنه حق ومنه باطل

فمثال الحق : قوله ﷻ : ﴿ **إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [القصص : ٧] .**أي حكمنا بأنه من المرسلين.**

ومثال ما كان منه باطلاً : قوله ﷻ : ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا** ﴾ [الأنعام : ١٣٦] .

ولو كان القرآن مخلوقًا ما فرق الشارع بين التلاوة – فجعلها من فعل العبد وكسبه – ، والمتلو الذي هو القرآن الكريم ، فجعل التلاوة مخلوقة ، والقرآن منزل غير مخلوق(١)

ولذلك اختلفت تلاوة المؤمن والمنافق بذكر ألفاظ القرآن ، فأُجرَ الأول دون الثاني ، فلا يتجاوز حنجرته لفساد عقيدته ، ولو كان المتلو هو عين التلاوة لم يقع فيه تخالف .

ففي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا : «**يَخْرُجُ نَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، ثُمَّ لاَ يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ ... الحديث**»(٢) .

وكما في حديث أَبِى مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالأُتْرُجَّةِ ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَالَّذِي لاَ يَقْرَأُ كَالتَّمْرَةِ ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ ، طَعْمُهَا مُرٌّ وَلاَ رِيحَ لَهَا**»(٣) .

---

(١) ولهذا أشار البخاري في كثير من أحاديث كتاب التوحيد إلى الأدلة التي تفرق بين التلاوة والمتلو ، وما ذكرناه هو على سبيل المثال .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٥٦٢) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري برقم (٧٥٦٠) وبوب له بباب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم .

وكذلك الكاهن في تلفظه بالكلمة من الوحي التي يخبره بها الجني مما يختطفه من الملك وتلفظ الجني مغاير لتلفظ الملك فتفاوتا

ولو كان المتلوعين التلاوة لم تخالف وذلك

في حديث عائشة رضي الله عنها [(١)]: «سَأَلَ أُنَاسٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ ، فَقَالَ : «**إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ**»، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيُقَرْقِرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ ، فَيَخْلِطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ**».

أما الكتب الأخرى [(٢)]؛ فلم يتعهد ربنا سبحانه بحفظها فأصابها التحريف وكَّل الله ﷻ حفظها للبشر فلم يحفظوها ، فتكفل بحفظ كتابه القرآن الكريم ؛ لأنه لن يرسل رسولاً بعد ذلك .

فاليهود حُرِّف كتابهم ، فلم يحفظوه بل هم الذين حرَّفوه تحريفًا فاضحًا وبدَّلوا وغيروا وقد أمرهم الله سبحانه وتعالى بحفظها .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** ﴾ [النساء : ٤٦] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ [المائدة : ٤٤] .

---

(١) الذي أخرجه البخاري برقم (٧٥٦١) .

(٢) ومن ثمرات الإيمان بالكتب السماوية : معرفة رعاية الله ﷻ ورحمته بخلقه حيث أرسل إليهم وأنزل إليهم ما يناسبهم في التشريع ، وهذا يجرهم إلى شكر المنعم سبحانه وتعالى .

وقال سبحانه وتعالى عن النصارى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٤ ، ١٥] .

فما أقاموا التوراة والإنجيل كما أمرهم ربهم

قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [المائدة : ٦٨] .

وأنزل الله عز وجل صحفاً على إبراهيم وموسى عليهما السلام تدعو إلى التوحيد

قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾

واعلم أن التحريف الذي وقع للكتب السالفة (الإنجيل والتوراة والزبور والصحف) إنما كان تحريف للكتاب المكتوب وتحريف باللسان وتحريف للمعاني[1]

---

(١) وسرُّ التحدي في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] – والله أعلم – : أن كلام الله عز وجل يركب تركيبًا في فقراته تختلف عن تراكيب فقرات كلام البشر ، فكلام البشر يدخله الخلل أو الإعادة أو التكرير أو الركاكة أو الاختلاف في موطن عن موطن ، وأما كلام الله فليس كذلك ، إذ لا يشبه كلامه الكلام .

فإذا تأمل المتأمل وجوه الاختلاف في كلام الناس يجده كما هو واضح في «الإنجيل» و«التوراة» التي هي بأيدي اليهود والنصارى الآن ، فإنه بأقل نظرة يجد المتأمل الاختلاف والخلل واضح .

=

قال ﷻ عن الأول: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة : ٧٩] .

وقال ﷻ عن الثاني «تحريفهم باللسان للكتاب»: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

وقال ﷻ عن الثالث «تحريفٌ للمعاني»: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ [المائدة : ٤١] .

ولا ينبغي أن نسأل أهل الكتاب عن شيء من أصل الديانة، فلن يهدوا المسلمين وهم ضلال ومغضوب عليهم

ولو كان موسى ﷺ حيًا ما وسعه إلا اتباع رسول الله ﷺ كما جاء في الخبر ، **فقد أخذ الله ميثاق النبيين ليؤمنن برسول الله ﷺ ولينصرنه وأقروا**

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا ﴾ [آل عمران : ٨١] .

وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه الحبر ترجمان القرآن : «كَيْفَ تَسْأَلُونَ

=

أما القرآن الكريم ؛ فلأن الله ﷻ تولى حفظه ، فلا يمكن أن تجد فيه شيئًا من هذا ، فلو حُرِّف لفظ أو أخطأ في قراءته قارىء لنادى عليه آلاف الصبيان أن أخطأت ، ولله الحمد والمنة أن جعلنا مسلمين .

أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ كُتُبِهِمْ وَعِنْدَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ أَقْرَبُ الْكُتُبِ عَهْدًا بِاللَّهِ ، تَقْرَءُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ وَقَدْ حَدَّثَكُمُ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ بَدَّلُوا مِنْ كُتُبِ اللَّهِ وَغَيَّرُوا فَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ ، قَالُوا : هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِذَلِكَ ثَمَنًا قَلِيلاً ، أَوَ لاَ يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ ، فَلاَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلاً مِنْهُمْ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ»[١] .

وقال كعب الأحبار [٢]: «عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ أَحْدَث الْكُتُب عَهْدًا بِالرَّحْمَنِ».

وكفي بقوم حمقًا أو ضلالة أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم ﷺ إلى كلام غيره من الضُلاَّل ، والله ﷻ يقول : ﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ** ﴾ [العنكبوت : ٥١] .

وكيف يسأل المسلم قومًا قد تسببوا في إضلال أنفسهم؟»

فكيف يهدوا المسلم؟»

وقد أخرج عبد الرزاق[٣] وغيره بسندٍ صحيح عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ، وَقَدْ ضَلُّوا، فَتُكَذِّبُوا بِحَقٍّ، وَتُصَدِّقُوا الْبَاطِلَ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا فِي

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٥٢٢) عن ابن عباس موقوفًا ، وقد تقدم سياقه منذ قليل .

(٢) وحسن إسناده الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٦٠٤) عن كعب .

(٣) في«المصنف» (١٠١٦٢) والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٩).

قَلْبِهِ تَالِيَةٌ تَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ وَكِتَابِهِ كَتَالِيَةِ الْمَالِ».

ومن ظن أن الكتب التي بأيدي النصارى العهد القديم وهو التوراة ، والعهد الجديد وهو الإنجيل لم يحرَّف ، فهو أضل من حمار أهله ، بل ربما كان الحمار أهدى منه سبيلاً ، وهو يثبت بذلك بلاهته عن نصوص الكتاب والسنة

قال ﷻ : ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** ﴾ [النساء : ٤٦] . فلا يزال التحريف قائم، في كل زمان لأنه أخبر بلفظ المضارع.

وقال ﷻ : ﴿ **وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

وقال ﷻ عنهم : ﴿ **وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ** ﴾ [آل عمران : ٧٨] ... إلى غير ذلك .

وقد قال الإمام ابن حزم رحمه الله [(١)]:

بَلَغَنَا عَنْ قَوْم مِنْ الْمُسْلِمِينَ يُنْكِرُونَ أَنَّ التَّوْرَاة وَالإِنْجِيل اللَّتَيْنِ بِأَيْدِي الْيَهُود وَالنَّصَارَى مُحَرَّفَانِ وَالْحَامِل لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ قِلَّة مُبَالاتهمْ بِنُصُوصِ الْقُرْآن وَالسُّنَّة وَقَدْ اِشْتَمَلا عَلَى أَنَّهُمْ حرفوها (ثم ذكر من الآيات ما ذكرنا) ثم قال : وَيَلْبِسُونَ الْحَقّ بِالْبَاطِلِ وَيَكْتُمُونَ الْحَقّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " ، وَيُقَال لِهَؤُلاءِ الْمُنْكِرِينَ : قَدْ قَالَ اللَّه ﷻ فِي صِفَة الصَّحَابَة : ﴿ **ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ** ﴾ [الفتح : ٢٩] ، إِلَى آخِر السُّورَة ، وَلَيْسَ بِأَيْدِي الْيَهُود وَالنَّصَارَى شَيْء مِنْ هَذَا ، وَيُقَال لِمَنْ اِدَّعَى أَنَّ نَقْلهمْ نَقْلٌ مُتَوَاتِر قَدْ اِتَّفَقُوا عَلَى أَنْ لا ذِكْر لِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي الْكِتَابَيْنِ ، فَإِنْ

(١) فيما حكاه عنه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٦٣٥ – ٦٣٦) .

صَدَّقْتُمُوهُمْ فِيمَا بِأَيْدِيهِمْ لِكَوْنِهِ نُقِلَ نَقْلَ الْمُتَوَاتِرِ فَصَدَّقُوهُمْ فِيمَا زَعَمُوهُ أَنْ لا ذِكْر لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلا لأَصْحَابه ...، وَإِلا فَلا يَجُوز تَصْدِيق بَعْض وَتَكْذِيب بَعْض مَعَ مَجِيئِهِمَا مَجِيئًا وَاحِدًا .أ . هـ

ولذلك كان راجح القول أن النظر في كتب هؤلاء والانكباب عليها مكروه وَالأَوْلَى فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَة : التَّفْرِقَة بَيْن مَنْ لَمْ يَتَمَكَّن وَيَصِرْ مِنْ الرَّاسِخِينَ فِي الإِيمَان فَلا يَجُوز لَهُ النَّظَر فِي شَيْء مِنْ ذَلِكَ بِخِلافِ الرَّاسِخ فَيَجُوز لَهُ وَلا سِيَّمَا عِنْد الاحْتِيَاج إِلَى الرَّدّ عَلَى الْمُخَالِف ، وَيَدُلّ عَلَى ذَلِكَ نَقْلُ الأَئِمَّة قَدِيمًا وَحَدِيثًا مِنْ التَّوْرَاة وَإِلْزَامهمْ الْيَهُود بِالتَّصْدِيقِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ بِمَا يَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ كِتَابهمْ ، وَلَوْلا اِعْتِقَادهمْ جَوَاز النَّظَر فِيهِ لَمَا فَعَلُوهُ وَتَوَارَدُوا عَلَيْهِ .

وقد اِسْتَدَلَ بِأَنَ عُمَر نَسَخَ كِتَابًا مِنْ التَّوْرَاة بِالْعَرَبِيَّةِ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيّ ﷺ فَجَعَلَ يَقْرَأ وَوَجْه رَسُول اللَّه ﷺ يَتَغَيَّر ... الحديث وفيه غضبه ﷺ حين رأى ذلك وقال : «**لَوْ أَنَّ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلا أَنْ يَتَّبِعنِي**»، ولولا أنه معصية ما غضب ﷺ فيه .

وتعقب بأن طرق الحديث كلَّها مُتكلَّم فيها كما قد أشرنا .

ولو صح فليس صريحًا في الأدلة على التحريم ، فَقَدْ يَغْضَب ﷺ مِنْ فِعْل الْمَكْرُوه وَمِنْ فِعْل مَا هُوَ خِلاف الأَوْلَى إِذَا صَدَرَ مِمَّنْ لا يَلِيق مِنْهُ ذَلِكَ ، كَغَضَبِهِ مِنْ تَطْوِيل مُعَاذ صَلاة الصُّبْح بِالْقِرَاءَةِ ، وَقَدْ يَغْضَب ﷺ مِمَّنْ يَقَع مِنْهُ

تَقْصِيرِ فِي فَهْمِ الأَمْرِ الْوَاضِحِ مِثْلِ الَّذِي سَأَلَ عَنْ لُقَطَةِ الإِبِلِ .

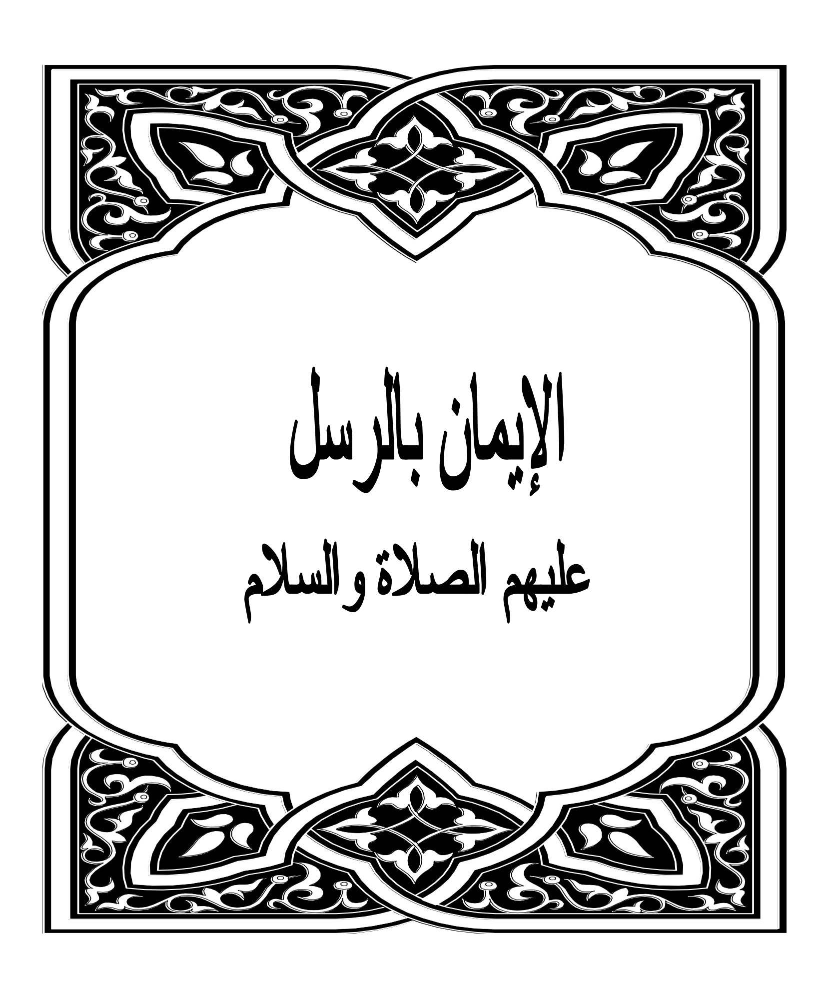
وقد نقل إجماع على أن الاشتغال بالنظر في التوراة وكتابتها لا يجوز ، وظاهر كلام الحافظ في «الفتح» عدم تسليمه لدعوى الإجماع ، واعترض بأن وهب بن منبه كان أعلم الناس بالتوراة [١].

قال : ونسب لابن عباس ترجمان القرآن [٢].

وقد يقال إن ابن عباس كان ينهى عن سؤال أهل الكتاب، لكنه كان عالماً بما عندهم من الباطل، والله أعلم .

(١) وقد يُحمل هذا على أنه إنما نظر بعد أن كان من الراسخين في العلم بالشريعة .

(٢) وتقدم أن ابن عباس أنكر سؤال أهل الكتاب عن شيء في دينهم .



الإيمان بالرسل

عليهم الصلاة والسلام

الإيمان بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام

اعلم علمني الله وإياك أنه ليس حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر، والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته ولا كحاجة العين إلى ضوئها، والجسم إلى الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك، وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال، فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في أمره ونهيه، وهم السفراء بين الله وبين عبادة [(١)].

واعلم أنه لا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

قال ﷻ : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وقال ﷺ لجبريل عن الإيمان :«**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**»[(٢)].

وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكذبوا على الله ﷻ ، بل ما قالوا لقومهم إلا ما أمرهم الله بتبليغه ، وكانوا على الحق المبين

قال ﷻ : ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ . وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا**

---

(١) وقد أشا شيخ الإسلام ابن تيمية في«مجموع الفتاوى» (١٩/ ١٠١) إلى ذلك.

(٢) متفق عليه البخاري (٥٠) ، ومسلم (٨) .

أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩ ، ٨٠] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ** ﴾ [الحاقة : ٤٤ - ٤٦] .

وفي صحيح البخاري[1] عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ . فَيَقُولُ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ : هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ . فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ**» . ﴿**وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾

وقد فضل الله ﷻ بعض النبيين على بعض

قال الله ﷻ : ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا** ﴾ [الإسراء : ٥٥] .

ولكن لا يُتخذ هذا للتشهي والتعالي وذريعة للتنقيص من قدر بعضهم فمع كونه ﷺ يعلم أنه سيد ولد آدم وإمام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ولهذا قال ﷺ : «**لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ**»[2].

---

(١) برقم (٤٤٨٧) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٤١٤) ، ومسلم (٢٣٧٣) .

وهؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام جعل الله ﷻ لكل منهم شريعة لها أحكام عملية تختلف عن شريعة الآخر حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية ، وإن كان أصل دعوتهم جميعًا إلى التوحيد

قال الله ﷻ : ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ [المائدة : ٤٨] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل : ٣٦] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وقد ورد عدد الرسل ثلاث مائة وثلاث عشرة رسولاً ، منهم من ذكر الله ﷻ خبرهم لنبيه ﷺ ، ومنهم من لم يقصص عليه خبرهم

فقد ورد سؤال النبي ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَمِ الأَنْبِيَاءُ ؟ قَالَ : «**مِئَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا**» ، قال : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَمِ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : «**ثَلاَثُ مِئَةٍ وَثَلاَثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**» لكن في إسناده مقال[1] .

وفي كتاب الله ﷻ ذكر منهم خمسة وعشرين

وذلك في قوله ﷻ : ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى**

---

(١) وهو حديث أخرجه أحمد (٥/ ١٧٨) ، وابن حبان (٣٦١) وغيرهما لكن بإسناد لا يصح ، له أسانيد لا يفرح بها .

وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٣ - ٨٦] .

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٣] .

وقال ﷻ : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف : ٦٥] .

وقال ﷻ : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [الأعراف : ٧٣] .

وقال ﷻ : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [الأعراف : ٨٥] .

وقال ﷻ : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ . وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٥ ، ٨٦] .

وخاتمهم محمد ﷺ ، كما أن أولهم آدم عليه السلام

قال ﷻ : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

وكل أمة أرسل الله ﷻ إليها نذيرًا يعلمهم ويهديهم ويخرجهم بإذن ربهم من الظلمات إلى النور ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة ؛ بل أحيانًا يكون أكثر من نبي في زمن واحد كيحيى وعيسى عليهما السلام[1]

(١) كما ورد عن إبراهيم وإسماعيل ولوط عليهم السلام في القرآن ، وعن رسول الله ﷺ : «فَإِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ» أخرجه البخاري (٣٤٣٠) .

قال الله ﷻ : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٤] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ ﴾ [يونس : ٤٧] .

وقال ﷺ : «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ**»(١) .

وقد أنكر مؤمن آل فرعون على بني اسرائيل زعمهم الكاذب أن الله لا يبعث رسولاً من بعد يوسف ﷺ فقال ﷻ : ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ** ﴾ [غافر : ٣٤] .

وسحر ﷺ سحر تخييل.

والرسول بشر يكون من نفس الأمة المرسل فيها ، ولهم أزواج وذرية ، لتنقطع حجة الناس على ربهم ﷻ ، ولئلا يكون على الله حجة بعد الرسل

قال الله ﷻ : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ** ﴾ [الفرقان : ٢٠] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً** ﴾ [الرعد : ٣٨] .

ويتعرض الرسل للإيذاء أو المرض أو الموت وربما القتل ، وليس هذا بضائر في منزلتهم ومكانتهم ورعاية الله ﷻ لهم ؛ بل لا يكون في ملكه ﷻ إلا ما يشاء

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٤٥٥) ، ومسلم (١٨٤٢) .

قال الله ﷻ عن أيوب : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

وقال ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وقال ﷻ عن بني إسرائيل : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٩١] .

وشُجَّ رأس النبي ﷺ ، وكُسرت رباعيته ، ودخلت حلقة المغفر في وجنتيه ﷺ ، وسال الدم على وجهه ﷺ ، ويمسح الدم عن وجهه وهو يقول : «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ**»(١) .

والرسول ﷺ كغيره لا يعلم الغيب ؛ بل لا يظهر الله ﷻ على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول ، وبالقدر الذي يريده الله رب العالمين ، وهو أيضًا عليه الصلاة والسلام لايملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا

قال الله ﷻ لرسول الله ﷺ: ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

والنبي ﷺ لا يسمع في قبره كلام الأحياء ولا ندائهم ولا يسمع إلا السلام عليه إذا رد الله عليه روحه

كما في حديث : «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ**

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٧٩١) .

عَلَيْهِ السَّلَامَ» وهو حديث ثابت(١).

وكما قال ﷺ : «**إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلامَ**»(٢).

وردّ الروح على النبي ﷺ له كيفية معينة ، فلا يلزم منه أن حالة رجوع الروح إليه تكون دائمة ، أو يكون كما كان في الدنيا يسمع كلام الأحياء ودعاءهم ونداءهم ، فحياة البرزخ لا تحكمها مقاييس الدنيا للاختلاف بين الحياتين ، فالله أعلم بكيفية ذلك .

وأفضل الرسل أولو العزم منهم

نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

قال الله ﷻ : ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ [الأحزاب : ٧] .

وقال ﷻ : ﴿ **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾

[الشورى : ١٣] .

فما خُصُّوا بالذكر إلا لفضلهم على بقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

---

(١) خرجته في «الفوائد النيرة» .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٥٢) وغيره بإسنادٍ صحيح ثابت .

وكل من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ ، فهو كافر ومن صدقه فهو كافر ؛ لأنه مكذب لقول رسول الله ﷺ : «لا نبي بعدي»[(١)]

وقد ورد حديث : «لَوْ كَانَ مُوسَى ابن عمران كان حَيًّا اليَوم مَا وَسِعَهُ إلاَّ اتِّبَاعِي» لكن في إسناده كلام كما تقدم .

الفرق بين النبي والرسول

وقد ذكَرَ العُلَماءُ فُرُوقًا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، وَلعلَّ أَحْسَنَهَا :

أَنَّ مَنْ نَبَّأَهُ اللَّهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ ، إِنْ أَمَرَهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ ، فَهُوَ نَبِيٌّ رَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ ، فَهُوَ نَبِيٌّ وَلَيْسَ بِرَسُول . فَالرَّسُولُ أَخَصُّ مِنَ النَّبِيِّ ، فَكُلُّ رَسُول نَبِيٌّ ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولا، وَلَكِنَّ الرِّسَالَةَ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهَا ، فَالنُّبُوَّةُ جُزْءٌ مِنَ الرِّسَالَةِ ، إِذِ الرِّسَالَةُ تَتَنَاوَلُ النُّبُوَّةَ وَغَيْرَهَا، بِخِلافِ الرُّسُلِ[(٢)].

وفي قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ ﴿٥٢﴾﴾ الحج.

وقوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴿٤٠﴾﴾ الأحزاب.

دليل على المغايرة بين النبي والرسول، فالنبي غير الرسول،وكلهم يوحى إليه.

---

(١) الذي أخرجه البخاري (٣٤٥٥) ، ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) «شرح الطحاوية» ص (١١٦) .

ورسول الله ﷺ إمام الأنبياء ، وسيد المرسلين ؛ بل سيد ولد آدم ﷺ

فإنه قال : «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»(١).

وفي أول حديث الشفاعة : «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

وفي حديث وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ :«**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»(٣).

أما قوله ﷺ : «لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ»(٤).

فإن ذلك كان له سبب، فإنه قال ذلك فيمن كان يفضله على الأنبياء حمية وعصبيَّة وهوى نفس وفخر ؛ لأن الله عز وجل حرَّم الفخر والعصبية حتى في الجهاد .

كما يدل عليه عموم قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٧٨) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٣٤٠) ، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٧٦) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٣٤٠٨) ، ومسلم (٢٣٧٣) .

[لقمان : ١٨] .

وقال ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلاَ يَبْغِى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»(١) .

فيبين ﷺ سبب قوله السالف كما في سبب ورود الحديث

فلفظ الحديث عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ . فَقَالَ : لاَ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَامَ ، فَلَطَمَ وَجْهَهُ ، وَقَالَ تَقُولُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ ، وَالنَّبِىُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَذَهَبَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَبَا الْقَاسِمِ ، إِنَّ لِى ذِمَّةً وَعَهْدًا ، فَمَا بَالُ فُلاَنٍ لَطَمَ وَجْهِي ؟. فَقَالَ : «**لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ**» . فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِىُّ ﷺ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : «**لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ...**» **الحديث**(٢) .

أو أن النبي ﷺ قال ذلك حين لم يكن يعلم بعد أنه أفضل الأنبياء ، وإن كان هذا فيه بُعد والأول أولي .

وفي كتاب الله ﷻ تفضيل بعض الأنبياء على بعض

قال الله ﷻ : ﴿ **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا** ﴾ [الإسراء : ٥٥] .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٦٥) .

(٢) لفظ البخاري (٣٤١٤) ، ومسلم (٢٣٧٣) .

وإنما أخبر ﷺ عن نفسه أنه سيد ولد آدم ؛ لأنه لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بإخباره لنا ، ولا نبي بعده يخبرنا بعظم قدره عند الله ، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام ، ولهذا أتبعه بقوله ﷺ : «ولا فخر» وهو لفظ ثابت صحيح عند بعض أصحاب السنن [(١)].

ومن ثمرات الإيمان بالرسل

اتخاذهم أسوة ، وتسلية الدعاة إلى الله عز وجل في دعوتهم بما حصل من أقوام هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام لهم ، وهذا يثمر محبتهم وإجلالهم ، والعلم برحمة الله سبحانه وتعالى ونعمه على الخلق ، فلولا إرسال الرسل لكان الناس أضل وأخس من البهائم العجماوات ، وهي أعظم النعم على العباد بعد نعمة إيجادهم وخلقهم ، وهذا يجر العبد إلى شكر المعطي الواسع الكريم سبحانه وتعالى .

وإرسال الرسل من أعظم نعم الله عز وجل على خلقه ، بل هي أعظم النعم بعد نعمة الإيجاد وخصوصًا محمد ﷺ

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ** ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

---

(١) وهذا عند عبد ابن حميد (٦٩٤) ، وابن ماجة (٤٣٠٨) ، والترمذي (٣١٤٨) بإسنادٍ ضعيف وله شاهد عند النسائي في «الكبرى» (٧٦٤٣) عن أنس ، وآخر عن واثلة بن الأسقع عند ابن حبان (٦٢٤٢) بلفظ «فَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ فَخْرَ» وإسناده ثابت .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وهو ﷺ محمد خاتم الأنبياء

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

وفي الصحيحين [(١)] قوله : «**وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**» .

وقال ﷺ : «**أَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ**» [(٢)] .

وقال ﷺ : «**وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي**» [(٣)] .

وهو ﷺ إمام الأتقياء وأعدل الناس ﷺ

كما قال : «**أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**» [(٤)] .

وقال ﷺ : «**وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ**»

وفي رواية : «**شَقِيتَ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ**» [(٥)] .

وهو ﷺ سيد المرسلين كما قال ﷺ : «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [(٦)] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٥) ، ومسلم (٢٢٨٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٥٢٣) .

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢) من حديث ثوبان بإسنادٍ على شرط مسلم ، وفي صحيح مسلم (٥٢٣) قوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ» .

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ، ومسلم (١٤٠١) في حديث الثلاثة الذين أرادوا أن يغالوا في العبادة فيزيدوا عن عبادة رسول الله ﷺ .

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٣١٣٨)، ومسلم (١٠٦٤) .

(٦) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٧٨) .

وهو حبيب رب العالمين وخليله كما قال ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**»(١) .

وقال ﷺ : «**وَقَدِ اتَّخَذَ اللَّهُ ﷻ صَاحِبَكُمْ خَلِيلاً**»(٢) .

فقد اشترك إبراهيم ومحمد عليهما السلام في الخلّة التي هي أعلى مراتب المحبة .

ويتبين مما سبق رفعة نبينا ﷺ بالنسبة لبقية الأنبياء ، ويضاف إليه ما حصل له عليه الصلاة والسلام من المقام المحمود وهو الشفاعة

فكيف طلب لرسول الله ﷺ من الصلاة مثل ما لإبراهيم مع أن المشبَّه به أصله أن يكون فوق المشبه ؟

أجاب العلماء على ذلك بأجوبة

منها : أن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم(٣) ، فإذا

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٥٣٢) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣٨٣) .

(٣) وقد شرف الله ﷻ آل إبراهيم بأمور :

منها : أنه جعل فيهم النبوة والكتاب ، فلم يأت بعد إبراهيم بنبي إلا من أهل بيته .

ومنها : أن الله ﷻ جعلهم أئمة يهدون بأمره إلى يوم القيامة ، فكل داخل للجنة بعدهم هو من طريقهم وأثر من آثار دعوتهم .

ومنها : أن الله ﷻ اتخذ منهما الخليلين محمدًا وإبراهيم عليهما السلام .

ومنها : أن الله ﷻ جعل إبراهيم عليه السلام – الذي هو منهم – إمامًا للناس كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا... الآية ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

=

طلب للنبي ﷺ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء حصل لآل محمد ما يليق بهم ؛ لأنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء ، وتبقى الزيادة التي للأنبياء وفيهم إبراهيم لمحمد ﷺ ، فيحصل له من المزية ما لم يحصل لغيره .

ومنها : أن النبي ﷺ من آل إبراهيم ، بل هو أفضل آل إبراهيم ، فيكون قولنا : إن النبي محمدًا ﷺ من آل إبراهيم متناولاً الصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم ، فيكون قولنا : كما صليت على آل إبراهيم متناولاً للصلاة عليه ﷺ أيضًا [1].

=

ومنها : أنه شرَّفه عليه السلام ببناء بيته الذي اتخذ لأهل التوحيد قِبلَة ، وجعل أفئدة الناس تهوي إلى هذا البيت .

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» ص(٢٧٧) .

معجزات الرسول ﷺ

من ذلك إخباره بمغيبات تحدث في وقت وحصل بعضها كما أخبر

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ نَاجِيَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **«تَدُورُ رَحَى الإِسْلاَمِ لِخَمْسٍ وَثَلاَثِينَ أَوْ سِتٍّ وَثَلاَثِينَ أَوْ سَبْعٍ وَثَلاَثِينَ فَإِنْ يَهْلِكُوا فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ ، وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ يَقُمْ لَهُمْ سَبْعِينَ عَامًا»** قَالَ : قُلْتُ : مِمَّا بَقِيَ ؟ قَالَ : مِمَّا مَضَى(١) (٢) .

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الْحَائِطِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ ، فَقَالَ : **«ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»** . فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ : **«ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»** . فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ ، فَسَكَتَ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ : **«ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ»** ، فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ(٣) .

وقد حصل هذا كما أخبر النبي ﷺ(٤) .

---

(١) صحيح : أخرجه أبو داود (٤٢٥٤) ، وانظر تخريجه بتوسع في «الفوائد النيرة» .

(٢) ويريد النبي ﷺ أن هذه المدة إذا انقضت حدث في الإسلام أمر عظيم يخاف أهله لذلك الهلاك، وكأنه ﷺ يشير إلى إنهاء مدة الخلافة بمبايعة الحسن بن علي لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم .

(٣) انظر صحيح البخاري (٣٦٩٥) ، ومسلم (٢٤٠٣) .

(٤) فقد دخل المصريون على عثمان رضي الله عنه فضربوه بالسيف على يده فوقعت على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة : ١٣٧] ، فمد عثمان رضي الله عنه يده وقال : «والله إنها لأول يد خطَّت المصحف» وإسناد هذا صحيح كما خرجته في غير هذا الموطن .

وقد أخرج الإمام أحمد عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**ادْعُوا لِي بَعْضَ أَصْحَابِي**» قُلْتُ : أَبو بَكْرٍ ؟ قَالَ : «**لا**» قُلْتُ : عُمَرُ ؟ قَالَ : «**لا**» قُلْتُ : ابْنُ عَمِّكَ عَلِيٌّ ؟ قَالَ : «**لا**» قَالَتْ : قُلْتُ : عُثْمَانُ ؟ قَالَ : «**نَعَمْ**» فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : «**تَنَحَّيْ**» جَعَلَ يُسَارُّهُ وَلَوْنُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ وَحُصِرَ فِيهَا قُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلا تُقَاتِلُ ؟ قَالَ : لا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ[١].

وعنها عن النبي ﷺ قال : «**يَا عُثْمَانُ لَعَلَّ اللَّهَ يُقَمِّصُكَ قَمِيصًا فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلا تَخْلَعْهُ لَهُمْ**»[٢] وعنى ﷺ بذلك الخلافة ، وقد حصلت .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : ذكر النبي ﷺ فتنة فقال : «**يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا مَظْلُومًا لِعُثْمَانَ**»[٣].

وأخبر عائشة رضي الله عنها بمسيرها على الجمل ومرورها بوادي الحوأب

ففي مسند الإمام أحمد بإسنادٍ صحيح عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِى حَازِمٍ أَنَّ عَائِشَةَ لَمَّا أَتَتْ عَلَى الْحَوْأَبِ ، سَمِعَتْ نُبَاحَ الْكِلاَبِ ، فَقَالَتْ : مَا أَظُنُّنِي إِلاَّ رَاجِعَةٌ ؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَنَا : «**أَيَّتُكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلابُ الْحَوْأَبِ ؟**» فَقَالَ لَهَا

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٦/ ٥٢) ، والترمذي ، وقد خرجته في تعليقي على «البداية والنهاية» لابن كثير .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد (٦/ ٨٧) ، والترمذي ، وراجع قول الدارقطني في «العلل» في تعليقي على «البداية والنهاية» .

(٣) أخرجه الترمذي بإسنادٍ صحيح ، وقد قال الحافظ ابن كثير في «تاريخه» «جيد حسن» .

الزُّبَيْرُ: تَرْجِعِينَ ، عَسَى اللَّهُ ﷻ ، أَنْ يُصْلِحَ بِكِ بَيْنَ النَّاسِ[١] .

وفي رواية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الْجَمَلِ الأَدْيبِ[٢]؟ يُقْتَلُ حَوْلَهَا قَتْلَى كَثِيرَةٌ تَنْجُو بَعْدَ مَا كَادَتْ**»[٣] .

فكانت رضي الله عنها تبغي الإصلاح بين المسلمين فحسب رضي الله عنها كما سيأتي تفصيل ذلك .

وفي صحيح مسلم قَالَ ﷺ لِعَمَّارٍ حِينَ جَعَلَ يَحْفِرُ الْخَنْدَقَ وَجَعَلَ يَمْسَحُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ : «**بُؤْسَ ابْنِ سُمَيَّةَ تَقْتُلُكَ فِئَةٌ بَاغِيَةٌ**»[٤] .

وقال ﷺ لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه – وهو الواقع – وأخبر بكثرة الفتن والهرج وتقارب الزمان وكثرة النساء وقلة الرجال

عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ : أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الْحَجَّاجِ فَقَالَ : «اصْبِرُوا ، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلاَّ الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ[٥] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» بإسنادٍ صحيح ، وقد صححه الإمام ابن حجر في «فتح الباري»، وابن كثير في «تاريخه» ، لكنه قال : على شرط الشيخين ، وليس كذلك ؛ فإنه صحيح فقط وليس على شرط الشيخين ، وراجع تخريجي له هناك .

(٢) الأديب : أراد الأدب ، فأظهر التضعيف .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٣٨) بإسنادٍ قوي ، وقد صححه القرطبي في «التذكرة» ص(٥٦٥) فقال : «ثابت صحيح» .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩١٥) وهو في صحيح البخاري (٤٤٧) بلفظ نحوه .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٦٨) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ**» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّمَ هُوَ؟ قَالَ: «**الْقَتْلُ الْقَتْلُ**»(١).

وقد أخبر النبي ﷺ بكثير مما يحدث في زمانه إلى قيام الساعة

ففي صحيح مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلاَءِ وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ»(٢).

وفي صحيح مسلم: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ فَنَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا وَأَحْفَظُنَا»(٣).

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ(٤)، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ»

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٦١)، ومسلم (٦٢٧٢).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٠٤)، ومسلم (٢٨٩١).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٩٢).

(٤) **ومعنى بثثته**: أي أخرجته، وعلَّمته للناس، ولبذلته لهم

(١).

والبلعوم هو مجرى الطعام،والمعنى:لقتلتُ، ولعلَّ ذلك من قبل أمراء السوء وقد أخبر النبي ﷺ بقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما أخبر بقتل عثمان رضي الله عنه (٢).

وَعَنْ عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي جَدِّي قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَمَعَنَا مَرْوَانُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : سَمِعْتُ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ يَقُولُ : «**هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ**» .

فَقَالَ مَرْوَانُ : لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ غِلْمَةً . فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ بَنِي فُلاَنٍ وَبَنِي فُلاَنٍ لَفَعَلْتُ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ مَعَ جَدِّي إِلَى بَنِي مَرْوَانَ حِينَ مَلَكُوا بِالشَّامِ ، فَإِذَا رَآهُمْ غِلْمَانًا أَحْدَاثًا قَالَ لَنَا عَسَى هَؤُلاَءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُمْ ، قُلْنَا أَنْتَ أَعْلَمُ (٣).

وقد أخبر النبي ﷺ أن الأمم تداعى علينا – وهذا يزيد القلب إيماناً وثباتاً – لتحقق المعرفة بصدق رسول الله ﷺ إن حصل

وَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**» ، فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : «**بَلْ**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٢٠) .

(٢) كما في صحيح البخاري (٧٠٩٦) ، ومسلم (٢٨٩٢) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٥٨) .

أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ» فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ ؟ قَالَ : «**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»[١] .

وَعَنْ ذِي مِخْمَرٍ – وَكَانَ رَجُلا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «**سَتُصَالِحُكُمْ الرُّومُ صُلْحًا آمِنًا ثُمَّ تَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا فَتَنْتَصِرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَسْلَمُونَ ثُمَّ تَنْصَرِفُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الصَّلِيبِ الصَّلِيبَ فَيَقُولُ : غَلَبَ الصَّلِيبُ ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَقُومُ إِلَيْهِ فَيَدُقُّهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ فَيَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ فَيَأْتُونَ حِينَئِذٍ تَحْتَ ثَمَانِينَ رَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**» .

وفي رواية : «**وَيَثُورُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ فَيَقْتَتِلُونَ فَيُكْرِمُ اللَّهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ بِالشَّهَادَةِ**» [٢] .

وأخبر عن منع العراق – درهمها وقفيزها ، ومنع الشام كذلك – وقد حصل –

فقال ﷺ : «**مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا**»[٣] أي ستُمنع .

وقال ﷺ : «**يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لاَ يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ** [٤]**وَلاَ دِرْهَمٌ**» ،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) وهو حديث حسن على أقل الأحوال ، وقد ذكرت له شواهد في «الفوائد النيرة» .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٤) ، والرواية الأخيرة أخرجها أبوداود (٤٢٩٥) بإسنادٍ قال عنه القرطبي في «التذكرة» ص(٦٠٥) : «صحيح ثابت» وهو كذلك .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٩٦) .

(٤) القفيز: مكيال أهل العراق.

قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ ؟ قَالَ : «**مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ يَمْنَعُونَ ذَاكَ**» ، ثُمَّ قَالَ : «**يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لاَ يُجْبَى** [1] **إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلاَ مُدْىٌ**» ، قُلْنَا مِنْ أَيْنَ ذَاكَ ؟ قَالَ : «**مِنْ قِبَلِ الرُّومِ**» [2].

وأخبر النبي ﷺ أن السيف إذا وقع في الأمَّة لم يرفع إلى يوم القيامة وقد وقع

فأخرج أحمد بإسناد صحيح على شرط مسلم قوله ﷺ «... **إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**» وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين،وحتى يعبد فئامٌ من أمتي الأوثان ، وإنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبيٌّ وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي .

ولا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى [3].

وفي الحديث : «**وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ** [4]» [5] .

---

(١) يجبى: أي يؤتى.

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩١٣) .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٨) من طريق حماد عن أيوب عن أبي قلابة عن أسماء عن ثوبان .

(٤) الأحمر: الذهب، والأبيض: الفضة.

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٨) ، وأبو داود (٤٢٥٤) ، وابن حبان (٦٧١٤) بإسنادٍ صحيح على شرط مسلم .

فللأنبياء عمومًا معجزات يؤيدهم الله ﷻ ، ويؤيد دعـوتهم بهـا ، ولنبينـا ﷺ الأكثر في ذلك

والمعجزة : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي ، سالم من المعارضـة ، حِسِّـي مشاهد بالبصر أو بالسمع كخروج الناقة من الصخرة ، وانقلاب العصى حيـة، وكلام الجمادات ، ونحو ذلك ، وربما كانت معنوية تشاهد بالبصيرة ؛ كمعجـزة القرآن .

وقد أوتي نبينا ﷺ من كل ذلك

فما من معجزة كانت لنبي إلا وله ﷺ أعظم منها في بابها .

وقد قال ﷺ بشأن المعجزة المعنوية التي تدرك بالبصـيرة : «**مَـا مِـنَ الأَنْبِيَـاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًـا أَوْحَـى اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1] .

ومن المعجزات المحسوسة :

انشقاق القمر له ﷺ ، ففي حديث عَبْدِ اللَّهِ قَـالَ انْشَـقَّ الْقَمَـرُ عَلَـى عَهْـدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِقَّتَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**اشْهَدُوا**»[2].

وحنين الجذع : ففي الصحيح عَنِ ابْـنِ عُمَـرَ رضي الله عنهما كَـانَ النَّبِـيُّ ﷺ يَخْطُـبُ

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٩٨١) ، ومسلم (١٥٢) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٠٠) .

إِلَى جِذْعٍ فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ ، فَحَنَّ الْجِذْعُ فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ [(١)].

ومعنى حن : أي صوته ، وكأنه يبكي .

وتكثير الطعام ببركة مسه للطعام ﷺ ودعائه

لما في صحيح مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ بَعَثَنِي أَبو طَلْحَةَ إِلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ لأَدْعُوَهُ وَقَدْ جَعَلَ طَعَامًا، قَالَ: فَأَقْبَلْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ النَّاسِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقُلْتُ: أَجِبْ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «**قُومُوا**»، فَقَالَ أَبُوطَلْحَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا صَنَعْتُ لَكَ شَيْئًا، قَالَ: فَمَسَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَعَا فِيهَا بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ قَالَ: «**أَدْخِلْ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِي عَشَرَةً**»، وَقَالَ: «**كُلُوا**»، وَأَخْرَجَ لَهُمْ شَيْئًا مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا فَخَرَجُوا، فَقَالَ: «**أَدْخِلْ عَشَرَةً**»، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، فَمَا زَالَ يُدْخِلُ عَشَرَةً وَيُخْرِجُ عَشَرَةً حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَ فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ ثُمَّ هَيَّأَهَا فَإِذَا هِيَ مِثْلُهَا حِينَ أَكَلُوا مِنْهَا[(٢)].

ونبع الماء من بين أصابعه :

كما في حديث أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ ، فَأُتِيَ بِقَدَحٍ رَحْرَاحٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ ، فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ ، قَالَ أَنَسٌ : فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، قَالَ أَنَسٌ : فَحَزَرْتُ مَنْ تَوَضَّأَ مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٣٩٠) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٠٤٠) وفي رواية عند أحمد (٣/ ٤٢) وأبي عوانة (٨٣١٦) ، «فَفَضَلَ فِيهَا فَضْلٌ فَدَفَعَهَا ﷺ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ فَقَالَ : «كُلِي وَأَطْعِمِي جِيرَانَكِ» .

الثَّمَانِينَ[١].

ومن حلول البركة على الطعام الذي كان يهدي له منه

ما أخرجه مسلم من حديث جَابِرٍ أَنَّ أُمَّ مَالِكٍ كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي عُكَّةٍ لَهَا سَمْنًا فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا فَيَسْأَلُونَ الأُدْمَ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ فَتَعْمِدُ إِلَى الَّذِي كَانَتْ تُهْدِي فِيهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَتَجِدُ فِيهِ سَمْنًا فَمَا زَالَ يُقِيمُ لَهَا أُدْمَ بَيْتِهَا حَتَّى عَصَرَتْهُ ، فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : «**عَصَرْتِيهَا**» ، قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : «**لَوْ تَرَكْتِيهَا مَا زَالَ قَائِمًا**»[٢].

وإخباره ﷺ بأن الريح ستهب عليكم وقد هبَّت[٣].

وعصمته من الكافر وقد رفع السيف على رأسه[٤].

ونحو ذلك كثير مما يسع مؤلفات خاصة وقد قام بعض إخواننا الدعاة بذلك وفقهم الله ﷻ .

والقرآن معجزة دائمة تتحدى الفصحاء البلغاء في كل عصر إلى يوم القيامة ، وعلى مدار نزوله في أكثر من عشرين عامًا

يتحدى أفصح الخلق كلامًا وبلاغة وبيانًا ، وأقدرهم على هذا فهم أبلغ منطقًا وأعلى بيانًا :

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٠٠) ، ومسلم (٢٢٧٩) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٨٠) .

(٣) كما في مسلم (٧٠٦) عقب حديث (٢٢٨١) .

(٤) كما في البخاري (٤١٣٩) ، ومسلم (٨٤٣) عقب حديث (٢٢٨١) .

قال ﷻ : ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾ [الطور : ٣٤] فعجزوا .

فقال ﷻ : ﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ** ﴾ [هود : ١٣] فعجزوا .

فقال ﷻ : ﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ**﴾ [يونس : ٣٨] . فعجزوا أيضاً.

فلم يفعلوا ولم يستطيعوا ذلك مع شدة حرصهم على ردِّه بكل ممكن ، ومع كون حروفه وكلماته من جنس كلامهم الذي يتحاورون به، وفي مجال كانوا يتسابقون ويتفاخرون به ، ثم نادى سبحانه عليهم ببيان عجزهم وفشلهم وظهور إعجازه.

فقال ﷻ : ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

وأبقى المعجزة في القرآن وفيه آيات التحدي لمن أراد أن يُجرب نفسه – ولا يقدم على ذلك إلا سفيه غبي معتوه مهووس ينادى على نفسه بالخزى وسفاهة الأحلام –ليفضحه الله تعالى في مجلسه، سنة كونية.

فقال ﷻ :﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** ﴾ [النساء : ٨٢] .

وقال ﷻ :﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء : ٨٢] .

وقد صنف الناس في وجوه إعجاز القرآن من جهة الألفاظ والمعاني والأخبار الماضية والآتية من المغيبات

وما بلغوا من ذلك إلا كما يأخذ العصفور بمنقاره من البحر(١) .

ولم يبق بعد النبي محمد ﷺ إلا المبشرات تأتي على هيئة رؤى في النوم ، فمن رآه ﷺ بأوصافه المعروفة في الأحاديث فقد رآه ، فإن الشيطان لا يتمثل في صورته (٢) .

---

(١) من كلام الشيخ حافظ بن أحمد حكمي في «٢٠٠ سؤال في العقيدة» ص(٤٠) .

(٢) التى هي وصفه كما جاء في الأحاديث الصحيحة:

أنه ﷺ مربوعٌ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ، وكان إلى الطول أقرب ، حسن الجسم ، ضخم الرأس عظيمة – جَمَّة الشعر – تصل إلى شحمة أذنيه أو إلى أنصاف أذنيه أو إلى منكبيه، والاختلاف في ذلك بحسب حاله ، فإلى المنكبين إذا ترك شعره أو نحو ذلك ، وإلى الأذنين في غير هذه الحالة

وكان ﷺمفروق الشعر ، ليس شعره بالجعد القطط ولا بالسبط ، مسترسلاً كشعر الروم ، شمط – بعضه أبيض وبعضه أسود – مقدم رأسه ولحيته يختفي إذا أدهن ويظهر إذا شعث رأسه

وكان ﷺ أزهر اللون ليس بالأبيض الأمهق الذي هو شديد البياض ، ولا بالأدم الأسود ، وجهه مشرب بحمرة ، وكان مليحًا دقيق الحسن مقصدًا في أعضائه ، وكان وجهه مستديرًا كالقمر ، جميل دوائر الوجه ، أكحل العينين ، أشكل العينين – أي حمرة في بياضها – ، وقيل سواد العينين ضليع الفم واسع ، كث اللحية تكاد تملأ صدره ، وكان رحب الصدر طويل شعر الصدر من الوسط يمتد إلى بطنه ، وكان في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ، وفي عنفقته – وهو الشعر الذي تحت الشفة السفلى – شعرات بيض ، وكان في صدغيه شعرات

صفراء من الطيب كأنها مخضوبة

وكانت أشفار عين النبي ﷺ طويلة غزيرة الشعر ، عريض أعلى الظهر ضخم الكراديس – أي عظيم العظام – ، والكراديس هي كل عظمتين ضخمتين كالركبتين والمنكبين... ضخم الأعضاء

=

ولو كان يستطيع أن يتشكَّل في صورة رسول الله ﷺ لتشكَّل في صورته يوم رآه أبو هريرة يسرق من إبل الصدقة، يوم أخبره بفضل آية الكرسي[١].

قد ورد عن النبي ﷺ بشأن الرؤية الصادقة

حديث ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»[٢].ورسول الله ﷺ أُعطاها، فكان قبل النبوة لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

وحديث أبي هريرة مرفوعًا: «**رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»[٣].

=

وكان ﷺ ممدود الذراعين ممتليء لحم الكفين والقدمين ضخم اليدين والقدمين طويل الكفين ، وكفه لين مع خشونة في الأصابع ، ليديه ﷺ رائحة كأنما أخرجه من جونة عطار ، وفي صحيح البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه أنه مسح وجهه بيد النبي ﷺ قال : «فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِي فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنْ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنْ الْمِسْكِ» .

ولساقيه بريق ، قليل لحم العقب ، وخاتم النبوة بين كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه هذا الخاتم جسده ﷺ

وكان حسن المضحك ، إذا ضحك تستنير الخطوط التى في الجبهة ، وهي التي يطلق عليها أسارير الوجه ، فكان ﷺ إذا سُرّ تبرق أسارير وجهه ، وتحت إبطيه أبيض طيب رائحة العرق، قد اجتمعت له ليونة البدن مع قوته في العظام والعصب .

(١) والحديث بذلك في الصحيحين.

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٦٥) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٩٨٨) ، ومسلم (٢٢٦٤) .

وحديث أنس[١]، وعبادة بن الصامت[٢]، وأبي سعيد الخدري[٣] رضي الله عنهم .

وفي رواية لحديث عَن أبي هُرَيرة رضي الله عنه قال: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «**رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»[٤].

فمرة سبعون، وأخرى ستة وأربعون، وثالثة خمسة وأربعون .

وقد ورد ستة وعشرون جزءًا ، وورد أربعون جزءًا بأسانيد فيها مقال .

ووجه الجمع بين هذه الأرقام ، والله أعلم

أن ذلك على حسب ما يكون الذي يراها من صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، والدين المتين ، وحسن اليقين ، فعلى قدر اختلاف الناس فيما وصفنا تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد ، والله أعلم .

فمن خلصت له نيته في عبادة ربه ، ويقينه ، وصدق حديثه كانت رؤياه أصدق وإلى النبوة أقرب ، والله أعلم[٥].

---

(١) في صحيح البخاري (٦٩٨٧) ، ومسلم (٢٢٦٤) .

(٢) في صحيح البخاري (٦٩٨٧) ، ومسلم (٢٢٦٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٨٩) .

(٤) أخرجه ابن حبان (٦٠٤٠) بإسنادٍ صحيح وهو في صحيح مسلم (٢٢٦٣) عن أبي هريرة بلفظ : «رُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ ...الحديث» .

(٥) قاله ابن عبد البر في «التمهيد» (١٦/ ٦٩ - ٧٠) .

وقوله ﷺ : من رآني في المنام فسيراني[1] ، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي[2] .

لا يؤخذ منه أن من رأى النبي ﷺ في المنام ، فأمره بحكم يخالف حكم الشرع المستقرّ في الظاهر أنه يكون مشروعًا .

بل جمهور الأئمة[3] أَنَّهُ لا يَجُوز الْعَمَل بِهِ إلا عِنْد فَقْد الْحُجَج كُلّهَا فِي بَاب الْمُبَاح ، وَرَجَّحه الحافظ في «الفتح»[4] أخذًا من التفرقة بين النبوة والرسالة بأَنَّ النبيّ الذي يطلع على بَعْضِ الْمُغَيَّبات يُقَرِّر شَرِيعَة مَنْ قَبْله وَلَكِنْ لا يَأْتِي بِحُكْمٍ جَدِيد مُخَالِف لِمَنْ قَبْله ، فلَو فرض أنَّ الرَّائِي كذلك – أي نبي – لم يسوغ له أن يُشرِّع حكمًا جديدًا برؤياه ، فكيف والرائي ليس بنبي ولا رسول ؟» بل هو دونهما بمراحل ، والله أعلم .

وَذكَرَ بَعْض الْمُبْتَدِعَة أنَهُ حُجَّة

---

(١) ومعنى «فسيراني»: أي في اليقظة أي فسيرى تفسير ما رأى ؛ لأنه حق وغيب أُلقى عليه ، وسيأتي ترجيح اللجنة الدائمة له قريبًا .

وقيل : معناه فسيراني يوم القيامة ، ولا فائدة في هذا التخصيص .

وقيل : «فقد رآني» أي فقد رأى الحق ، وقيل : معناه يريد تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها وخروجها على الحق ، وليس المراد أن يراه في الآخرة ؛ لأنه سيراه في يوم القيامة في اليقظة ، فجميع أمته ستراه ، من رآه في النوم ومن لم يره في النوم .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٩٩٢) .

(٣) عزاه إليهم أبو المظفر السمعاني فيما حكاه عنه الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٤٦٩) .

(٤) «فتح الباري» (١٢/ ٤٥٤) .

ومن حجج الجمهور مَا اسْتَقرَّ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ مِن اِعْتِبَار الْحُجَّة وَالنَّظَر فِـي الأَدِلَّةِ ، وَذَمّ الأَمَانِيّ وَالْهَوَاجِس وَالظُّنُون .

واعتمد الحافظ :

أَنَّ مَنْ رَأَى النَّبِيّ ﷺ فِي الْمَنَام فَأَمَرَهُ بِحُكْمٍ يُخَالِف حُكْم الشَّرْع الْمُسْـتَقَرّ فِي الظَّاهِر أنه لا يكون مشروعاً في حقه، ولا في حق غـيره، حتـى يجب عليـه تبليغه [(١)].

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»،والمعلمـي في «التنكيـل»:
الاتفاق على أنه لا يجوز أن يثبت بالرؤى شـيء مـن الحجـة في الشـرع ؛ لأنـه لابد تمييز كل نـوع مـن أنـواع الـرؤى رحمانيـة أم نفسـانية أم شـيطانية كمـا في حديث الرؤيا ثلاثة ، وهو في الصحيحين[(٢)].

تنبيه :

مقصود حديث : «**مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي حَقًّا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي**» أي من رأى النبي ﷺ في النوم فهي رؤيا حق أو أنه سيرى تأويـل رؤياه ، ورواية «فسيراني» معناه صدق الرؤيا ، وأن تأويلـها سـيتحقق إن شـاء

---

(١) «فتح الباري» (١٢/ ٤٧٠) .

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٥٨) ، و«التنكيل» للمعلمي (٢/ ٢٤٢) وحديث الرؤيا هو الذي أخرجه البخاري (٧٠١٧) عن محمد بن سيرين قال سمعت أبا هريرة عن رسول الله ﷺ يقول: «كَانَ يُقَالُ : الرُّؤْيَا ثَلاثٌ : حَدِيثُ النَّفْسِ وَتَخْوِيفُ الشَّيْطَانِ وَبُشْرَى مِنْ اللَّهِ فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلا يَقُصَّهُ عَلَى أَحَدٍ ، وَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ ...» .

الله[1].

ومن ادَّعى أنه رأى النبي ﷺ في اليقظة فدعواه باطلة ، وإن ادَّعى أنه كلمه أو سمع منه .

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة» (١/ ٤٨٤ - ٤٨٥) .

حقوق النبي ﷺ والأدب معه

وللنبي ﷺ حقوق واجب بذلها له ؛ منها :

توقيره وبره وبر آله وذريته ، وأمهات المؤمنين (زوجاته) ، كما حض عليه ﷺ ، وسلك عليه السلف ﷺ واتباع الصالح منهم .

قال الله ﷻ : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

وقال ﷺ : «**...وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»(١) .

وفي حديث زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ جَمِيعًا**»(٢) .

والصلاة على أهل بيته، ففي حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ : لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ : أَلاَ أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً ؟إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ قَالَ :«**فَقُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ**

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم .

(٢) صحيح لغيره : أخرجه أحمد (٥/ ١٨٩) من حديث زيد بن ثابت بإسناد قوي لغيره ، وقوله فيها :«وإنهما لن يتفرّقا ... الخ» في صحتها نظر ، لانفراد صالح بن موسى بها.

حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[١] .

ومن توقير رسول الله ﷺ وبره

توقير أصحابه وبرهم ، ومعرفة حقهم ، والاقتداء بهم ، وحسن الثناء عليهم ، والاستغفار لهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، ومعاداة من عاداهم ، والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهله الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم ، وأن يلتمس لهم فيما نُقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويُخْرَج لهم أصوب المخارج ، إذ هم أهل ذلك ، ولا يذكر أحد منهم بسوء ، ولا يغمص عليه أمر ، بل نذكر حسناتِهم وفضائلَهم وحميدَ سيرِهم ، ويسكت عما وراء ذلك[٢] .

إذ هم من رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وهم من أمر المسلمين أن يستغفروا لمسيئهم ويقبلوا من محسنهم .

وهم السابقون الأولون ، ومنهم من نزل فيه : ﴿ **رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا** ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٣٥٧) ، ومسلم (٤٠٦) . وفي صحيح البخاري برقم (٣٧١٣) قول أبي بكر رضي الله عنه : «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ» .

(٢) حكاه القاضي عياض في «الشفا» (٢/ ٥٢ - ٥٣) ولله الحمد ، فإن الثابت بالأسانيد ليس فيه ما يقدح فيهم .

ومنهم من بايع تحت الشجرة أهل الحديبية ، ومنهم أهل بدر الذين لا يدخل أحد منهم النار ، الذين غفر الله لهم ما كان منهم ، ولعل الله ﷻ قال لهم : «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**» [١].

ومنهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : «**اقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر**» [٢].

وهم الذين قال عنهم رسول الله ﷺ : «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**» [٣].

ويكفي ما ذكرنا ، وأقل منه في تعظيم أصحاب رسول الله ﷺ ، وإن كان لا يكفي الشيعة الروافض ، ولو أن الله أنزل عليهم الملائكة ، وكلمهم الموتى وحشر عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليهتدوا إلا أن يشاء الله، أعاذنا الله ﷻ من سوء الضلال .

ومن حقوق النبي ﷺ : الصلاة عليه عند سماع سيرته

قال الله ﷻ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

فرغم أنف امرئ ذُكر عنده سيرة رسول الله ﷺ ولم يُصلِّ عليه .

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٠٠٨) ، ومسلم (٢٤٩٤) .

(٢) صحيح : أخرجه الترمذي (٣٦٦٣) ، وابن حبان (٦٩٠٢) وغيرهما بإسنادٍ لا بأس به .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) .

والصلاة عليه تزيل الهم ، كما في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه [(١)]

وقد أوجب بعض العلماء على من صلَّى ولم يُصلِّ عليه أنه يُعيد الصلاة ، والراجح خلاف ذلك .

ومن حقوق النبي ﷺ **: الاقتداء به ، والتسليم لأوامره وأحكامه وبياناته ، واتباعه**

قال الله ﷻ : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء : ٦٥] .

وقال ﷻ : ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ٣١ ، ٣٢] .

ومحبته ﷺ **، والانتقام من سابه بأبي هو وأمي أيضاً من حقوقه علينا** ﷺ.

وغير ذلك مما ينبغي أن يكون للنبي ﷺ مما يحتمل الصحيح فيه مجلد، وقد ألفت فيه كتب[(٢)].

آيات لا يُتوهَّم منها وقوع الأنبياء في الضلال والجواب عليها

الآية الأولى:

---

(١) الذي أخرجه الترمذي(٢٤٥٧).

(٢) وراجع كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض ، وآخر للإمام ابن القيم ، وآخر للإمام الجهضمي رحم الله الجميع .

***قوله** ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ ﴿٨٩﴾﴾ الأعراف.

فمعنى «عدنا في ملتكم» أي: صرفنا إلى ما أنتم عليه، وقد نجانا الله منها، ولا يفهم منه أن هذا النبي كان كافراً على ملة قومه الكفار.

***وقول إبراهيم عليه السلام** عن الكوكب والقمر والشمس«هذا ربي» في سور الأنعام،

إنما كان يحاججهم في الكلام وحاشاع عليه السلام أن يكون متشككا في إله الذي إرسل ليبلِّغ الناس رسالته، وقد قال تعالى عنه: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ النحل.

وقد قال: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصۡرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسۡلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ آل عمران.

* **وقوله تعالى عن آدم عليه السلام** : ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ الأعراف.

لا يفهم منها التنقيص لآدم عليه السلام.

فالمراد هنا:

ليس آدم عليه السلام وحواء، وإنما المراد من ذريتهما ممن أشركوا ولذلك قال تعالى : «**فتعالى الله عما يشركون**».

ولو كان المقصود آدم وحواء لقال تعالى :«فتعالى الله عما يشركان».

ولو كان النص القرآني عائداً على آدم وحواء لكان يلزمهما أن يتوبا من الشرك، أو يموتا على الشرك وهذا وذاك بعيدان، لأن الأنبياء جميعاً عليهم السلام معصومون من الشرك بلا نزاع.

ولو كان آدم وقع في الشرك لاعتذر عن الشفاعة في أرض المحشر عن الشرك، فإنه ذنب أعظم من المعصية التي هي الأكل من الشجرة التي اعتذر عن الشفاعة لأكله منها.



اليوم الآخر

وذكر بعض ما فيه مما يجب أن يعتقد

تمهيد

هناك يوم للحساب بعد الحشر

للمسلمين فيه اعتقادات : ميعاده ، وما يحصل فيه ، وما هو بعده – واجب اعتقادها .

نجانا الله ﷻ من أهوال هذا اليوم بمنه وكرمه ورحمته إنه على كل شيء قدير.

والساعة لا يعلم ميعادها إلا الله ﷻ ، لا ملك مُقرَّب ولا نبي مرسل

وغايتها أن يُتكلَّم في أشراطها وأماراتها ، فالمستنبط ، والمهوِّل أنها في سَنة من السَنوات قوله من الهذيان وإيحاء الشياطين له .

قال الله ﷻ : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ** ﴾ [الأعراف : ١٨٧].

وقال ﷻ : ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ** ﴾ [الأحزاب : ٦٣] .

وقال ﷻ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان : ٣٤] .

وقال ﷺ : لجبريل عليه السلام حينما سأله عن الساعة : «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»(١).

---

(١) في حديث صحيح متفق عليه .

النفخ في الصور وكونهما نفختين وبين كل نفخة أربعين

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ لاَ أَدْرِى أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ فَلاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ**» (١).

وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**» ، قَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ : أَرْبَعُونَ يَوْمًا ؟، قَالَ : أَبَيْتُ. قَالُوا : أَرْبَعُونَ شَهْرًا ؟ قَالَ : أَبَيْتُ. قَالُوا : أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قَالَ : أَبَيْتُ «ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ». قَالَ : «وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلاَّ يَبْلَى إِلاَّ عَظْمًا وَاحِدًا» (٢).

وفي روايـة : «**لاَ تَأْكُلُهُ الأَرْضُ أَبَدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ**

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٤٠) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٥٥) .

وفي تفسير لكلمة «أبيت» : أي أبيت أن أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك ، والمعنى المذكور حاليًا مؤيد باعترافه أن عند أبي هريرة رضي الله عنه جرابان ، من علم أحدهما بثّه ، والآخر لو بثّه لقطع منه البلعوم كما في صحيح البخاري (١٢٠) وهو بيان تفاصيل الفتن وأسماء المنافقين ونحو ذلك مما في بثّه إشاعة الفتن ، وليس في ذكره كبير نفع فكان رضي الله عنه يكتمه ، فكان أبو هريرة رضي الله عنه مثلاً يستعيذ بالله من سنة الستين وإمارة الصبيان ، فتوفاه الله قبلهما بقليل .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ومعنى أبيت : أي امتنعت من بيان ذلك وتفسيره ، وإنما لم يبينه ؛ لأنه لم ترهق لذلك حاجة ، ولأنه ليس من البينات والهدى الذي أُمر بتبليغه.

ويصعق الناس جميعًا بالنفخ في الصور إلا من شاء الله

قال ﷻ : ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ** ﴾(١) [الزمر : ٦٨] .

وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ بِسُوق الْمَدِينَةِ : وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ ، فَرَفَعَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَار يَدَهُ فَلَطَمَهُ قَالَ: تَقُولُ هَذَا وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **قَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ، فَلا أَدْرِي أَرَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَى اللَّهُ ﷻ ، وَمَنْ قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ»** (٢).

---

(١) الصعق : الموت .

والمستثنون من الآية قيل : هم الملائكة ، وقيل : الشهداء ، وقيل : حملة العرش ، وقيل : جبريل ﷺ أو ميكائيل ، أو ملك الموت ، والصحيح : أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح ، والكل محتمل ، والله أعلم .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤١١) ، ومسلم (٢٣٧٣) .

الـمـوت

الموت حق على أهل الأرض جميعًا إنسهم وجنهم والحشـرات والحيوانـات ... ولا تدري نفس بأي أرض تموت

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن : ٢٦ ، ٢٧] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [القصص : ٨٨] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُـمْ لا يَسْـتَأْخِرُونَ سَـاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [الأعراف : ٣٤] .

وقال صلى الله عليه وسلم : «**أَكْثِرُوا من ذكر هَادِمِ اللَّذَّات «الْمَوْت»**»[1].

ولم ينكر ذلك أحد من أهل الأرض قاطبة ؛ لأنه مُشاهد بالحس .

فوجب الاستعداد لـه مـن قبـل أن يـأتي يـوم لا مـرد لـه مـن الله عز وجل باغتنـام الفرصة ، فليأخذ الإنسان من صحته لمرضه ومن غناه لفقره

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَـهُ مِـنَ اللَّـهِ مَـا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ** ﴾ [الشورى : ٤٧] .

---

(١) وهو حديث حسن أخرجه الترمذي وغيره ، وراجع تخريجه في «الفوائد النيرة» .

وقال ﷺ : «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**»[١].

البعث بعد الموت

ويُبعث المرء على ما مات عليه من عمل أو قول

دليل ذلك : حديث جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»[٢].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى نِيَّاتِهِمْ**» [٣]

وفي رواية : «**عَلَى أَعْمَالِهِمْ**» [٤].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ - إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٤١٢) .

والمعنى : أن الناس مقصِّرون في شكر هاتين النعمتين لا يقومون بشكرهما ، ولا يقومون بواجبهما ، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون ، وذاك من النعم التي يسأل عنها العبد يوم القيامة ، ولما كانت الصحة والعافية من أجلّ نعم الله على عبده ، وأجزل عطاياه وأوفر منحه ، بل العافية المطلقة أجلّ النعم على الإطلاق ، فحقيق لمن رزق حظًا من التوفيق مراعاتها ، وحفظها ، وحمايتها ، عما يضادها ، وراجع «زاد المعاد» (٤/ ١٩٥).

(٢) انظر صحيح البخاري (٧١٠٨) ، ومسلم (٢٨٧٨ ، ٢٨٧٦) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٩٠٠) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٧١٠٨) ، ومسلم (٢٨٧٩).

وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ»[١].

وفي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﭭ أَنَّ رَجُلاً كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُحْرِمًا فَوَقَصَتْهُ نَاقَتُهُ ، فَمَاتَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ وَلاَ تُمِسُّوهُ بِطِيبٍ وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا**»[٢].

ويكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات في الظلمة دون الجسر بين الجنة والنار

لِقول ثَوْبَان مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ ، فَقَالَ : السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ...الحديث ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ**»[٣].

والجسر يكون بين ظهراني جهنم، عليه خطاطيف وكلاليب .

وَقَالَتْ عَائِشَةَ ﭫ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ ﻷ : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : «**عَلَى الصِّرَاطِ**»[٤].

وفي رواية : أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله : ﴿ **وَالأَرْضُ جَمِيعًا**

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٨٠٣) .
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٢٦٥) ، ومسلم (١٢٠٦) .
(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٣١٥) .
(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٢٧٩) .

قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ فَأَيْنَ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : **«عَلَى الصِّرَاطِ يَا عَائِشَةُ»**(١).

وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَتَدْرِي مَا سِعَةُ جَهَنَّمَ ؟ قُلْتُ : لا ، قَالَ : أَجَلْ وَاللَّهِ مَا تَدْرِي ، حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ رضي الله عنها أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ **﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾** فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : **«هُمْ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ»**(٢).

وطريقة الحشر يوم القيامة وصفته على ثلاثة طرائق .

لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **«يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلاثِ طَرَائِقَ ، رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ ، وَثَلاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ ، وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»**(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاثَةُ أَصْنَافٍ صِنْفٌ مُشَاةٌ ، وَصِنْفٌ رُكْبَانٌ**(٤)**، وَصِنْفٌ عَلَى وُجُوهِهِمْ»**

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي (٣١٢١) وأصل الحديث في الصحيح كما تقدم .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد (٦/ ١١٦) ، والنسائي (١١٤٥٣) ، والترمذي (٣٢٤١) بإسنادٍ صحيح.

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٢٢) ، ومسلم (٢٨٦١) .

(٤) وقد يحمل على أنه ليس الحشر الأخير الذي يكون القيامة، لأنهم في ذلك اليوم ليس معهم شيء لا بعير ولا غيره، فلعله حشر يستقر فيه الناس في آخر الدنيا إلى جهة المحشر، والله أعلم. فنظر «فتح الباري» (١١/ ٤٤٦)

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ ؟ قَالَ : «**إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ**»(١).

وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»(٢).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ**»(٣).

ومعنى «كقرصة نقي» : أي كدقيق نقي .

الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا ، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ : «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ أَلاَ وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام أَلاَ وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي ، فَيُقَالُ إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ**

---

(١) صحيح لشواهده ، وقد أخرجه الترمذي (٣١٤٢) ، وأحمد (٢/ ٣٥٤) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٧٦٠) ، ومسلم (٢٨٦) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٢١) ، ومسلم (٢٧٩٠٩) .

الصَّالِحُ : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ قَالَ : فَيُقَالُ لِي : إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ»[١] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام قبطتين ، ثم يكسى محمد صلى الله عليه وسلم حلة حبرة ، وهو عن يمين العرش[٢] .

وفي حديث ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : «**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا**» ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ : أَيُبْصِرُ بَعْضُنَا عَوْرَةَ بَعْضٍ ؟ قَالَ : «**يَا فُلانَةُ ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾**»[٣] .

وكيف يجمع بين الأحاديث التي مفادها أن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً ، وبين حديث أبي سعيد الخدري أنه لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد فلبسها وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن الميت يبعث في ثيابه التي دفن

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٢٤) ، ومسلم (٢٨٦٠) واللفظ له .

(٢) أخرجه الحسين في «زوائد الزهد» (٣٦٤) وأحمد في «الزهد» ص(٧٩) باب زهد ابراهيم الخليل عليه السلام ، وإسحاق كما في «المطالب العالية» (٤٥٧٩) .

لكن في مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٥٦) والبخاري في «تاريخه» (٥/ ٣٩) وغيرهما بإسنادٍ صحيح، قال صلى الله عليه وسلم : «... أَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ فَيَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةً خَضْرَاءَ ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَذَاكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ» .

(٣) حديث صحيح : أخرجه الترمذي (٣٣٣٢) ، والحاكم (٢/ ٢٥٠ -٢٥٢) .

فيها» [(١)]؟

فالجواب: إن حُسِّن حديث أبي سعيد الخدري .

فقد حمل ابن حبان في «صحيحه» [(٢)] الثياب على العمل ، وجمع البعض [(٣)] بينهما بأن البعث غير الحشر ، وقد يجوز أن يكون البعث مع الثياب والحشر مع العري والحفا ، وقد حمله بعض العلماء على أن الذين يُبعثون في أكفانهم هم شهداء أمة محمد ﷺ [(٤)]، وفيه نظر؛ لعدم وجود دليل على ذلك .

ومن شدة الموقف يوم القيامة

ما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** ﴾ [الحج : ٢] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾ [عبس : ٣٧] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً**» ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا

(١) وقد أخرجه أبو داود (٣١١٤) ، والحاكم (١/ ٣٤٠) بإسنادٍ يحسن إن شاء الله .

(٢) في «صحيح ابن حبان» (١٦/ ٣٨) .

(٣) فيما حكاه الخطابي في «معالم السنن» (١/ ٢٦٢ - ٢٦٣) ، وانظر «التمهيد» لابن عبد البر (١٩/ ١٤) .

(٤) قاله القرطبي في «التذكرة» ص(٢٢٦) .

يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ؟ قَالَ ﷺ : «**يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**»(١).

ومن سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ سورة «إذا الشمس كورت» (٢).

وإذا أردت النبي ﷺ في القيامة فلا يخطئ ثلاث مواطن : عند الصراط أو الميزان أو عند الحوض عند المواطن التي لا يعرف أحد أحدًا فيها

فَعَنْ أَنس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ : «**أَنَا فَاعِلٌ**» قَالَ :قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ ؟ قَالَ : «**أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ**» قَالَ : قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ ؟ قَالَ : «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ**» قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ ؟ قَالَ : «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لاَ أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلاثَ الْمَوَاطِنَ**»(٣).

ومن شدة حر النار

مَا قَالَه سَلْمَانُ رضي الله عنه ، قَالَ : تُعْطَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَرَّ عَشْرِ سِنِينَ ، ثُمَّ تُدْنَى مِنْ جَمَاجِمِ النَّاسِ حَتَّى تَكُونَ قَابَ قَوْسَيْنِ . قَالَ : فَيَعْرَقُونَ حَتَّى يَرْشَحَ الْعَرَقُ قَامَةً فِي الأَرْضِ ، ثُمَّ يَرْتَفِعُ حَتَّى يُغَرْغِرُ الرَّجُلُ ، قَالَ سَلْمَانُ

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٩٥) .

(٢) وقد ورد هذا عن النبي ﷺ فيما أخرجه الترمذي (٣٣٣٣) ، وأحمد (٢/ ٢٧ ، ٣٦ ، ١٠٠) بإسنادٍ جيد كما قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٥٦٤) .

(٣) حديث حسن أخرجه أحمد (٣/ ١٣٨) ، والترمذي (٢٤٣٣) .

رضي الله عنه : حَتَّى يَقُولَ الرَّجُلُ : غَرْ غَرْ ، فَإِذَا رَأَوْا مَا هُمْ فِيهِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ ، ائْتُوا أَبَاكُمْ آدَمَ فَلْيَشْفَعْ لَكُمْ(١).

وأول ما يسأل عنه يوم القيامة : عن نعمة الجسد والطعام والشراب

لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ :

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ **ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ** ﴾ قَالَ النَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَن أَيِّ النَّعِيمِ نُسْأَلُ فَإِنَّمَا هُمَا الأَسْوَدَانِ وَالْعَدُوُّ حَاضِرٌ وَسُيُوفُنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا ؟ قَالَ : «**إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ**».

وفي رواية : «إِنَّ أولَ ما يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ – يَعْنِي العَبْدُ – أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَم نُصِحَّ لَك جِسْمَكَ ، وَنُرْوِكَ مِنَ الماءِ البارِدِ» ؟(٢).

وفي صحيح مسلم عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لاِبْنِ عُمَرَ : كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِي النَّجْوَى ؟ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : «**يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عز وجل حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ ، قَالَ : فَيَقُولَ: إِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، قَالَ : فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ**

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٤٤٧) ، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨١٣) موقوفًا ، ومثله لا يقال من قبيل الرأي كما أشار الألباني رحمه الله .

(٢) وهو حديث حسن اختلف فيه على راويه محمد بن عمرو ، فروي عنه على وجوه ثلاثة فانظر «الفوائد النيرة» .

وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ»(١).

وعن أبي هريرة ﵁ قال : يُدني الله العبد يوم القيامة : فيضع عليه كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع إليه كتابه في ذلك الستر، فيقول : اقرأ – يا بن آدم – كتابك ، قال : فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه، ويمر بالسيئة فيسود لها وجهه ، قال : فيقول الله ﷻ : أتعرف يا عبدي؟ قال : فيقول : نعم يا رب أعرف، قال :أنا أعرف بها منك قد غفرتها لك ، قال : فلا تزال حسنة تقبل فيسجد وسيئة تغفر فيسجد فلا يرى الخلائق منه إلا ذلك ، ينادي بعضها بعضًا طوبى لهذا العبد لم يعص الله قط ، ولا يدرون ما قد لقي فيما بينه وبين الله ﷻ مما قد وقفه عليه (٢).

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ﵁ عن رسول الله ﷺ قال : «**أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا : لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟**» قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : «**فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي**» ، فَأَبَيْتَ إِلاَّ الشِّرْكَ (٣).

ويوم القيامة قصاص ... وترد المظالم إلى أهلها فويل للظالم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١) ، ومسلم (١٧٦٨) .

(٢) إسناده لا بأس به عن أبي هريرة ﵁ ، أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» ص(٢١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٣٤) ، ومسلم .

قال رسول الله ﷺ : «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»[١].

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**»[٢].

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ ، فَقَالَ : «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[٣].

وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينَارٌ أَوْ دِرْهَمٌ قُضِيَ مِنْ حَسَنَاتِهِ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ**»[٤].

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٤٤٩) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٨١) .

(٤) صحيح لطرقه : أخرجه ابن ماجة (٢٤١٤) ، والبيهقي في «الشعب» (٦٧٣٦) .

وفي حديث عبد الله بن أُنيس قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «**يَحْشُرُ اللَّهُ ﷻ النَّاسَ ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ عُرَاةً غُرْلا بُهْمًا**» ، قُلْتُ : مَا بُهْمًا ؟ قَالَ : «**لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ فَيُنَادِي بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يُطَالِبُهُ بِمَظْلِمَةٍ حَتَّى اللَّطْمَةِ**» ، قِيلَ : وَكَيْفَ وَإِنَّا نَأْتِي اللَّهَ ﷻ عُرَاةً غُرْلا بُهْمًا ؟ قَالَ : «**بِالْحَسَنَاتِ ، وَالسَّيِّئَاتِ**»[(١)].

وفي حديث جَابِرِ بْنِ عبدِ الله رضي الله عنهما قَالَ : لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمَ مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ قَالَ : «**أَلا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟**» قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ دفَعهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا فَلَمَّا ارْتَفَعَتْ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ : سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ وَجَمَعَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَتَكَلَّمَتْ الأَيْدِي وَالأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا؟ قَالَ : يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**صَدَقَتْ صَدَقَتْ كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ**»[(٢)].

---

(١) حديث حسن : أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٩) ، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٤) وفي «المثاني» (٢٠٣٤) وغيرهما ، وانظر «الفوائد النيرة» .

(٢) أخرجه ابن ماجة (٤٠١٠) وشواهد له عن بريدة عند أبي عاصم في «السنة» (٥٨٢) ، والحارث بن عبد المطلب عند الحاكم (٣/ ٢٥٦) ، وأبي سعيد عند ابن ماجة (٢٤٢٦) ، وعائشة عند =

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «**إن الله تعالى ليقضي يوم القيامة لهذه الجلحاء من هذه القرناء**»(١).

والدواب كلها تصغي بأذنيها يوم الجمعة تنتظر قيام الساعة

قال ﷺ : «**مَا مِنْ دَابَّةٍ إلا وَهِيَ مُسِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنْ السَّاعَةِ**»(٢). ومسيخة : أي مصغية، أي مستمعة.

وذلك لأن في هذا اليوم الصعقة .

كما قال ﷺ : «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ**

=

البزار (١٣٥٢) ، وابن مسعود عند الطبراني رقم (٢٢٢) ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عمر عند أبي نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٨) ، وقابوس بن مخارق عند الطبراني (٧٤٥) ، وأسماء بنت عميس عند ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٤٤) ، وشواهد بالمعنى خرجتها كلها في «الفوائد النيرة» والحديث ثابت .

(١) وهو حديث حسن لشواهده : أخرجه أحمد (٥/ ٤٧٢ – ٤٧٣) ، وله طريق آخر عند الطيالسي (٤٨٢) ، وفي رواية : أنه ﷺ سأله : يا أبا ذر أتدري فيم تنتطحان؟ قلت : لا يا رسول الله ﷺ ، قال : «لكن الله يدري ، ويقضي بينهما يوم القيامة» .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد (٢/ ٤٨٦) ، وأبو داود (١٠٤٦) ، والنسائي (١٤٢٩) ، وغيرهم ، وهو ثابت .

وفي الحديث دليل على أن الساعة تقوم يوم الجمعة ، والحديث الذي بعده أصرح في ذلك .

عَلَيَّ»[(١)].

ومن أوائل من يختصمون بين يدي الله ﷻ يوم القيامة – عمومًا – الجيران :

لحديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﵁ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ**»[(٢)].

أما أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء

لحديث ابن مسعود ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ**»[(٣)] أو أن المقصود الأوائل الذين بينهم هؤلاء .

والمقتول والقاتل يختصمان أمام الله ﷻ

وفي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ وَأَوْدَاجُهُ تَشْخُبُ دَمًا يَقُولُ : يَا رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي**

(١) صحيح : أخرجه أبو داود (١٠٤٧) ، وابن ماجة (١٠٨٥) ، وابن حبان (٩١٠) ، وغيرهم من حديث أوس بن أوس ﵁ .

(٢) وهو حديث حسن أخرجه الطبراني ، وراجع تخريجه في كتابي «فقه التعامل مع الجار وبيان حقوقه»

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٣٣) ، ومسلم (١٦٧٨) .

أما حديث «أوَّلُ ما يحاسبُ عليه العبد الصلاةُ ، وأولُ ما يُقْضَى بين الناس في الدماءِ» فشطره الأول المرفوع مضطرب من حديث أبي هريرة ﵁ لاختلافات في إسناده لكن صح موقوفًا بإسنادٍ بعيد عن الاختلافات ، وقد يقال له حكم الرفع والجمع بينه وبين أولية القضاء في الدماء ، أن الأول إنما يكون فيما بين العبد وبين ربه أن أول ما يحاسب عنه الصلاة أما فيما بين العبد والناس ففي الدماء ، وانظر «الفوائد النيرة» .

حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ»[١].

وأول من يجثو يوم القيامة بين يدي الرحمن للخصومة على بن أبي طالب رضي الله عنه

فقد قال عَلِيُّ بْن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَي الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، يريد قصة مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من كفار قريش قَالَ قَيْسٌ: وَفِيهِمْ نَزَلَتْ ﴿ **هَـٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ** ﴾[٢].

والأركان ستشهد يوم القيامة بما عملت

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النور: ٢٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [يس: ٦٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [فصلت: ٢١].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَضَحِكَ فَقَالَ:

---

(١) حسن لطرقه أخرجه النسائي (٤٠١٦)، والترمذي (٣٠٢٩)، وابن أبي عاصم في «الديات» (١٩).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٤٤).

«هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ ؟» قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ : «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ ، يَقُولُ : يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ ؟ قَالَ: يَقُولُ : بَلَى ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّى ، قَالَ : فَيَقُولُ : كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا ، قَالَ : فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ انْطِقِي ، قَالَ : فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ ، قَالَ : ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ ، قَالَ: فَيَقُولُ : بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»[(١)].

وإذا خلص المؤمنون – خلصنا الله ونجانا – يُحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ويقتص لبعضهم من بعض

لحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقتصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ ، مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»[(٢)].

والعاصي والفاجر والكافر يوبخون بين يدي الله ـ، والكافر يخلّد

لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، قَالا : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا ، وَمَالا

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٦٩) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٣٥) .

وَوَلَدًا ، وَسَخَّرْتُ لَكَ الأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ ، وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ، فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلاقِي يَوْمَكَ هَذَا ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : لا. فَيَقُولُ لَهُ : الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي»[١] أي : أتركك في العذاب كما تركت أوامري لك .

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «**يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيُقَالُ لَهُ : قَدْ كُنْتَ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ**»[٢] .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلانِ ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلاثَةُ ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذلِكَ فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ ؟ ، فَيَقُولُ : نَعَمْ فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ : لَهُمْ هَلْ بَلَّغَكُمْ هذَا ؟ فَيَقُولُونَ : لاَ ، فَيُقَالُ لَهُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ ، فَيُدْعى مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ بَلَّغَ هَذَا قَوْمَهُ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيُقَالُ : وَمَا عِلْمُكُمْ بِذلِكَ ، فَيَقُولُونَ : جَاءَنَا نَبِيُّنَا ﷺ فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ ، فَذلِكَ قَوْلُهُ ﷻ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾** [البقرة : ١٤٣] »[٣] .

---

(١) إسناده لا بأس به : أخرجه الترمذي (٢٤٢٨) ، وبنحوٍ من معناه في صحيح مسلم (٢٩٦٨).

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٢٣٨) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٣٣٣٩) .

وفي عرصات القيامة يُصَفَّح لمانع الزكاة صفائح من نار ويحمى عليها ، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، وكلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة

ففي حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**» ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : فَالإِبِلُ ؟ قَالَ : «**وَلاَ صَاحِبُ إِبِلٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا – إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلاً وَاحِدًا – تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**» ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ ، قَالَ : «**وَلاَ صَاحِبُ بَقَرٍ وَلاَ غَنَمٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ – لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ[1] وَلاَ جَلْحَاءُ[2] وَلاَ عَضْبَاءُ[3] تَنْطِحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ**

---

(١) عقصاء : أي التوى قرناه على أذنيها إلى الخلف .

(٢) جلحاء : لا قرن لها .

(٣) عضباء : مكسورة القرن .

وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»[١].

وفي صحيح البخاري من حديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً ، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ**[٢]**، لَهُ زَبِيبَتَانِ**[٣] **، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِى شِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ ، أَنَا كَنْزُكَ**» ، ثُمَّ تَلاَ : ﴿ **وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ** ﴾[٤] [آل عمران : ١٨٠] .

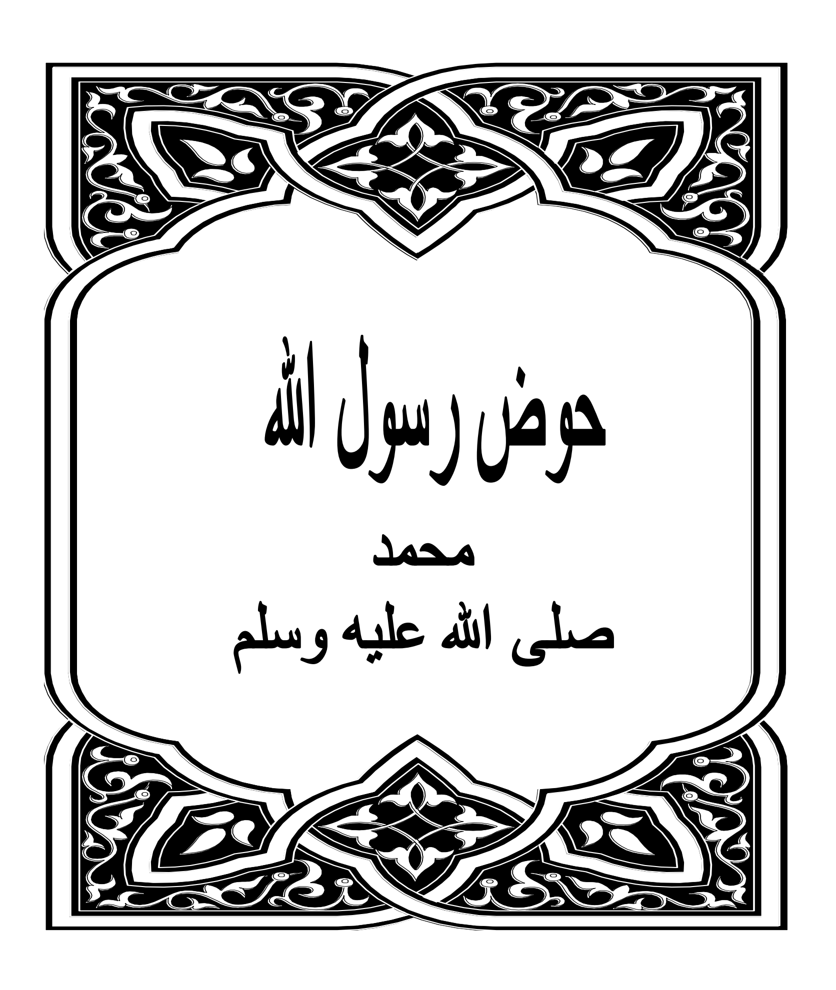
(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٤٠٢) ، ومسلم (٩٨٧) .

(٢) الشجاع : هو الذي يقوم على ذنبه فيواثب الفارس .

الأقرع : أي الذي سقط جلد رأسه لكثرة سمه .

(٣) زبيبتان : نقطتان سوءتان فوق عيني الحية .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٤٥٦٥) .



حوض رسول الله
محمد
صلى الله عليه وسلم

وللنبي ﷺ في القيامة حوض في الموقف

لما رواه البخاري عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ هَلُمَّ ، فَقُلْتُ : أَيْنَ ؟ قَالَ : إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ ، قُلْتُ : وَمَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالَ : إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى ، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ ، فَقَالَ : هَلُمَّ ، قُلْتُ : أَيْنَ ؟ قَالَ : إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ ، قُلْتُ : مَا شَأْنُهُمْ قَالَ إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى ، فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلاَّ مِثْلُ هَمَلِ**(١) **النَّعَمِ**»(٢).

وفي صحيح البخاري عَنْ أَنَس رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضَ ، حَتَّى عَرَفْتُهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِي ، فَأَقُولُ : أَصْحَابِي، فَيَقُولُ لاَ تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»(٣).

وفي الحديث : أن من أعظم أسباب حرمان الشرب من الحوض إلى جانب دخول النار لهذه الأمة البدع والإحداث في الدين والمخالفة لما كان عليه العهد في زمن النبي ﷺ

قال القرطبي رحمه الله : قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين : فكل من ارتد عن دين الله ، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ، ولم يأذن به الله فهو من المطرودين

(١) الهمل : المتروك المهمل : بلا عناية لقلته أو حقارة شأنه .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٨٧) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٢٨) ، ومسلم (٢٣٠٤) .

عن الحوض المبعدين عنه ، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين ، وفارق سبيلهم ؛ كالخوارج على اختلاف فرقها ، والروافض على تباين ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائها ، فهؤلاء كلهم مبدِّلون ، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق ، وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي ، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع ، ثم البُعد قد يكون في حال ويقرَّبون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ، ولم يكن في العقائد ، وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يُعرفون به ، ثم يقال لهم : سحقًا سحقًا ، ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان [1].

وهذا الحوض آنيته عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا

ففي حديث أَبِى ذَرٍّ ﷺ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ ؟ قَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ ، يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ [2]، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»**[1] .

---

(١) «التذكرة» للقرطبي ص(٣٣٠) بتحقيقي .

(٢) عمان: بلد على ساحل البحرين، والمقصود أن المسير نحو شهر يزيد أو ينقص، وإن اختلف في اسم البلدين الآن، لكنها تعني:مسافات متقاربة، وكلها ترجع إلى نحو نصف شهر أو تزيد على ذلك قليلاً، ومفاد الرواية الاتساع والتباعد.

وفي حديث ثَوْبَانَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي** [٢]**، أَذُودُ النَّاسَ لأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ**» ، فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ : «**مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ**» ، وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ : «**أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالآخَرُ مِنْ وَرِقٍ**»[٣] .

وهذا هو نهر الكوثر أعطاه الله لنبينا ﷺ

ففي صحيح مسلم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا : مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**» ، فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ** ﴾ ، ثُمَّ قَالَ : «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ ؟**»، فَقُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّى عز وجل ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ ، مِنْهُمْ فَأَقُولُ : رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ : مَا تَدْرِى مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ ؟**»[٤] .

=

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣٠٠) .

(٢) لبعقر حوضي: أي في أصل حوضي.

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣٠١) .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٥٩٥١) .

وفي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْـنِ الْعَـاصِ قَـالَ : قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ : **«حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِـنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلاَ يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»**[(١)].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا كَمَا بَيْنَ جَرْبَا وَأَذْرُحَ[(٢)] **فِيهِ أَبَارِيقُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَـنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا»**[(٣)].

وفي حديث أبي هريرة مرفوعًا :

«وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، أَلاَ لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ ، أُنَادِيهِمْ أَلاَ هَلُمَّ ، فَيُقَالُ : إِنَّهُـمْ قَـدْ بَـدَّلُوا بَعْـدَكَ ، فَـأَقُولُ : سُـحْقًا سُحْقًا»[(٤)].

وفي صحيح البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

«بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ ، قُلْـتُ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَـاكَ رَبُّـكَ . فَـإِذَا طِينُـهُ - أَوْ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٧٩) ، ومسلم (٢٢٩٢) واللفظ لمسلم .

(٢) وهما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٧٧) .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٤٩) .

طِيبُهُ – مِسْكٌ أَذْفَرُ»[١].

وفي حديث ابن عمر مرفوعًا[٢]: «**الكوثرُ : نهرٌ في الجنَّةِ حافتاهُ من ذهَـبٍ ، ومَجْراهُ على الدُّرِّ ، والْيَاقُوتِ ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ من الْمِسْكِ ، ومَـاؤُهُ أَحْلـى مـن الْعَسَلِ ، وأَبيضُ من الثَّلْجِ**»[٣].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٨١)، وانظر صحيح البخاري (٧٥٧١) .

(٢) وهو حديث إسناده قوي أخرجه أحمد (٢/ ٦٧ ، ١٥٨) ، والترمذي (٣٣٦١) .

وفي سنن الترمذي (٢٥٤٢) ، والنسائي في «الكبرى» بإسنادٍ صحيح من حديث أنس ﷺ قال : «سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا الْكَوْثَرُ ؟ قَالَ : «ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ – يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ – أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُزُرِ» ، قَال عُمَرُ : إِنَّ هَذِهِ لَنَاعِمَةٌ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَكَلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا».

(٣) وراجع ما دونته في كتابنا «التوضيحات الجلية في عقيدة أهل السنة والجماعة» بشأن الحوض .



الميزان

الميزان يوم القيامة

والميزان يوم القيامة له كفتان حسِّيتان مشاهدتان ميزان للأعمال ، وميزان للناس ، وميزان لصحائف الأعمال ، والله أعلم بكيفية ذلك

لحديث صاحب البطاقة ، وفيه : «**فَتُوضَعُ السِّجِلاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ قَالَ : فَطَاشَتْ السِّجِلاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ وَلا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**»(١).فهذا دليل على أن الصحائف توزن

الدليل على أن الأعمال توزن :

حديث أبي مالك الأشعري الذي أخرجه مسلم أن النبي ﷺ قال : «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ**»(٢).

وفي الصحيحين قوله ﷺ :

«**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**»(٣).

وأما الأدلة على ميزان الأبدان:

ما أخرجه البخاري من حديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ،**

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٢/ ٢١٣) ولعل الصواب رواية:«ولا يثقل مع اسم الله شيء» .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٣) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤٧٢٩) ، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وَقَالَ : اقْرَءُوا ﴿ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [(١)].

وفي حديث ابْنِ مَسْعُودٍ ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الأَرَاكِ ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مِمَ تَضْحَكُونَ ؟**» ، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ ، فَقَالَ : «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»[(٢)].

وقال عمر بن الخطاب : «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، فإنه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم يوم القيامة»[(٣)].

فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول :

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٧٢٩) ، ومسلم (٢٧٨٥)

تنبيه : ذكره القرطبي في «التذكرة» آخذًا من حديث أبي هريرة : «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» ، فيه من الفقه ذم السمن لمن تكلَّفه ؛ لما في ذلك من تكلُّف المطاعم والاشتغال بها عن المكارم ، بل يدل على تحريم كثرة الأكل الزائد على قدر الكفاية المبتغى به الترفه والسمن .

قلت : وفي الباب حديث : «إن أبغض الرجال إلى الله الحبر السمين» ، وقد أخرجه أحمد (٣/ ٤٧١) وفي إسناده رجل فيه جهالة ، وإن جوَّد السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص(٢٠٨) سنده ، وفي الباب أدلة أخرى تذمّ السمن .

(٢) حديث ثابت أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠ -٤٢١) وغيره .

(٣) قوي لطرقه أخرجه أحمد في «الزهد» ص(١٤٩) ، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥) ، وله طريق آخر عند ابن المبارك في «الزهد» (٣٠٦) تكلمت عليه في «الفوائد النيرة» برقم (٥٦٥) .

الأعمال أعراض لا تقبل الوزن ، وإنما يقبل الوزن الأجسام ، فإن الله يقلب الأعراض أجسامًا كما في تحويله للموت الذي هو عرض كبشًا ويذبح بين الجنة والنار(١).

ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع ، لخفاء الحكمة عليه ، ويقدح في النصوص بقوله : لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال »» وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنا ، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه وتعالى لجميع عباده ، فلا أحد أحب إليه العذر من الله عز وجل ، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين لكان ذلك كافياً في إقامة الميزان، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه ؟» فتأمل قول الملائكة لما قال الله لهم : ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٣٠] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا** ﴾ [الإسراء : ٨٥](٢).

وأما قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١٠٢ ، ١٠٣]

وحديث عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ

(١) كما يدل الحديث الذي في صحيح البخاري (٤٧٣٠) ، ومسلم (٢٨٤٩) .

(٢) راجع «شرح ابن أبي العز الحنفي للطحاوية» ص(٤١٢) .

عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ"، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ» ، قَالَ: «فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ»[1].

ففي الآية والحديث دليل على أن الصحائف أيضًا توزن كما هو ظاهر الحديث [2].

(١) حديث إسناده جيد أخرجه أحمد (٢/ ٢١٣) ، والترمذي (٢٦٣٩) ، وابن ماجة (٤٣٠٠) .

والكافر وإن لم تكن له حسنات فلا إشكال أن يكون الكفر في كفة والكفة الأخرى فارغة ، أو تكون حسناته التي عملها من صلة رحم وعتاقة وإعانة على نوائب الحق وصدقة ونحو ذلك يوضع في كفة ويوضع في الكفة الأخرى كفره فلا يعدل الكفر شيء ، وأما التخفيف الذي حصل لأبي طالب بإحاطته لرسول الله ﷺكما في صحيح مسلم (٢٠٩) ؛ فإنما كان ذلك خاصًا به بالدليل الوارد في ذلك ، وقد ورد في الحديث الصحيح أن الكافر إذا عمل حسنة يجزى بها حتى لا يكون له في الآخرة حسنة يجزى بها كما في صحيح مسلم (٢٨٠٨) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) وفي «شرح الواسطية» ص(٤٩٢) قال : ها هنا ثلاثة أشياء : العمل ، والعامل ، والصحائف **فقال بعض العلماء** : إن الجمع بينهما أن يقال : إن من الناس من يوزن عمله ، ومن الناس من يوزن صحائف عمله ، ومن الناس من يوزن هو بنفسه .

=

وأفضل ما يثقِّل الميزان يوم القيامة حسن الخلق

لقوله ﷺ : «**مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ خُلُقٍ حُسْنٍ**»(١) .

وهل لكل شخص ميزان أو لكل عمل ميزان فيكون في القيامة موازين

الجواب :

استدل بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ [الأنبياء : ٤٧] على تعدد الموازين .

فالموازين جمع ميزان ، وقد ذكر هنا الموازين بلفظ الجمع ، ويؤيده قوله عز وجل: ﴿**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ** ﴾ [الأعراف : ٩] .

لكن : يحتمل أن يكون الجمع للتفخيم كما في قوله عز وجل : ﴿ **كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [الشعراء : ١٠٥] مع أنه لم يُرسَل إليهم إلا رسولٌ واحد وهو

=

وقال بعض العلماء : الجمع بينهما أن يقال : أن المراد بوزن العمل ، أن العمل يوزن وهو في الصحائف ويبقى وزن صاحب العمل فيكون لبعض الناس ، ولكن عند التأمل : نجد أن أكثر النصوص تدل على أن الذي يوزن هو العمل ، ويخص بعض الناس فتوزن صحائف أعماله ، أو يوزن هو نفسه ، وأما ما ورد في حديث ابن مسعود وحديث صاحب البطاقة ، فقد يكون هذا أمر يخص الله عز وجل به من يشاء من عباده .

قلت «محمد» : وترك النصوص على ظاهرها والإيمان بها كذلك كما حصل من الصحابة في مسائل المعتقد أحسن فيقال : العمل يوزن والناس يوزنون وكذلك الصحائف ، أما كون بعض ذلك يكون لبعض الناس دون بعض ؛ فالخوض فيه مما لا فائدة منه تعود على المكلف ، ويكفي المؤمن الإيمان الإجمالي بظواهر الأدلة ، والله أعلم .

(١) إسناده صحيح : أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٠) ، وأبو داود (٤٧٩٩) .

نوح عليه السلام .

والذي يترجح : أنه ميزان واحد ، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله ؛ لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا(١).

وأنبه إلى : أن أعمال بني آدم جميعهم توزن حتى أعمال الكفار أيضًا توزن كما يدل عليه قوله ﷻ : ﴿ **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ . تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ . أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١٠٣- ١٠٥] .

وأما من قال : الكافر لا ثواب له وعمله مقابل بالعذاب ، فلا حسنة له توزن في موازين القيامة ، وقد قال الله ﷻ : ﴿ **فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا** ﴾ وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري ومسلم(٢) **مرفوعًا** : « **إِنَّهُ**

(١) رجحه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٦٥٢) .

وفي شرح الواسطية للعثيمين رحمه الله ص (٤٨٩)قال بعد أن ذكر«الموازين» بالجمع و«الميزان» بالإفراد وذكر أدلة ذلك :

جُمعت باعتبار الموزون حيث إنه متعدد ، وأُفردت باعتبار أن الميزان واحد أو ميزان كل أمة ، أو أن المراد بالميزان في قوله ﷺ : «ثقيلتان في الميزان» أي في الوزن .

ولكن الذي يظهر– والله أعلم – أن الميزان واحد ، وأنه جمع باعتبار الموزون بدليل قوله:﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ وفي هذا إعمال للأدلة كلها إن شاء الله، والله أعلم.

لكن يتوقف الإنسان: هل يكون ميزانًا واحدًا لجميع الأمم أم أن لكل أمة ميزان ؛ كما دلت عليه النصوص وتختلف كل أمة باعتبار أجرها ؟ .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٧٢٩) ، ومسلم (٢٧٨٥) .

لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» ، **فمتعقب** بأن ذلك مجازًا عن حقارة قدره ، ولا يلزم منه عدم الوزن.

وقد نُقل الإجماع من أهل السنة على الإيمان بالميزان ، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة ، وأن للميزان كفتان ، ويميل بالأعمال خلافًا للمعتزلة(١).

قال ﷺ : «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**»(٢) ثقّل الله موازيننا .

ويوم القيامة تتبع كل أمة ما كانت تعبد

لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ أَلا يَتْبَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ فَيُمَثَّلُ لِصَاحِبِ الصَّلِيبِ صَلِيبُهُ وَلِصَاحِبِ التَّصَاوِيرِ تَصَاوِيرُهُ وَلِصَاحِبِ النَّارِ نَارُهُ فَيَتْبَعُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَيَبْقَى الْمُسْلِمُونَ**»(٣).

وفي رواية : «**يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ**

---

(١) فراجع «فتح الباري» (١٣/ ٦٥٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦٣) .

(٣) إسناده جيد : أخرجه الترمذي (٢٥٥٧) ، وبعض فقراته في صحيح مسلم (١٩٤).

فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِى أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، وَفِى جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ ؟» ، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِىَ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمُ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى»[١].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٨٠٧) ، ومسلم (١٨٢) .

الصراط والمرور عليه

والمرور على الصراط كل على حسب عمله

قال ابن مسعود ﷺ : «وَيَأْمُرُ اللَّهُ بِالصِّرَاطِ فَيُضْرَبُ عَلَى جَهَنَّمَ ، قَالَ : فَيَمُرُّ النَّاسُ زُمَرًا عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ ، أَوَّلُهُمْ كَلَمْحِ الْبَرْقِ ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ ، ثُمَّ كَأَسْرَعِ الْبَهَائِمِ ، ثُمَّ كَذَلِكَ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ سَعْيًا ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ مَاشِيًا ، ثُمَّ يَكُون آخِرُهُمْ رَجُلٌ يَتَلَبَّطُ[1] عَلَى بَطْنِهِ ، يَقُولُ :يَا رَبِّ لِمَ أَبْطَأْتَ بِي ؟ ، فَيَقُولُ : لَمْ أُبْطِئْ بِكَ ، إِنَّمَا أَبْطَأَ بِكَ عَمَلُك»[2].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «**يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ ، عَلَيْهِ حَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَمَخْدُوشٌ بِهِ ثُمَّ نَاجٍ ، وَمُحْتَبِسٌ وَمَنْكُوسٌ فِيهَا**» [3].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ : «...**فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالاً فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْق**» . قَالَ : قُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ ؟ قَالَ : «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ**

---

(١) أي : يضطرب في الأرض .

(٢) إسناده جيد : أخرجه هناد في «الزهد» (٣٢٣) .

(٣) صحيح : أخرجه ابن ماجة (٨٢٨٠) .

حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفًا - قَالَ - وَفِى حَافَتَي الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ فِى النَّارِ» . وَالَّذِي نَفْسُ أَبِى هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا[1] .

وفي صحيح مسلم[2] : «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ» . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجِسْرُ ؟ قَالَ : «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ. فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوسٌ فِى نَارِ جَهَنَّمَ».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رضي الله عنه : «بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ». وفي رواية : «أدق من الشعر» .

ورحمة الله الرحمن الرحيم على العباد أوسع من رحمة الأم وغيرها بولدها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَجَعَلَ مِنْهَا فِى الأَرْضِ رَحْمَةً فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَإِذَا كَانَ

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٩٥) .

(٢) صحيح مسلم برقم (١٨٣٩) .

يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»[١].

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَبْتَغِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ**» ، قُلْنَا : لاَ وَاللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»[٢].

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٥٣) من حديث سلمان رضي الله عنه ، وهو في الصحيحين البخاري (٦٠٠٠) ، ومسلم (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٩٩٩) ، ومسلم (٢٧٥٤) .

أهل الجنة فيها وأهل النار

ومن اعتقادات أهل السنة أن الجنة والنار تحاجتا

لحديث أَبِى هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه قَـالَ : قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ : «**احْتَجَّـتِ النَّـارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ هَذِهِ : يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ ، وَقَالَتْ هَذِهِ : يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ ، فَقَالَ اللَّهُ عز وجل لِهَذِهِ : أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَرُبَّمَا قَالَ أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَقَالَ لِهَذِهِ : أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا**»[١].

والمراد بالمسكين : المتواضع .

وهذا التواضع مما يدخل صاحبه الجنة ، فالجنة يدخلها العدل ، المتصدق ، رقيق القلب ، المتواضع

وهذه من صفات من يدخل الجنة ومن يدخل النار[٢]:

عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال يومًا في خطبته : «**أهلُ الجَنةِ ثلاثةٌ : ذو سُلْطانٍ مُقسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكلِّ ذِي قُرْبَى ومُسْلِمٍ ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيالٍ ، قَالَ : وأَهلُ النَّارِ خَمْسَةٌ :**

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨٥٠) ، ومسلم (٢٨٤٦) .

(٢) ولي في ذلك كتاب «أعمال تدخل صاحبها الجنة» ، و«أعمال تدخل صاحبها النار» اقتصرت فيهما على الصحيح الوارد في الباب ، فجمعت فيهما كمًا ، وقد نفع الله بهما والحمد لله .

الضَّعِيفُ الَّذِي لا زَبْرَ لَهُ[١] الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لاَ يَبْتَغُونَ أَهْـلاً وَلاَ مَـالاً[٢]، وَالْخَائِنُ الَّذِي لاَ يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ – وَإِنْ دَقَّ إِلاَّ خَانَهُ ، وَرَجُـلٌ لاَ يُصْـبِحُ وَلاَ يُمْسِي إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكِ وَمَالِكَ وَذَكَرَ الْبُخْلَ وَالْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ[٣] الْفَحَّاشُ»[٤].

وفي حديث حَارِثَة بْنِ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ قَالَ سَـمِعْتُ النَّبِـيَّ ﷺ يَقُـولُ : «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ[٥] لَوْ أَقْسَـمَ عَلَـى اللَّـهِ لأَبَـرَّهُ ، أَلاَ**

(١) أي الذي لا عقل له يزبره ويمنعه مما لا ينبغي ، ومن لا عقل له يدفع به عن المفاسد ، ولا ينزجر عنها ، فحسبك به ضعفًا وخسارة في الدين .

(٢) والمعنى: أنهم لا يتبعون القوم لفساد ويطلبونه.

(٣) الشنظير : فسر بالفحَّاش الذي هو سيء الخلق .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٦٥) .

(٥) **متضعف** : أي يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا . وإذا قُرأت بكسر العين ؛ فمعناها : متواضع متذلل خامل واضع من نفسه ، وهو من رقة القلب ولينها وإخباتها للإيمان .

لو أقسم على الله لأبرّه أي : لو حلف يمينًا طمعًا في كرم الله ﷻ بإبرار لأبرَّه ، وقيل : لو دعا لأجابه ، والمعنى : أنه ضعيف في أمر الدنيا قوى في أمر دينه .

والمقصود بالعُتل : الجافي الشديد الخصومة بالباطل أو الجافي الغليظ .

والمقصود بالجواظ : الجموع المنوع ، وقيل : كثير اللحم المختال في مشيته ، وقيل : القصير البطين، وقيل : الأكول الشروب الظلوم .

والمستكبر : أي يغمط الناس ، ويتبطَّر على الحق ولا يقبله .

أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»[١] .

فهذه من الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار

وليس معنى الحديثين : استيعاب صفات من يدخلون الجنة ، وإنما المقصود: أن معظم أهل النار وأهل الجنة على هذه الصفات المذكورة .

وأكثر أهل النار وحطبها النساء ، لكفرانهن العشير والإحسان

لحديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدِّ**[٢] **مَحْبُوسُونَ**[٣] **إِلاَّ أَصْحَابَ النَّارِ فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ**»[٤] .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**وَأُرِيتُ النَّارَ ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**» ، قَالُوا : بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ **قَالَ** : «**بِكُفْرِهِنَّ**» ، قِيلَ : ويَكْفُرْنَ بِاللَّهِ ؟ **قَالَ** : «**يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٩١٨) ، ومسلم (٢٨٥٣) والمعنى: أنهم لا يتبعون القوم لفساد ويطلبونه.

(٢) أي : الغني .

(٣) المعنى : أنهم محبوسون من دخول الجنة مع الفقراء من أجل المحاسبة على المال الذي أعطاهم الله ﷻ إياه .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٤٧) ، ومسلم (٢٧٣٦) .

قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»[١].

وفي حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءُ»**[٢].

وأول من تسعَّر بهم النار يوم القيامة المرائي بأعماله الصالحة

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ : رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ: كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِىَ فِي النَّارِ»**[٣].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٠٥٢) ، ومسلم (٢٧٣٦) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٢٤١) ، ومسلم (٢٧٣٨) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (١٩٠٥) .

وثم جماعة يدخلون الجنة بغير حساب – جعلنا الله وأهلنا وزوينا منهم – وهم الذين لا يطلبون الرقية من أحد ولا يتشاءمون ولا يتداوون بالكي[(١)]

لما أخرجه مسلم عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**»، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَلاَ يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»[(٢)].

وفي حديث أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَعَدَنِي رَبِّي ﷻ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلاثَ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي**»[(٣)].

ولله الحمد والمنة أمة محمد ﷺ نصف أهل الجنة وأكثر

لحديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: يَا**

(١) وقد حمل القرطبي الأدلة المانعة من الرقية في «التذكرة» ص(٤٠٠) على رقى مخصوصة المشتملة على الشرك؛ لأنه ﷺ رقى نفسه، ورقى غيره، وأمر بالرقى، وكوى أصحابه واستأنس بقوله ﷺ الذي أخرجه مسلم (٢٢٠٠) لآل عمرو بن حزم: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لاَ بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»، وكذلك الكي الذي لا يوجد عنه غنى، فمن فعله في محله وعلى شرطه لم يكن ذلك مكروهًا في حقه، ولا منقصًا من فضله، ويجوز أن يكون من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب. والكراهة: إنما أتت من قوله ﷺ: «**وأنهى أمتي عن الكي**» أخرجه البخاري(٥٦٨٠) فهو جائز مع الكراهة.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٥١٨).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٥/٢٦٨)، والترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجة (٤٢٨٦).

آدَمُ ، فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ وَلَدِكَ ، قَالَ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَقَالَ : فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولُ اللَّهِ أَيُّنَا الرَّجُلُ ؟قَالَ:«أَبْشِرُوا ، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ وَمِنْكُمْ رَجُلٌ» ، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» ، فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا ، ثُمَّ قَالَ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَإِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ أَوِ كَالرَّقْمَةِ[(١)] فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ »[(٢)].

وقد قال ﷺ : «أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ»[(٣)].

ولجهنم سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها

لقول عَبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه :«يُؤتَى بِجَهَنَّم يَوم القِيامَةِ لَها سَبعُون أَلف زِمامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفِ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»[(٤)].ومثله لا يقال إلا توقيفًا.

---

(١) الرقمة : عظمة بارزة تُشبه الظفر في ذراع الدابة من الداخل .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٧٤١) ، ومسلم (٢٢٢) .

(٣) حديث صحيح : أخرجه الترمذي (٢٥٤٦) ، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٧٠) ، وراجع تخريجه وذكر شواهده في كتابنا «الفوائد النيرة» .

(٤) وهذا الحديث كذا صوابه الموقوف ، وإن كان الإمام مسلم أخرج المرفوع برقم (٢٨٤٢) ، =

والشمس والقمر مكوران يوم القيامة

قال النبي ﷺ :«**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(١)].

وهذه صفة جهنم وشدة عذابها

قَالَ أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : «أَتُرَوْنَهَا حَمْرَاءَ كَنَارِكُمْ؟

لَهِيَ أَسْوَدُ مِنْ الْقَارِ» وَالْقَارُ هُوَ الزِّفْتُ [(٢)].

وقد أخذه من قوله ﷺ : «**نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**» ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً ؟ قَالَ : «**فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا**»[(٣)].

=

لكن رجح الموقوف غير واحد من أهل العلم ؛ كالجارودي في «العلل» ص(١٥١) ، والدارقطني في «العلل»، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٤٤) ، وغيرهما فانظر «الفوائد النيرة».

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٠) .

وقد ورد مرفوعًا «إن الشمس والقمر مكوران عقيران – أي مقطوع إحدى قوائمه كما يسقط للذبح – في النار» ، وإسناده ضعيف ، واستشكل معناه عند من صححه لكونهما – أي الشمس والقمر – دائبين في طاعة الله ﷻ ؛ فكيف يعذِّب الله عبدين دائبين على الطاعة ، وأحسن الأجوبة – إن سلمنا جدلاً بالتصحيح – أنه ليس كونهما في النار أنهما يعذبان كما أن كون الحجارة في النار ليس فيه تعذيب لها ، وقدم الجبار سبحانه توضع في النار ولا تعذيب، وراجع «فتح الباري» (٦/ ٣٦٣) ، و«اللآلئ المصنوعة» للسيوطي (١/ ٤٦) .

(٢) أخرجه الترمذي ، ومالك ص(٩٩٤) ، وابن المبارك كما في «زوائد الزهد» (٣١٠)، والصواب: الموقوف ، كما قال الترمذي رحمه الله ، ولكن مثله مما لا يدرك بالرأي ، ولا يقال إلا توفيقًا كما أشار ابن عبد البر في «الاستذكار» (٢٧/ ٣٩٠) ، وراجع «الفوائد النيرة» .

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٦٥) ، وفي رواية عند مسلم (٢٨٤٣) زيادة : «مِثْلُ حَرِّهَا» .

وفي حديث أَنسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا – مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا – مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ**»[١].

والنار تتكلم يوم القيامة – يارب سلم كيف يكون صوت كلامها ؟»»

كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :«**اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الْحَرِّ – أي في الصيف – وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ – أي في الشتاء –**»[٢].

وانظر إلى مسافة قعرها

ففي حديث أبي هريرة ﷺ قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً[٣] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**تَدْرُونَ مَا هَذَا ؟**» ، قَالَ : قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : «**هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى**

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٠٧) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٣٧) ، ومسلم (٦١٧) .

(٣) الوجبة : هي الهدة ، وهو صوتٌ وقع الشيء الثقيل .

انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا»(١) .

وهذا مما للمتكبرين – يا ويلهم :

في حديث عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ مرفوعًا : «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ النَّاسِ يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ الصَّغَارِ حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُولَسُ ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ**»(٢) .

ويسحبون في النار لسجن يقال له : بولس ، تستغيث جهنم من شدة حرِّه نجانا الله من الكبر قليله وكثيره .

ومن تشديد العذاب على الكافر ونحوه : تعظيم خَلقه لينال تعذيبًا أعظم

ففي حديث أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**ضِرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاَثٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ**»(٣) .

وفي رواية قال :

«**إِنَّ غِلَظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَإِنَّ**

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٤٤) .

(٢) وإسناده حسن : أخرجه الحميدي في «مسنده» (٥٩٨) ، والبخاري في «الأدب المفرد» ، والترمذي (٢٤٩٢) ، ونعيم في «زوائد الزهد» (١٩١) ، وغيرهم ، وراجع تخريجه في «الفوائد النيرة» .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٥١) .

مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ»[١].

وفي رواية: «يعظمون لتملئ منهم وليذوقوا العذاب»[٢].

وفي رواية عن أبي هريرة موقوفًا قال:«ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء[٣]، وجنباه مثل الورقان ومجلسه من النار كما بيني وبين الربذة، وكثف بصره سبعون ذراعًا وبطنه مثل إضم»[٤].

وفي حديث عبيد بن عمير قال : قال رسول الله ﷺ : «**بُصر جلد الكافر – يعنى غلظ جلده – سبعون ذراعًا وضَرسه مثل أُحد وفي سائر خَلقه**»[٥].

وفي رواية عن أبي هريرة مرفوعًا : «إنّ غلظ جِلْدِ الكافِرِ اثْنانِ وأَرْبَعُونَ ذِرَاعاً بِذِرَاعِ الجَبَّارِ وإنَّ ضِرْسَهُ مِثلُ أُحُدٍ»[٦].

ومعنى بذراع الجبار: أي جبار من جبابرة الآدميين، كمثل قولك ذراع الخياط، وذراع النجار.

وقد حكى المناوي عن الذهبي:ليس ذا من الصفات في شيء وهو مثل

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي (٢٥٧٧) ، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦١٠) .

(٢) وهذه الزيادة أخرجها نعيم في «زوائده»على الزهد لابن المبارك عن يونس عن الزهري عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة ﷺ ، وظاهر إسناده الصحة، لولا أن نعيمًا نفسه متكلم فيه، وانظر«الفوائد النيرة» .

(٣) البيضاء: اسم لجبل في المدينة .

(٤) وهو حديث ثابت : أخرجه نعيم في «زوائد الزهد» (٣٠٤) ، والحاكم (٤/ ٥٩٥ -٥٩٦) .

(٥) أخرجه نعيم في «زوائد الزهد» (٣٠٥) وهناد في «الزهد»(٢٩٧) بإسنادٍ صحيح .

(٦) أخرجه ابن أبي عاصم في«السنة» (٦١٠).

قولك ذراع الخياط وذراع النجار.

وقال المناوي:« أراد به هنا مزيد الطول أو أن الجبار اسم ملك من اليمن أو العجم كان طويل الذراع»[1].

وفي صحيح مسلم قول إبراهيم عليه السلام:« إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ، إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ... الحديث»[2].

والمعذبون في النار يأخذهم العذاب بقدر معاصيهم

لحديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «**مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ**»[3]

وحديث عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ**»[4].

وفي حديث عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُود رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«**إِنَّ أَشَدُّ الناسِ عَذاباً يَوْمَ القِيامَةِ رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيّاً أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ أَوْ مُصَوِّرٌ يُصَوِّرُ**

---

(1) انظر «فيض القدير»(4/ 336).

(2) أخرجه مسلم(2371).

(3) أخرجه مسلم (2845).

(4) أخرجه البخاري(5950) ومسلم (2109).

التَّماثِيلَ»[١].

وفي حديث خالد بن الوليد ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدُّهُمْ عَذَابًا لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا**»[٢].

وفي الصحيحين من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**»[٣].

وهذا يبين أن أهل النار يتفاوتون في العذاب على قدر ذنوبهم نجانا الله ﷻ منها بكرمه وعفوه وغفرانه وسعة عطائه .

والخطباء والوعاظ والناصحون الذين يأمرون بالمعروف ولا يفعلوه ، وينهون عن المنكر ويأتوه

ففي حديث أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطَحْنِ الْحِمَارِ بِرَحَاهُ ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ**

(١) أخرجه أحمد(٣٨٦٨) والبزار(١٧٢٨) وإسناده جيد لولا أن في رواية عاصم عن أبي وائل كلام، وشطره الأخير بكل حال صحيح.

(٢) صحيح : أخرجه أحمد (٤/ ٩٠) ، والحميدي (٥٦٢) ، والطيالسي ، وغيرهم ، وله شاهد في «صحيح مسلم» (٢٦١٣) من حديث هشام بن حكيم بن حزام أنه مر على أُناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس ، فقال : ما شأنهم ؟ قالوا : حُبسوا على الجزية ، فقال هشام : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله ﷻ ليعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا» .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٦١) ، ومسلم (٢١٣) .

النَّارِ فَيَقُولُونَ : أَيْ فُلاَنُ : أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : إِنِّي كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ أَفْعَلُهُ ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ»[(١)].

ولفظ رواية مسلم : «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَيَقُولُونَ : يَا فُلاَنُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ ، فَيَقُولُ : بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**».

وفي حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بَي على قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقاريضَ مِنْ نارٍ كُلَّما قُرِضَتْ وَفَتْ ، فَقُلْتُ : يا جبريلُ مَنْ هؤلاءِ ؟ قال : خُطباءُ أُمَّتِكَ الذينَ يَقولونَ ما لا يَفْعَلونَ وَيَقْرَؤونَ كِتابَ الله ولا يَعْمَلُونَ بِهِ**»[(٢)].

ومن رأى المنكر ولم يغيره لا بلسانه ولا بقلبه ولا بيده استحق الأخذ بالعقوبة

ففي سنن الترمذي بإسنادٍ صحيح على شرط الشيخين أن النبي ﷺ قال : «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ ، لَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ**»[(٣)].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٢٦٧) ، ومسلم (٢٩٨٩) .

(٢) صحيح : أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (٣٣٠ ، ٢٨٥، بتحقيقي) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٦٨) ط الكتب العلمية .

(٣) صحيح : أخرجه الترمذي (٢١٦٨) ، وأبو داود (٤٣٣٨) وغيرهما ، وفي إسناده رجل حررت القول فيه في كتابي «الفوائد النيرة» ، فالحمد لله .

وَعَنِ الْعُرْسِ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الأَرْضِ ، كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا – وَقَالَ مَرَّةً : «أَنْكَرَهَا» – كَمَنْ غَابَ عَنْهَا ، وَمَنْ غَابَ عَنْها فَرَضِيَهَا ، كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا**»[1] .

وقال ﷺ : «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[2] .

ومن عقيدة المسلمين :

أن لا يعان أحد على ظلمه أو مخالفته للهدى إن كان حاكمًا أو غيره لقوله ﷻ : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة : ٢] .

وقال ﷺ لكعب بن عجرة : «**أُعِيذُكَ بِاللَّهِ يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ مِنْ أُمَرَاءَ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي فَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ فَصَدَّقَهُمْ فِي كَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ ، وَلا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ وَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ أَوْ لَمْ يَغْشَ فَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ فِي كَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا حَصِينَةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ**

---

(١) إسناده محتمل للتحسين : أخرجه أبو داود (٤٣٤٥) ، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٣٩) رقم (٣٤٥) ، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/ ٣١٣) ، وغيرهم ، وانظر «الفوائد النيرة» .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٤٩)

فالفتنة إذا عمَّت هلك الكل ، وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير ، وإذا لم يتغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها ، وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الأمم كما في قصة الرجل الذي قتل تسعةً وتسعين نفسًا .

إِنَّهُ لا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ»[١].

وتقدم في ذكر النفاق أن فعل هؤلاء من علامات النفاق

وأهل النار يبكون في النار حتى تجف الدموع ثم تسيل بدل الدموع دمًا

قَالَ أَبُو مُوسَى الأشعري رضي الله عنه : «**إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَبْكُونَ فِي النَّارِ ، حَتَّى لَوْ أُجْرِيَتِ السُّفُنُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَتْ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ الدَّمَ بَعْدَ الدُّمُوعِ ، وَلِمِثْلِ مَا هُمْ فِيهِ فَلْيَبْكِ البَاكِي**»[٢].

فليبك الإنسان في دنياه ليُخفف عنه من بكاء الآخرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**» فمن كثر بكاؤه خوفًا من الله سبحانه وتعالى وخشية منه ضحك كثيرًا في الآخرة .

قال الله سبحانه وتعالى عن أهل الجنة : ﴿ **إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ** ﴾ [الطور : ٢٦] .

وأهل الجنة يقولون : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ [فاطر/٣٤] فينبغي لمن لم يحزن أن يحزن .

ووصف سبحانه أهل النار بقوله :

﴿ **وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ** ﴾ المطففين : ٣١ أي مسرورين.

وقال سبحانه وتعالى عنهم : ﴿ **وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١١٠] .

---

(١) وهو حديث صحيح : أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٣) ، والنسائي في «الكبرى» (٧٨٣٠) ، والترمذي (٢٢٥٩) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٧) وغيره بإسنادٍ صحيح ، وقد روي مرفوعًا ولكن وقفه أصح .

وقال ﷻ عن قوم منافقين تخلفوا عن رسول الله ﷺ وفرحوا بذلك وكرهوا الجهاد مع رسول الله ﷺ لقلة فقههم : ﴿ **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [التوبة : ٨٢] .

وقوله ﷺ : «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ ﷻ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ : هَذَا فَكَاكُكَ مِنَ النَّارِ**»(١) .

لكن « كيف هذا والله ﷻ **يقول** : ﴿ **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ [**الزمر** : ٧] .

فالجواب : أنه ﷻ يضاعف عليهم عذاب ذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم مذنبي المسلمين – لو أخذوا بذلك ؛ لأنه ﷻ لا يأخذ أحدٌ بذنب أحد ، كما قال ﷻ : ﴿ **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ ، وله سبحانه أن يضاعف لمن يشاء العذاب ويخفف عمن يشاء بحكم إرادته ومشيئته ، إذ لا نسأل عن فعله، وفي الرواية الأخرى : «لاَ يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلاَّ أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا» (٢) فمعنى ذلك : أن المسلم المذنب لما كان يستحق مكانًا من النار بسبب ذنوبه وعفا الله عنه و بقي مكانه خاليًا منه ، أضاف الله تعالى ذلك المكان إلى يهودي أو نصراني ليعذب فيه زيادة على

---

(١) كما في صحيح مسلم (٢٧٦٧) .

وفي رواية : «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى» أخرجه مسلم (٢٧٦٧) أيضًا ، ومعنى «يغفرها» أي يسقط المؤاخذة عنهم بها حتى كأنهم لم يذنبوا .

وفي رواية أخرى : «لاَ يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلاَّ أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا» .

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٦٧) .

تعذيب مكانه الذي يستحقه[١] بحسب كفره .

و يشهد لهذا قوله ﷺ : في حديث أنس في شأن المؤمن الذي يثبت عند السؤال في القبر فيقال له : «**انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ**»[٢].

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا لَهُ مَنْزِلانِ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ**»[٣].

والموت يؤتى به ويذبح بين الجنة والنار

ففي حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «**إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُذْبَحُ ، ثُمَّ يُنَادِى مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لاَ مَوْتَ ، يَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ . وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ**»[٤].

وفي حديث أَبِى سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ**

---

(١) قاله القرطبي في «التذكرة» ص(٤٥٢) بتحقيقي .

(٢) وهذا في حديث البراء بن عازب الطويل الصحيح أيضًا الذي خرجناه في «الفوائد النيرة» (٢٦٩).

(٣) صحيح : أخرجه ابن ماجة (٤٣٤١) ، وهو صحيح قد صحح إسناده أيضًا القرطبي في «التذكرة» ص(٤٦٣) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٤٤) ، ومسلم (٢٨٥٠) .

الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، قَالَ : وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قَالَ : فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ ، هَذَا الْمَوْتُ ، قَالَ : فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ ، قَالَ : ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ» ، قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا»(١).

وفي رواية من حديث أَبِي سَعِيدٍ : «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أُتِيَ بِالْمَوْتِ كَالْكَبْشِ الأَمْلَحِ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُذْبَحُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا مَاتَ فَرَحًا لَمَاتَ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا مَاتَ حُزْنًا لَمَاتَ أَهْلُ النَّارِ»(٢).

وفي رواية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه :«ثُمَّ يُقَالُ:يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ»، وفي رواية : «لا مَوْتَ فِيهِ أَبَدًا»(٣).

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٧٣٠) ، ومسلم (٢٨٤٩) .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٥٨) ، وإن كان في إسناده ضعف إلا أنه يشهد لمعناه ما في الباب .

وفي رواية لحديث أبي هريرة مرفوعًا : «فيذبح ذبح الثور» ، أخرجه الترمذي (٢٥٥٧) بإسنادٍ صحيح.

(٣) انظر «سنن ابن ماجة» (٤٣٢٧) وإسناده صحيح .

أبدية النار وعدم فنائها

وهذا يدل على خلود أهل النار فيها لا إلى غاية

مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة تنفع ، ولا راحة ولا نجاة ، بل كما قال الله ﷻ في كتابه الكريم : ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ . وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا**﴾ [فاطر : ٣٦ ، ٣٧] ، وقال ﷻ: ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا** ﴾ [النساء : ٥٦] ، وقال ﷻ : ﴿ **فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ . يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ . وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ . كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا** ﴾ [الحج : ١٩ - ٢٢] .

فمن قال: إنهم يخرجون منها، وأن النار تبقى خالية، أوأنها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى المعقول، ومخالف لما جاء به الرسول ، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول .

﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ [النساء :

]. [1]

الجنة وبعض أحوال أهلها

وفي الاعتقادات في أبواب الجنة غيبيات تعتقد، منها : أن الجنة فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر

لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : قال : رسول الله ﷺ : «**يَقُولُ اللَّهُ عز وجل : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ : مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، ذُخْرًا ، بَلْهَ[2] مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ» ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا**

(١) «التذكرة للقرطبي» ص(٤٦٥) بتصرف ، لكن تعجب من قوله عفا الله عنه : «وإنما تخلى جهنم وهي الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد ، وهي التي ينبت على شفيرها الجرجير... ثم استدل بقول ورد عن عمرو بن العاص : «يأتي على النار زمان تنفق الرياح أبوابها ليس فيها أحد» وعزاه للبزار .

واستدل المناوي في «الفيض» (٥/ ٢٢١) على أن الخروج من النار لعصاة الموحدين بما رواه بن عدي عن أنس مرفوعًا : «ليأتين على جهنم يوم تصفق أبوابها ، ما فيها من أمة محمد ﷺ أحد» ، وإن كان معنى الحديث صحيحًا إلا أنه قد أخرجه الفسوي في «المعرفة» (٢/ ١٠٣) من طريق أبي بلج يحيى بن سليم عن عمرو بن ميمون به ، وقد عدَّه الذهبي في «الميزان» (٤/ ٣٨٥) من بلاياه وقال : «هذا منكر» .

(٢) بله : أي غير ، وقيل : اسم من أسماء الأفعال بمعنى : دع .

أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١].

قَالَ أبو هريرة رضي الله عنه : يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّ خُلِقَ الْخَلْقُ ؟ قَالَ : «**مِنَ الْمَاءِ**» قُلْت : الْجَنَّةُ مَا بِنَاؤُهَا ؟ قَالَ : «**لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَمِلاطُهَا الْمِسْكُ الأَذْفَرُ وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ**[٢]**وَالْيَاقُوتُ وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ لا يَبْأَسُ وَيَخْلُدُ لا يَمُوتُ لا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ وَلا يَفْنَى شَبَابُهُمْ**»[٣].

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاِبْنِ صَائِدٍ : «**مَا تُرْبَةُ الْجَنَّةِ؟**». قَالَ : دَرْمَكَةٌ[٤] بَيْضَاءُ مِسْكٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ : «**صَدَقْتَ**»[٥].

وفي رواية : أَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ فَقَالَ : «**دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ مِسْكٌ خَالِصٌ**»[٦].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٢٤٤) ، ومسلم (٢٨٢٤) . وسيأتي ذكر الحديث بزيادة له عند الترمذي إن شاء الله في ذكر أشجار الجنة .

(٢) ملاطها: أي طينها الذي يكون بين كل لبنتين أو ترابها الذي يخالطه الماء ، المسك الآذفر، أي الذي لا خلط فيه أو الشديد الريح قالوا: لكن لونه مشرف لا يشبه مسك الدنيا بل هو أبيض (وحصباؤها) أي حصاؤها الصغار

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٢٦) ، والطيالسي (٢٥٨٣) بإسناد فيه مقال ، ولكن له شواهد راجعها في كتابي «الفوائد النيرة» .

(٤) أي دقيق ، والمعنى : أنها في البياض من درمكة ، وفي الطيب مسك ، والدرمك هو : الدقيق الحواري الخالص البياض ، راجع «شرح النووي على صحيح مسلم» .

(٥) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٢٨) .

(٦) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٢٨) .

وقال أبو هريرة ﷺ : «حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ودرجها اللؤلؤ والياقوت . قال : «وكنا نُحَدَّث أن رضاختها اللؤلؤ وترابها الزعفران»[(١)].

وفي الجنة أنهار ؛ – فما ظنك – وفيها جبال مسك ؟»

قال الله ﷻ : ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى** ﴾ [محمد : ١٥][(٢)].

---

(١) أخرجه نعيم في «زوائد الزهد» (٢٥٢) ، وعبد الرزاق (٢٠٨٧٥) بإسناد رجاله ثقات من قول أبي هريرة ﷺ .

(٢) ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشرب من خمر الآخرة ، كما أن من شرب في آنية الذهب والفضة لم يشرب فيها في الآخرة ؛ لحديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا : «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة ومن شرب في آنية الفضة والذهب لم يشرب بهما في الآخرة ، ثم قال ﷺ : لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة» .

أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦٨٦٩) ، وابن ماجة (٣٣٧٤ مختصرًا) بإسناد حسن .

وله شواهد ، لكن يظهر أن ذلك إذا لم يتب لما أخرجه البخاري (٥٥٧٥) ، ومسلم (٢٠٠٣) من حديث ابن عمر ﷺ مرفوعًا : «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا، حُرِمَهَا فِي الآخِرَةِ» ، وفي «فتح الباري» (١٠ / ٤١) تحريرات ، والحديث محمول عند أهل السنة على أنه لا يدخلها ولا يشرب الخمر فيها إلا إن عفا الله ﷻ عنه كما في بقية الكبائر وهو في المشيئة ، فعلى هذا فمعنى الحديث :

جزاؤه في الآخرة أن يُحرَمها لحرمانه دخول الجنة إلا إن عفا الله ﷻ عنه ، وجائز أن يدخلها بالعفو ، ثم لا يشرب فيها خمرًا ولا تشتهيها نفسه ، وإن علم بوجودها فيها ، وهو نظير ما يحصل للابس الحرير في الدنيا من الرجال ، المبيَّن فيما أخرجه الطيالسي (٢٢١٧) بإسنادٍ حسن لغيره ، وقد =

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**أنهار في الجنة تخرج من تحت تلال أو جبال مسك**»[(١)].

وفي حديث حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ قال : «**إن في الجنة بحر الماء وبحر اللبن وبحر العسل وبحر الخمر ثم تتشقق الأنهار بعد ذلك**»[(٢)].

ويعتقد أهل السنة أن أشجار الجنة وثمارها كما وصفها سيد ولد آدم ﷺ

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : قَالَ اللهُ عز وجل : «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** [السجدة : ١٧] . **وَفِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ**

=

صحح إسناده القرطبي في «التذكرة» ص(٤٧٧) من حديث أبي سعيد مرفوعًا : «مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا ، لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ ، وَإِنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، لَبِسَهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَلَمْ يَلْبَسْهُ هُوَ» .
وقال القرطبي : «وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة و لم يلبسه» من قوله النبي ﷺ فهو الغاية في البيان ، وإن كان من قول الراوي على ما ذكر أنه موقوف فهو أعلم بالمقال ، وأقعد بالحال ، ومثله لا يقال من جهة الرأي» .

ومثل حديث أبي سعيد حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا : «مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي ، وَهُوَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ شُرْبَهَا فِي الْجَنَّةِ» أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٩) بإسنادٍ حسنه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٤١) وهو كذلك ، وراجع تخريج لفظه في «الفوائد النيرة» برقم (١٠٢٨) .

(١) حديث حسن : أخرجه ابن حبان (٧٤٠٨) ، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٢٦) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد (٥/ ٥) ، والترمذي (٢٥٧١) ، والدارمي (٢/ ٣٣٧) .

عَامٍ لا يَقْطَعُهَا ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾ [الواقعة : ٣٠] ، **وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَقَرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾** [آل عمران : ١٨٥] [١].

وفي حديث ابن عباس ﷺ في صلاة الكسوف ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلُ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ [٢]. قَالَ : «**إِنِّي أُرِيتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا ، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا**»[٣].

وكسوة أهل الجنة لا مثيل لها في الجمال

قال ﷻ : **﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾** [الكهف : ٣١] .

وقال ﷻ عن أهل الجنة : **﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾** [الحج : ٢٣] .

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ : أُهْدِيَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سَرَقَةٌ مِنْ حَرِيرٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ ، وَيَعْجَبُونَ مِنْ حُسْنِهَا وَلِينِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَتَعْجَبُونَ مِنْهَا ؟**». قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا**»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩٢)، وإسناده حسن، وأصله في صحيح البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) بغير: «وفي الجنة...إلخ»، وقد ورد تسميتها : شجرة الخلد، ولكن في الإسناد نظر.

(٢) تكعكعت : أي تأخرت .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٠٥٢) ، ومسلم (٩٠٧) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٣٨٠٢) ، ومسلم (٢٤٦٨) وفي رواية : أن الذي كساه إياها إنما =

ويا جمال نخيل الجنة وثمرها وخيرها»

قال ابن عباس ﵄ : «نخل الجنة جذوعها زمرّد أخضـر ، وكربهـا ذهـب أحمر ، وسعفها كسوة لأهل الجنة ، منها مقطعـاتهم وحللـهم ، وثمرهـا أمثـال القلال، والدلاء أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبـد لـيس له عَجَم»[(١)] أي: نوى.

وأصول – نخل الجنة – اللؤلؤ والذهب ، وأعلاها الثمر

فقد ورد عن جرير بن عبد الله البجلي عـن الـنبي ﷺ : أَنـه أَخَـذَ عُـودًا لاَ أَكَادُ أَرَاهُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ ، فَقَالَ : «يَا جَرِيرُ ، لَوْ طَلَبْت فِي الْجَنَّةِ مِثْـلَ هَـذَا الْعُـودِ لَمْ تَجِدْهُ» ، قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَيْنَ النَّخْلُ وَالشَّـجَرُ ، فَقَـالَ : «أُصُـولُهُ اللُّؤْلُؤُ وَالذَّهَبُ وَأَعْلاَهُ الثَمَرُ»[(٢)].

أما الزرع في الجنة : فكما في حديث أبي هريرة ﵁

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًـا يُحَـدِّثُ – وَعِنْـدَهُ رَجُـلٌ مِـنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ– : « **أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْـتَأْذَنَ رَبَّـهُ فِـي الـزَّرْعِ، فَقَـالَ أَوَ**

=

هو كسرى ، وإن الناس جعلوا يلمسونه» . أخرج ذلك هناد في «الزهد» (١٤٥) ، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٥) وغيرهما .

(١) إسناده لا بأس به: أخرجه الحسين المروزي في «زوائد الزهد» (١٤٨٨) – ووقع في إسناده سقط – وهناد في »الزهد» (١٠٧) .

(٢) وهو صحيح لكن موقوفًا أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٢٦) ، وهناد (٩٨) ، والبيهقي في «الشعب» (٨١٤٧) .

لَسْتَ فِيمَا شِئْتَ ؟ قَالَ بَلَى وَلَكِنِّى أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ ، فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ فَتَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ» ، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : لاَ تَجِدُ هَذَا إِلاَّ قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ . فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»[(١)].

وأنهار الجنة تفجَّر من الفردوس الذي هو أوسط الجنة وأعلاها ، وفوقه عرش الرحمن

لحديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَصَامَ رَمَضَانَ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا**» ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ : «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ [(٢)]، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ[(٣)] وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**»[(٤)].

وللجنة ثمانية أبواب

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٣٤٨) .

(٢) الفردوس : قال قتادة : ربوة الجنة .

(٣) أوسط أبواب الجنة : أي في الارتفاع ، وقيل : أوسطها ، وأعلاها ، وأفضلها ، وأرفعها .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٢٣) .

لحديث عمر بن الخطاب ﷺ قال : «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ – أَوْ فَيُسْبِغُ – الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»[1].

وبين المصراعين من مصاريع الجنة مسافات

لقول النبي ﷺ في حديث الشفاعة : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ : إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[2].

وأهل الجنة متفاضلون فيها

قال ﷺ : «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**»،

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣٤) ، وأعله الترمذي ، وليس بمتجّه ، والله أعلم .
وقد ورد الحديث بلفظ «إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ من أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» فاستدل به على أن أبواب الجنة أكثر من ثمانية أبواب ، ذكره القرطبي في «التذكرة» ص(٤٨٤) ، وغيره ، ومال إليه ، لكن في إسناده مقال بهذا السياق ، ولكن في صحيح البخاري (٣٠١٧) من حديث سهل رفعه .
«فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ لاَ يَدْخُلُهُ إِلاَّ الصَّائِمُونَ» ويؤيده حديث عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله رفعه .
«الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ» أخرجه الدارمي (٢٨١٨) بإسنادٍ فيه «سيء الحفظ» وانظر «الفوائد النيرة» عقب حديث (١١٩١) . رزقنا الله الحسنى وزيادة .

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٢) ، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة ﷺ .

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ ؟ قَالَ :« **بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**»[١] .

وقد سمى النبيُّ ﷺ بعضَ هذه الأبواب

ففي حديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، هَذَا خَيْرٌ ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ ، ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ**» ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**»[٢] .

وفي الجنة قصور من ذهب

قال النبي ﷺ : «**مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ**»[٣] .

وفي حديث بريدة بن الحُصيب قال : أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا بِلالا فَقَالَ : «**يَا بِلالُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي ، دَخَلْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي ، فَأَتَيْتُ عَلَى قَصْرٍ مُرَبَّعٍ مُشْرِفٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟** فَقَالُوا : لِرَجُلٍ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٢٥٦) ، ومسلم (٢٨٣١) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٨٩٧) ، ومسلم (١٠٢٧) .

(٣) صحيح : أخرجه ومسلم (٥٣٣) .

مِنْ الْعَرَبِ فَقُلْتُ : «**أَنَا عَرَبِيٌّ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟**» قَالُوا : لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قُلْتُ : «**أَنَا قُرَشِيٌّ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟**» قَالُوا : لِرَجُلٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ قُلْتُ : «**أَنَا مُحَمَّدٌ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟**» قَالُوا : لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ بِلالٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَذَّنْتُ قَطُّ إِلا صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ وَمَا أَصَابَنِي حَدَثٌ قَطُّ إِلا تَوَضَّأْتُ عِنْدَهَا وَرَأَيْتُ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**بِهِمَا**»[١].

وفي سنن الترمذي من حديث أنس قال : «**دَخَلْتُ الجَنَّة فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ» فَقُلْتُ : «لِمَنْ هَذَا ؟**» قَالُوا : لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ[٢].

وفي الحديث قول إسماعيل بن أبي خالد لعبد الله بن أبي أوفى: « أكان رسول الله ﷺ بَشَّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ نَعَمْ بَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ»[٣].

وفي الجنة سوقٌ وخيامٌ مرتفعة ستون ذراعًا في السماء

في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلاً ، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ ، مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ**».

(١) صحيح : أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٥٤ ، ٣٦٠) ، وفي «الفضائل» (٧١٣) ، والترمذي (٣٦٩٨) ، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٦٩) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٢٢٦) ، ومسلم (٢٣٩٤).

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٣٤٣٣) ، وانظر تبشير النبي ﷺ لها بذلك في صحيح البخاري (٣٨١٩) ، ومسلم (٢٤٣٣) .

وفي رواية قال :

«**الْخَيْمَةُ دُرَّةٌ طُولُهَا فِى السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلاً فِى كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ لِلْمُؤْمِنِ لاَ يَرَاهُمُ الآخَرُونَ**»[١] .

وفي حديث أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالاً فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالاً فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً. فَيَقُولُونَ وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً**»[٢] .

واعلم أن الفقراء يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام

لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِخَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ**»[٣] .

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ نِصْفِ يَوْمٍ**».

وفي طريق آخر: «**يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ**

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٣٨) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٣٣) .

(٣) صحيح لشواهده : أخرجه الترمذي (٢٣٥١) ، وأبو داود (٣٦٦٦) .

وَهُوَ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ»[١].

وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا»**[٢].

والمعنى : أنه يدخل الجنة سُبَّاق فقراء كل قرن قبل غير السُبَّاق من أغنيائهم بخمسمائة عام[٣].

وأهل الجنة هذه أوصافهم :

على صورة القمر ليلة البدر، أمشاطهم الذهب، لا يتفلون ، ولا يتمخطون ورشحُهم المسك ، ومجامرهم الألوة[٤] ، وأزواجهم الحور العين ، وزوجته يرى مخ ساقيها من وراء اللحم من الحسن .

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**«إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ** وفي رواية:– **من أمتي – عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً**، وفي رواية :– **ثم هم بعد ذلك منازل – لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وفي رواية:– الفضة– وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ**

---

(١) صحيح لشواهده : أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٣٤٨) ، وابن ماجة (٤١٢٢) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٧٩) .

(٣) كما قال القرطبي في «التذكرة» ص (٤٩٨) .

(٤) أي: العود الذي يُتبخَّر به

عُودُ الطِّيبِ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ .

وفي رواية : «**لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، مِنَ الْحُسْنِ ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا**»[(١)] .

وفي صحيح البخاري[(٢)] **عن أنس** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلأَتْهُ رِيحًا ، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «**أَهْلُ الْجَنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ كُحْلٌ لا يَفْنَى شَبَابُهُمْ وَلا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ**»[(٣)] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : «**إنَّ المَرأةَ مِنْ أهْلِ الجَنَّة لَيُرَى ساقها مِنْ وَرَاء سَبْعِينَ حُلَّةً حتى يرى مُخُّها، وذلكَ أن اللهَ تَبارَكَ وَتَعَالى يَقُولُ:﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾**»[(٤)][(٥)] .

وفي سنن الترمذي بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٢٤٥) ، ومسلم (٢٨٣٤) .

(٢) برقم (٢٧٩٦) .

(٣) صحيح : أخرجه الترمذي (٢٥٣٩) ، والدارمي (٤٨٢٨) .

(٤) صحيح موقوفًا : أخرجه الترمذي (٢٥٣٣) ، وهناد في «الزهد» (١١) .

(٥) الياقُوتُ : لَوْ أدْخَلْتَ فِيهِ سِلْكا ثُمَّ اسْتَصْفَيْتَهُ لرأيْتَهُ مِنْ وَرَائِه .

ﷺ قال : «**لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفُرٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَا لَتَزَخْرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَوْ أَنَّ رَجُلا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ**»(١) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : «إن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم من تحت سبعين حلة كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء»(٢) .

وفي الجنة أكل وشرب وجماع على وجه الحقيقة لا نقص فيه ولا نوم

لحديث جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلاَ يَتْفُلُونَ وَلاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ**» . قَالُوا : فَمَا بَالُ الطَّعَامِ ؟ قَالَ : «**جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ**»(٣) .

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا مِنْ الْجِمَاعِ**» قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَوَ يُطِيقُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : «**يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ**»(٤) .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٣٨) ، واستغربه ومعناه كذلك ، والله أعلم .

(٢) إسناده ثابت موقوفًا : أخرجه نعيم في «زوائد الزهد» (٢٦٠) ، وقد روي مرفوعًا ، ولا يصح وصوابه الموقوف ، والله أعلم .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٣٥) .

(٤) قوي لشواهده : أخرجه الترمذي (٢٥٣٦) ، والبزار (٣٥٢٦ كشف) وشاهده الآتي بعده

وفي حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه مرفوعًا : «**إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِئَةِ رَجُلٍ فِي الأَكْلِ ، وَالشُّرْبِ ، وَالْجِمَاعِ ، وَالشَّهْوَةِ**» ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ : فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**حَاجَةُ أَحَدِكُمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ ، فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمُرَ**»[1] .

وهل يكون في الجنة توالد ؟

ورد عن السلف في المسألة قولان: أولهما : إمكانية ذلك

لحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**الْمُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي**».

وهو حديث في إسناده مقال[2] ، وهو معارض بحديث : «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لا يَكُونُ لَهُمْ فِيهَا وَلَدٌ**». ولا يصح أيضاً .

يبدل المنغصات التي في الحمل والولادة لذة ، كما عَزَّ وَجَلَّ ولو كان ولادة فإن الله بدَّل الخمر التي هي مشتملة على كل بلية وشر ، وهي أم الخبائث ، بدلها سبحانه لذة للشاربين كما قال تعالى :«وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿١٥﴾﴾ محمد. والله أعلم بغيبه .

والجنة نعيمها دائم

لحديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**يُنَادِى**

---

(١) أخرجه أحمد : (٤/ ٣٦٧ ، ٣٧١) ، والدارمي (٢/ ٣٣٤) .

(٢) خرجته في «الفوائد النيرة» برقم (١١٤٢) ، ولو صح أحدهما لحسم النزاع في المسألة حكم التوالد في الجنة .

مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلاَ تَمُوتُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلاَ تَبْتَئِسُوا أَبَدًا . فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾»[١].

وحديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لاَ يَبْأَسُ لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُ»[٢].

والمرأة من الحور العين ترى زوجها وهو في الدنيا وتدعو على زوجته التي تؤذيه

لحديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ لا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللَّهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا»[٣].

وأدنى أهل الجنة منزلة له ما يبهر العقول ، فكيف بأعلاهم منزلة ؟» كتبها الله سبحانه وتعالى لنا

ففي حديث المغيرة بن شعبة عن رسول الله ﷺ قال : «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ ؟ فَيُقَالُ لَهُ : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ ، فَيَقُولُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ ،

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٣٧) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٣٨) .

(٣) وهو حديث إسناده جيد: أخرجه أحمد(٥/ ٢٤٢)، والترمذي(١١٧٤)، وابن ماجة(٢٠١٤).

فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ : رَضِيتُ رَبِّ ، فَيَقُولُ : هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ ، فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ . قَالَ : رَبِّ فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً قَالَ : أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». قَالَ : وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ الآيَةَ[(١)].

وأهل الجنة يحل عليهم رضوان الله وهو أفضل من كل ما أعطوه – فلا تحرمنا يا ربنا – فلا يسخط عليهم ربهم أبدًا .

ففي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ ، فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، فَيَقُولُ : أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟، فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»[(٢)].

وأهل الجنة يأكلون من ثمارها حيث شاءوا

قال الله ﷻ : ﴿ **وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا** ﴾ [الإنسان : ١٤]

قال البراء بن عازب ﷺ : «أهل الجنة يأكلون الثمار في الشجر كيف

---

(١) صحيح مرفوعًا وموقوفًا : أخرجه مسلم (٣١٢) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٤٩) ، ومسلم (٢٨٢٩) .

شاءوا جلوسا ومضطجعين وكيف شاءوا»[(١)].

وثبت أن المؤمنين يزورون ربهم يوم القيامة.

النار وبعض ما أُعدّ لأهلها

ومن اعتقادات أهل السنة اعتقادهم في جهنم أنها تشتمل على أهوال تشيب لها الولدان شيبًا

فمن ذلك وصفها : من كونها لظى نزاعة للشوى تنزع جلدة الرأس

قال الله ﷻ : ﴿ كَلا إِنَّهَا لَظَى . نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴾ [المعارج : ١٥ ، ١٦] .

وقال ﷻ : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ . لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٢٧ - ٢٩] أي مغيّرة عليهم .

وهي حامية كما قال ﷻ :﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة : ١٠ ، ١١] سلم يا رب سلم .

قال ابن مسعود ﵁ : «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ

---

(١) إسناده صحيح عنه : أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٤١) ، وهناد في «الزهد» (١٠٠) ، وقد علقه البخاري بصيغة الجزم .

زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»[(١)].

قال الله ﷻ : ﴿ **إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا** ﴾ [الفرقان : ١٢] أي تعظيمًا لغيظها وحنقها .

﴿ **تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ** ﴾ : أي تكاد تنشق نصفين من شدة غيظها .

وقال أبو هُرَيْرَةَ ﷺ عن النار : «أَتُرَوْنَهَا حَمْرَاءَ كَنَارِكُمْ هَذِهِ ، لَهِيَ أَسْوَدُ مِنْ الْقَارِ وَالْقَارُ الزِّفْتُ»[(٢)].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**». **قَالُوا : وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»**[(٣)].

وفي النار سجن يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ

---

(١) صحيح موقوفًا ، وإن كان مسلم أخرج المرفوع منه برقم (٢٨٤٢) كما قد رجح ذلك غير واحد من أهل العلم كالجارودي في «العلل» ص (١٥١) ، والدارقطني في «العلل» ، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٤٤) ، وغيرهم وقد سلف التنبيه على ذلك قبل .

(٢) أخرجه مالك ص (٩٩٤) بإسناد صحيح عن أبي هريرة ، ومثله لا يُقال من قبيل الرأي كما أشار إلى ذلك ابن عبد البر في «الاستذكار» (٢٧/ ٣٩٠) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٣٢٦٥) ، ومسلم (٢٨٤٣) ، وانظر مصنف «ابن أبي شيبة» (١٣/ ١٥٢) .

تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ[١].

وطينة الخبال : عرق أهل النار أو عصارتهم[٢].

مصير موتى الأطفال في الآخرة

وأطفال المسلمين والمشركين الذين ماتوا وهم صغار في الجنة إن شاء الله

أما أطفال المسلمين : فقد انعقد الإجماع على كونهم في الجنة[٣].

لقوله ﷻ : ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا** ﴾ [الإسراء : ١٥] وحديث رفع القلم عن ثلاث .

---

(١) إسناده حسن : أخرجه الحميدي (٥٩٨) في «مسنده» ، والبخاري في «الأدب المفرد» ، والترمذي (٢٤٩٢) .

(٢) فعَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَجُلاً قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ - وَجَيْشَانُ مِنَ الْيَمَنِ - فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الذُّرَةِ يُقَالُ لَهُ الْمِزْرُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَوَمُسْكِرٌ هُوَ». قَالَ : نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ إِنَّ عَلَى اللَّهِ ﷻ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ». قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ ؟ قَالَ : «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ». أخرجه مسلم (٢٠٠٢) .

(٣) وقد نقل هذا الإجماع ابن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ٣٤٨) ، والقرطبي في «التذكرة» ص (٥٤٦) ، والنووي فيما حكاه عنه الحافظ في «الفتح» (٣/ ٢٨٨) ، والإمام أحمد كما في «المنتخب من العلل» ص (٥٣) ، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٢) ونص كلام أحمد : قال الميموني: سَمِعْتُهُ يَقُولُ غَيْرَ مَرَّةٍ: « وَأَحَدٌ يَشُكُّ أَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ » . ثُمَّ أَمْلَى عَلَيْنَا الْأَحَادِيثَ فِيهِ، وَسَمِعْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ يَقُولُ: « هُوَ يُرْجَى لِأَبَوَيْهِ، كَيْفَ يُشَكُّ فِيهِ؟» .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٌ يَمُوتُ لَهُ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ**»(١) .

وقال : «**صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ - فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ بِيَدِهِ - كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا فَلاَ يَتَنَاهَى - أَوْ قَالَ فَلاَ يَنْتَهِي - حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ**»(٢) .

ومن يكون سببًا في حجب النار عن أبويه أولى بأن يُحجب هو ؛ لأنه أصل الرحمة وسببها، كما أشار أحمد رحمه الله في رواية الميموني .

وفي حديث سمرة الذي أخرجه البخاري في الرؤية : «وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ(٣) فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ».

أما أطفال المشركين فهم في الجنة - وإن كان في شأنهم خلاف بين العلماء -

والراجح أنهم في الجنة لعموم قوله ﷻ:﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا** ﴾ [الإسراء : ١٥] .

وقد قال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في ليلة المعراج ، وقد سأله عن الأولاد الذين حول إبراهيم عليه السلام في الجنة : «**وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ**

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٨)

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٣٥) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٣) أي حول إبراهيم ﷺ - وذلك لما رآه رسول الله ﷺ في ليلة المعراج .

مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ» . قَالَ : فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلاَدُ الْمُشْرِكِينَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**وَأَوْلاَدُ الْمُشْرِكِينَ...**»[١].

وهذا نص صريح في أنهم في الجنة .

قال القرطبي رحمه الله : وهذا يقتضي عموم جميع الناس[٢].

قاله ابن القيم رحمه الله **عن بعض العلماء** : هذا الحديث الصحيح الصريح هو فصل الخطاب[٣].

وقال ﷺ كذلك : «**النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ وَالْمَوْءُودَةُ فِي الْجَنَّةِ**»[٤].

وقال ﷺ كذلك: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ**»[٥].

قال الله تعالى :«**إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٤٧) .

(٢) «التذكرة» .

(٣) حكاه في «أحكام أهل الذمة» (٢/ ٦٣٣) ، وبنحوه قال في «طريق الهجرتين» ص (٥٧٨) .

(٤) وهو حديث حسن : أخرجه البزار (١٦٢٣ مختصر زوائد البزار) ، وحسن إسناده الحافظ في «الفتح» (٣/ ٢٩٠) ، والشوكاني في «أطفال الكفار في الآخرة» ص (٥٦) .

(٥) متفق عليه .

فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ»[(١)]. فإذا كانوا حنفاء، وهم لم يجر عليهم القلم فماذا؟

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٦٥) ويراجع المسألة بتوسع لمن أراد في كتابي «مصير موتى الأطفال في الآخرة» ، فقد ذكرت تسعة أقوال في المسألة ، ورجحت ما أشرت إليه هنا ، والله الموفق .

لكن لا يفوتني أن أنبه إلى أن ابن القيم في «طريق الهجرتين» ص (٥٨٧) تبع البيهقي في «الاعتقاد» ص (٢٠٤) وغيره في الجزم بأن الراجح في شأن أطفال المشركين أنهم يمتحنون في الآخرة ، وتبعهم الشيخ مشهور بن حسن سلمان في تعقباته على «شرح مسلم» للنووي ص (٢٢٣) وتبعهم جماعة من إخواننا الذين ألفّوا في هذا الباب ، وفيه نظر .

واستدل من قال بذلك بحديث معاذ الذي أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٨٣) رقم (١٥٨)، وفي إسناده عمرو بن واقد وهو متروك .

وبحديث أنس الذي أخرجه أبو يعلى (٤٢٢٤) ، والبزار (١٦١٧ مختصر) ، والبيهقي في «الاعتقاد» ص (٢٠٣ - ٢٠٤) ، وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف .

وبحديث أبي سعيد الخدري الذي أخرجه البغوي في «الجعديات» (٢٠٣٨) ، والبزار (١٦١٦ مختصر الزوائد) ، وفي إسناده عطية العوفي وهو ضعيف .

واستشهد له بحديث الأسود بن سريع الآتي في حكم موتى أطفال المشركين ، وحديث الأسود صحيح لكن ليس فيه ذكر للصبي فتنبه .

والحاصل :

أن الأحاديث الصحيحة في الاختبار وإن كانت ثابتة ولكن ليس فيها ذكر للمولود .

وقد جزم ابن عبد البر في « التمهيد» (١٨/ ١٣٠) بأن أحاديث الاختبار في الآخرة لا تقوم بها حجة .

وإن كان في بعض كلامه نظر ؛ لأن أحاديث الاختبار صحت في شأن جماعة يأتي ذكرهم ، وإن لم تصح بشأن المولود .

قال الحافظ في «الفتح» (٣/ ٢٩٠ - ٢٩١) :

وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ، ومن مات في الفترة من طرق صحيحة .

=

مصير الهرم والأصم والأحمق ومن لم تبلغه دعوة الإسلام

وأما مصير الهرم[(١)] ، ومن مات في الفترة ، والأصم الذي لا يسمع ، والأحمق ، ومن لم تبلغه دعوة الإسلام ، فإنهم يختبرون في الآخرة

دليل ذلك : حديث الأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَصَمُّ لا يَسْمَعُ شَيْئًا وَرَجُلٌ أَحْمَقُ وَرَجُلٌ هَرَمٌ وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ فَأَمَّا الأَصَمُّ فَيَقُولُ : رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الإِسْلامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا ، وَأَمَّا الأَحْمَقُ فَيَقُولُ : رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الإِسْلامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ ، وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ : رَبِّي لَقَدْ جَاءَ الإِسْلامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا ، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ : رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ قَالَ : فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلامًا ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبُ إِلَيْهَا**»[(٢)] .

وهذا مقتضى الحكمة الإلهية ؛ لأنه كُلِّف وقت القدرة فأبى ، فإذا كُلِّف

=

ومن رام المزيد فليرجع إلى رسالتنا المذكورة آنفًا «مصير موتى الأطفال في الآخرة» وهي مطبوعة بدار الصفا والمروة بالإسكندرية بمصر .

(١) الهرم : أي الذي كبر سنه حتى خرف .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد (٤/ ٢٤) ، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٤١) ، والطبراني (٨٤١)، وأبو نعيم في «المعرفة» (١/ ٢٧٢) ، والبيهقي في «الاعتقاد» (٢٠٢) ، وغيرهم ، وتمام تخريجي له في كتابي «مصير موتى الأطفال» ص (٥٨)

وقت العجز وقد حيل بينه وبين الفعل كان عقوبة له وحسرة[١].

وسدرة المنتهى[٢] في السماء السادسة وبعضها كالفروع والأغصان في السماء السابعة

وذلك جمعًا بين حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا : «**...ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ. قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى**»[٣].

وحديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه :

«**...فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قِيلَ : جِبْرِيلُ قِيلَ : مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ : مُحَمَّدٌ قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ ، وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : مَرْحَبًا بِكَ مِنِ ابْنٍ وَنَبِيٍّ ، فَرُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ : هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّى فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ ، وَرُفِعَتْ لِي**

(١) وأشار إلى ذلك الشوكاني في «أطفال الكفار في الآخرة» ص (٥٣ – ٥٤) .

(٢) وهي شجرة النبق ، وهي في أقصى الجنة ينتهي إليها علم الأولين والآخرين ولا يتعداها ومن عرج لا يتعداها ، أشار إلى ذلك الإمام ابن الأثير رحمه الله .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (١٦٢) .

سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى»[(١)].

وكيف يجمع بين هذا وبين :

قول ابن مسعود رضي الله عنه قال : «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا»[(٢)] ؟ .

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح» بعد أن جزم بعدم التعارض بين الخبرين :

«لأَنَّهُ يُحْمَل عَلَى أَنَّ أَصْلهَا فِي السَّمَاء السَّادِسَة وَأَغْصَانهَا وَفُرُوعهَا فِي السَّابِعَة ، وَلَيْسَ فِي السَّادِسَة مِنْهَا إِلا أَصْل سَاقهَا»[(٣)].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (١٦٤) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٧٣) ، وله حكم الرفع ، وقد صححه الحافظ في «الفتح» (٧/ ٢٦٢) مرفوعًا .

(٣) «فتح الباري» (٧/ ٢٦٢) .



الفتن والملاحم وأشراط الساعة

وفي أبواب الفتن والملاحم وأشراط الساعة اعتقادات وأعمال ينبغي الوقوف عندها ، فمن هذه الاعتقادات: أن من قال لا إله إلا الله عصم ماله ودمه إلا بحقه

لحديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»**(١).

وفي حديث أَبِى سَعِيدٍ الخدري قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : **«أَلاَ إِنَّ أَحْرَمَ الأَيَّامِ يَوْمُكُمْ هَذَا ، ألا وَإِنَّ أَحْرَمَ الشُّهُورِ شَهْرُكُمْ هَذَا ، ألا وَإِنَّ أَحْرَمَ الْبِلاَدِ بَلَدُكُمْ هَذَا ، أَلاَ وَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هذا في بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ»**(٢).

وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **«كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»**(٣).

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **«مَنْ أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ لَعَنَتْهُ الْمَلائِكَةُ»**(٤).

وفي حديث أَبِي الدَّرْدَاء يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : **«كُلُّ ذَنْبٍ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٩٤٦) ، ومسلم (٢١) .

(٢) صحيح : أخرجه ابن ماجة (٣٩٢١)، وهو في الصحيحين من حديث أبي بكرة بمعناه .

(٣) صحيح :أخرجه مسلم (٢٥٦٤) .

(٤) صحيح : أخرجه الترمذي (٢١٦٢) وغيره .

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلاَّ مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا»(١).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : **«لاَ يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا صَالِحًا مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ»**(٢).

ومعنى «بلح» : أي أعيا وانقطع .

وينبغي كف الإنسان عن الفتن، فلا يشارك فيها بقول ولا بفعل ولا بنحو ذلك

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ ، أَلاَ ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا ، أَلاَ فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ»** ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلاَ غَنَمٌ وَلاَ أَرْضٌ ؟ قَالَ : **«يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاةَ ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ؟»** ، قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ – فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي ؟

قَالَ : **«يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»**(٣).

---

(١) صحيح : أخرجه أبو داود (٤٢٧٠) مطولاً ، وابن حبان (٥٩٨٠) .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود (٤٢٧١) ، والطبراني في «الصغير» (٢/ ١٢١) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٨٧) .

وعن أَبي هُرَيْرَة ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**سَتَكُونُ فِتَنٌ ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**»(١) .

وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ**»(٢) .

♦ وهذا عملك في الفتنة والخلاف والفرقة أرشدك إليه النبي ﷺ

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «**إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ وَفُرْقَةٌ وَاخْتِلَافٌ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأْتِ بِسَيْفِكَ أُحُدًا فَاضْرِبْهُ حَتَّى تَقْطَعَهُ ، ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيَك يَدٌ خَاطِئَةٌ ، أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ**»(٣) .

وماذا ضرّ الحسن بن علي ﷺ تنازله عن الخلافة – التي هي أعظم أمور الأمة – إلى معاوية مع أن الحسن كان ﷺ أحق بها وفضائله أكثر، وكانت قوته وأعتاده وجنوده أقوى ؟!

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٦٠١) ، ومسلم (٢٨٨٦) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٩) .

(٣) بهذا السياق فيه ضعف، لكن لبعض معناه شاهد في صحيح مسلم، ويشهد لمعناه الآتي.

مُدح بالسيادة لأجل ذلك!! (١)

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا ، وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا ، وَيُصْبِحُ كَافِرًا الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي ، فَاكْسِرُوا قِسِيَّكُمْ وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ ، وَاضْرِبُوا بِسُيُوفِكُمْ الْحِجَارَةَ فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ بَيْتَهُ فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ**» (٢) .

وفي حديث سَعْدَ بْنَ أَبِى وَقَّاصٍ ﵁ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي وَبَسَطَ يَدَهُ لِيَقْتُلَنِي ؟ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**كُنْ كَابْنَيْ آدَمَ**» وَتَلا : ﴿ **لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [المائدة : ٢٨] (٣) .

---

(١) قاله ﷺ : «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ» .

(٢) **وإسناده قوي**: أخرجه أبو داود (٤٢٥٩) ، وابن ماجة (٣٩٦١) .

قال القرطبي ﵀ في «التذكرة» ص(٥٧٢) تعليقًا على الذي كان بين طائفة علي وطائفة معاوية ﵄ : «هذا وكانت تلك الفتنة والقتال بينهم على الاجتهاد منهم، فكان المصيب منهم له أجران ، والمخطئ له أجر ، ولم يكن قتال على الدنيا، فكيف اليوم الذي تسفك فيه الدماء باتباع الهوى طلبًا للملك والاستكثار من الدنيا؟! فواجب على الإنسان أن يكف اليد واللسان عند ظهور الفتن ونزول البلايا والمحن، نسأل الله السلامة و الفوز بدار الكرامة» .

قلت «محمد» : هذا يقوله القرطبي المتوفى سنة ٦٧١، فكيف الحال في زماننا؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٣) وهو حديث صحيح أخرجه الترمذي (٢١٩٤) ، وأبو داود (٤٢٥٧) .

♦ **وهذه وصية رسول الله ﷺ في مثل واقع المسلمين اليوم في شأن الفتن العامة**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ فَيُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً وَيَبْقَى حُثَالَةٌ مِنْ النَّاسِ ، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ ، وَاخْتَلَفُوا وَكَانُوا هَكَذَا وَهَكَذَا**» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، قَالُوا : كَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : «**تَأْخُذُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ وَتَدَعُونَ مَا تُنْكِرُونَ وَتُقْبِلُونَ عَلَى خَاصَّتِكُمْ وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ**»[١] .

وقوله ﷺ «**تَأْخُذُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ**» : أي بما يعرف في سنة رسول الله ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه رضي الله عنهم ، وليس المقصود المعروف في الأهواء وفيما درج عليه الناس في أعرافهم.. فتنبَّه .

وفي سنن النسائي بإسنادٍ صحيح عن عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بن العاص قَالَ :

قَالَ رسول الله ﷺ : «**إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا وَهَكَذَا**» ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ

قَالَ : فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ؟ قَالَ : «**الْزَمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ**[٢] **وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ**»[٣] .

---

(١) صحيح : أخرجه أبو داود (٤٣٤٢) ، وابن ماجة (٣٩٥٧) .

(٢) وهذا إذا كان للعبد علم ونظرصحيح مقتبس من الشرع .

(٣) صحيح : أخرجه أحمد (٢/ ٢١٢) ، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٣٣) .

♦ **ويحرم على المسلم رفع السلاح على أخيه أو حتى الإشارة له بحديدة**

قَالَ أَبُو بَكْرَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : **«إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»** ، قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : **«إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ»**.

وفي رواية : **«كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»**[١].

فمتى عُلم الباغي من غيره قُوتل الباغي كما في الآية : ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي** ﴾ [الحجرات : ٩] .

أما إذا كان القتال من أجل الدنيا، أو اتباع هوى أو نحو ذلك فالجميع سفهاء، فيتعين العمل بقوله ﷺ : **«خذوا على أيدي سفهاءكم»**[٢] أو الهرب من المنكر إذا كان سينقلب إلى منكر أعظم منه، والله أعلم [٣].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣١) ، ومسلم (٢٨٨٨) .

(٢) وقد أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٤٩) ، والبيهقي في «الشعب» (٧٥٧٧) بإسنادٍ محتمل للتحسين، وله شاهد ذكرته في كتابي «الفوائد النيرة» .

(٣) أما ما حصل بين الصحابة فليس هذا الحديث - إذا تواجه- فيهم أصلاً ، وإنما هم بين من له أجر

ومن له أجران كما يفهم هذا مما سنذكره عنهم من الأخبار الصحيحة في هذا الباب ، وتلك فتنة نجا الله سيوفنا منها، فلتنجو منها ألسنتنا و﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة : ١٣٤] وفقنا الله للفهم الحسن، ونجانا من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

والنجاة من الفتن كلها عند غلبتها إنما يكون بتعلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإتباع ما فيهما، ولزوم جماعة المسلمين التي على الحق عند غلبة الفتن ودعاة السوء في آخر الزمان

فَعَنْ نَصْر بْنِ عَاصِمٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ : أَتَيْنَا الْيَشْكُرِيَّ فِي رَهْطٍ مِنْ بَنِي لَيْثٍ ، فَقَالَ : مَنِ الْقَوْمُ ؟ فَقُلْنَا بَنُو لَيْثٍ : أَتَيْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : أَقْبَلْنَا مَعَ أَبِي مُوسَى قَافِلِينَ وَغَلَتْ الدَّوَابُّ بِالْكُوفَةِ ، فَاسْتَأْذَنْتُ أَنَا وَصَاحِبٌ لِي أَبَا مُوسَى ، فَأَذِنَ لَنَا ، فَقَدِمْنَا الْكُوفَةَ بَاكِرًا مِنْ النَّهَارِ ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : إِنِّي دَاخِلٌ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا قَامَتْ السُّوقُ خَرَجْتُ إِلَيْكَ ، قَالَ : فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا فِيهِ حَلْقَةٌ كَأَنَّمَا قُطِعَتْ رُءُوسُهُمْ يَسْتَمِعُونَ إِلَى حَدِيثِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، قَالَ : فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَامَ إِلَى جَنْبِي ، قَالَ : قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : أَبَصْرِيٌّ أَنْتَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : قَدْ عَرَفْتُ ، وَلَوْ كُنْتَ كُوفِيًّا لَمْ تَسْأَلْ عَنْ هَذَا، هَذَا حُذَيْفَةُ فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَسَمِعْتُ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه يَقُولُ : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَنَا أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ، وَعَرَفْتُ أَنَّ الْخَيْرَ لَنْ يَسْبِقَنِي ، قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَبَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ : «**يَا حُذَيْفَةُ : تَعَلَّمْ كِتَابَ اللَّهِ وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ**» ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَبَعْدَ هَذَا الشَّرِّ خَيْرٌ ؟ قَالَ : «**هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ وَجَمَاعَةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ**» ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : الْهُدْنَةُ عَلَى دَخَنٍ مَا هِيَ؟ قَالَ : «**لا تَرْجِعُ قُلُوبُ أَقْوَامٍ عَلَى الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ**» ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَبَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ : «**فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ صَمَّاءُ عَلَيْهَا دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ النَّارِ وَأَنْتَ أَنْ تَمُوتَ يَا حُذَيْفَةُ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتَّبِعَ**

أَحَدًا مِنْهُمْ»[١].

وهذا الحديث مروي في الصحيحين مختصر وفيه : «**دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**» ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : صِفْهُمْ لَنَا ، قَالَ : «**نَعَمْ ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**» ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : فَمَا تَرَى إِلانْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ؟ قَالَ : «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**» ، فَقُلْتُ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ ؟ قَالَ : «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ**»[٢].

وظهور الأمراض والفقر وغلاء الأسعار وجور السلطان وتسليط الأعداء على المسلمين وجعل بأس الأمة بينها شديد بسبب ظهور الفاحشة والمعاصي ونقص المكيال والميزان ومنع الزكاة .

وقال ﷻ : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

فعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إلا ظَهَرَ فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلافِهِمْ ، وَلا يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إلا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا الزَّكَاةَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إلا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لم يُمْطَرُوا ؛ وَلَمْ يُنَقَضُوا**

(١) **حديث صحيح:** أخرجه أبو داود (٤٢٤٤ ، ٤٢٥٤)، وفي أسانيده خلاف على حميد بن هلال ليس بمؤثر في صحته .

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (٣٦٠٦) ، ومسلم (١٨٤٧) .

عَهْدَ اللَّهِ وَلا عَهْدَ رَسُولِهِ إلا سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوهِمْ فَأَخَذَ بَعْضَ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ وَإِذَا لَمْ يَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ إلا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٍ»(١).

وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : **«إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ لاَ يُغَيِّرُونَهُ أَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ»**(٢).

ومن العقوبات: ظهور الأمراض ... ونحوها .

فلا يُنشْغَل بالأسباب عن مسببها – وفق الله عز وجل وسدَّد–

وقد قال الصحابة : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ غَلاَ السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا ، فَقَالَ : **«إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ ...»**(٣).

وأعظم الفتن بإطلاق فتنة النساء والمال

ففي حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **«مَا تَرَكْتُ بَعْدِى فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»**(٤).

وفي حديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **«إِنَّ الدُّنْيَا**

---

(١) **حديثٌ صحيح لشواهده:** أخرجه البزار (١٦٧٦ كشف) ، وابن ماجة ، والحاكم (٤/ ٥٤٠) وغيرهم وراجع تخريجه بتوسع في «الفوائد النيرة» .

(٢) أخرجه الإمام أحمد وغيره بإسنادٍ صحيح .

(٣) صحيح : وقد خرجته قبل في إثبات اسم الله المسعر .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٤٢) .

خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»[1].

وفي كتاب الله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** ﴾ [التغابن : ١٤] .

وفي كتاب الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ [التغابن : ١٥] .

وفي كتاب الله سبحانه وتعالى : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [التغابن : ١٦][2].

وفي كتاب الله سبحانه وتعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ [آل عمران : ١٤] .

ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ... الآية** ﴾ [آل عمران : ١٥] .

وقال ﷺ : **«إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ»**[3].

وإنما كانت الفتن كلها تحط لفتنة الدجال؛ لأن فتنة المال والنساء هي في

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي (٢٢٣٦) .

(٢) فالذي يعصم من فتنة المال والولد ، النفقة والسمع والطاعة لداعي الله سبحانه وتعالى .

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٦٠) ، والبخاري في «التاريخ» (٧/ ٢٢٢) ، وابن أبي عاصم في «المثاني» (٢٥١٦)، وبعض أصحاب السنن بإسنادٍ صحيح .

الحقيقة جزء من فتنة الدجال، ففتنة الدجال تشملها [١].

---

(١) قال ﷺ عن فتنة الدجال : «ليست من فتنة صغيرةٍ ولا كبيرةٍ إلا تضع لفتنة الدجال فمن نجا من فتنة ما قبلها نجا منها» أخرجه ابن حبان (٦٨٠٧) بإسنادٍ صحيح عن حذيفة ﵁ .

بعض الملاحم الأخرى وأشراط الساعة

وهذه ستة أمور تحدث قبل مجيء القيامة

في حديث عَوْف بْنَ مَالِكٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَهْوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ ، فقَالَ : «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ، مَوْتِى ، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا ، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلاَّ دَخَلَتْهُ ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**»[1].

وفي رواية زيادة : «**فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ** رضي الله عنه رضي الله عنها رحمه الله رضي الله عنهم**»[2].

وهذه ملحمة بين المسلمين والكفار أخبر بها رسول الله ﷺ

عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ : هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى[3] وَقَالَ : أَلاَّ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ ، قَالَ : فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا ، فَقَالَ : إِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ حَتَّى لاَ يُقْسَمَ مِيرَاثٌ ، وَلاَ يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ ،

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣١٧٦) .

(٢) صحيحة : أخرجها الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٤٢) رقم (٧٢) .

(٣) هجيرى الرجل: أي كلامه ودأبه وشأنه، والمعنى: ليس لهذا الرجل عادة في الكلام يأتي إلى ابن مسعود.

ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا - وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّامِ - فَقَالَ : عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الإِسْلاَمِ ، قُلْتُ : الرُّومَ تَعْنِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً ، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً ، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً ، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الإِسْلاَمِ فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً - إِمَّا قَالَ لاَ يُرَى مِثْلُهَا وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا - حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلاَ يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلاَّ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«إِنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»**[١] .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٩٩) .

ولا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك، وقد بين رسول الله ﷺ صفتهم

في حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :

«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزًا وَكَرْمَانَ مِنَ الأَعَاجِمِ ، حُمْرَ الْوُجُوهِ ، فُطْسَ الأُنُوفِ ، صِغَارَ الأَعْيُنِ ، وُجُوهُهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ[(١)] ، نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ»[(٢)].

وفي رواية : **« حُمْرَ الْوُجُوهِ ، صِغَارَ الأَعْيُنِ ، ذُلْفَ الأُنُوفِ»[(٣)].**

وفي رواية : **«يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ وَيَمْشُونَ فِي الشَّعَرِ»[(٤)].**

وفي حديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه :

«... عِرَاضَ الْوُجُوهِ كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ حَدَقُ الْجَرَادِ وَكَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ وَيَتَّخِذُونَ الدَّرَقَ[(٥)] حَتَّى يَرْبُطُوا خُيُولَهُمْ بِالنَّخْلِ»[(٦)].

ومعقل الملاحم أرض الشام، والإيمان فيها أيضًا

---

(١) أي: شبَّه وجوههم في عرضها ونتوء وجناتها بالترس والمطرقة .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٥٩٠) ، ومسلم (٢٩١٢) .

(٣) **دلف الأنوف:** قيل: معناه الصغر ، وقيل : استواء في طرف الأنف ليس بحدّ غليظ ، وقيل : تشمير الأنف عن الشفة العليا ، وقيل : غلظ في الأرنبة ، وقيل : ارتفاع طرفه مع صغر أرنبته ، وقيل : قصره مع انبطاحه ، وراجع الأقوال فيه في «فتح الباري» .

(٤) **صحيح:** أخرجه البخاري (٢٩٢٩) ، ومسلم (٢٩١٢) .

(٥) **الدرق:** جمع درقة وهي الترس من الجلد والخشب .

(٦) **وهو صحيح :** أخرجه أحمد (٣/ ٣١) ، وابن ماجة (٤٠٩٩) .

قَالَ أَبو الدَّرْدَاء : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ ، فَأَتْبَعْتُهُ بَبصَرِي فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ ، أَلاَ وَإِنَّ الإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ»(١) .

وفي رواية عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

«إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ»(٢) .

وبشرى لأهل الإسلام إذا وقعت الملاحم بعث الله ﷻ جيشًا يؤيد به الدين

فَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«إِذَا وَقَعَتْ الْمَلاحِمُ بَعَثَ اللَّهُ بَعْثًا مِنْ الْمَوَالِي – هُمْ أَكْرَمُ الْعَرَبِ فَرَسًا وَأَجْوَدُهُمْ سِلاحًا – يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِمْ الدِّينَ»(٣) .

دفع التعارض الظاهر بين أخبار خراب المدينة في آخر الزمان(٤)

---

(١) أخرجه البزار (٣٣٣٢ ، كشف) ، والطبراني في «مسند الشاميين» (٤٤٩) ، وهو صحيح كما قال عبد الحق الإشبيلي فيما حكاه عنه القرطبي في «التذكرة» ص(٦١٨) .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود (٤٢٩٨) ، والفسوي في «المعرفة» (٢/ ٢٩٠) .

(٣) حديث إسناده لا بأس به أخرجه ابن ماجة (٤٠٩٠) ، والحاكم (٤/ ٥٤٨) .

(٤) كقوله ﷺ : «يُوشِكُ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُحَاصَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبْعَدُ مَسَالِحِهِمْ سَلاَحَ» أخرجه أبو داود (٤٢٥٠ ، ٤٢٩٩) بإسنادٍ ضعيف يتقوى بطريق عند ابن حبان (٦٧٧١) كما بينته في «الفوائد النيرة» .

=

وقوله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ»[١]

هذا ليس بتعارض في الحقيقة .

فلا تعارض إذ المعنى «من أراد المدينة بسوء ...»، أي: في حياته .

وأما أحاديث الترغيب في سكناها وعدم الخروج منها، فربما كان عند فتح الأمصار ووجود الخيرات بها كما جاء في حديث سُفْيَانَ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : **«تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ**[٢] ، **فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ، وَتُفْتَحُ**

=

وسلاح قريب من خيبر .

وقوله ﷺ : «يَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ لاَ يَغْشَاهَا إِلاَّ الْعَوَافِي – يُرِيدُ عَوَافِيَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ» أخرجه مسلم (١٣٨٩) .

وفي حديث حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ : «أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ قَدْ سَأَلْتُهُ إِلاَّ أَنِّى لَمْ أَسْأَلْهُ مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ» أخرجه مسلم (٢٨٩١).

وقول أبي هريرة رضي الله عنه الذي في حكم المرفوع : «والذي نفسي بيده، ليكونن بالمدينة ملحمة يقال لها الحالقة ، لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين، فاخرجوا من المدينة ولو على قدر بريد» أخرجه عمر بن شيبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٢٨٠) بإسنادٍ صحيح قوله كما بينته في «الفوائد النيرة» (١٤٢١) .

(١) وهو في صحيح مسلم (١٣٨٧) .

(٢) أي يسيقون .

الشَّأْمُ ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ[١]**، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»**[٢].

فحضَّ على سكناها حين أخبر بانتقال الناس عنها عند فتح الأمصار؛ لأنها مستقرّ الوحي، وفيها مجاورته .

ففي حياته : صحبته ورؤية وجهه الكريم .

وبعد وفاته : مجاورة جسده الشريف، ومشاهدة آثاره العظيمة .

ولهذا قال ﷺ : **«لاَ يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا إِلاَّ كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا - أَوْ شَهِيدًا - لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[٣].

وقال ﷺ : **«مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا ، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا»**[٤].

ثم إذا تغيرت الأحوال واعتورتها الفتن والأهوال كان الخروج منها غير قادح، والانتقال منها حسنًا غير قادح[٥].

وقوله ﷺ : «**لا يخرج أحد منها رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرًا منه**».

---

(١) أي يُحملون من المدينة إلى هذه البلاد المفتتحة لسعة العيش فيها .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٨٧٥) ، ومسلم (١٣٨٨) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (١٢٧٧) .

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٧٤) ، والترمذي (٣٩١٧) بإسنادٍ صحيح ، وانظر تخريجه في «الفوائد النيرة» .

(٥) «التذكرة» للقرطبي ص(٦٢٢) .

فدل على أن ذلك محمول على حياته ، فإن الله ﷻ كان يعوض أبدًا رسوله ﷺ خيرًا ممن رغب عنه .

وفي آخر الزمان يخرج المهدي المنتظر ذلك الرجل الصالح ، وبين يديه يُمنع أهل العراق قفيزهم ودرهمهم من قِبَل العجم ، ويمنع أهل الشام دينارهم ومدَّهم من قبل الروم

فعَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه فَقَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ،يَمْنَعُونَ ذَاكَ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدْيٌ،قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً، ثُمَّ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«**يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا**»(١).

وقال ﷺ :«**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ الدُّنْيَا إلا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلا مِنِّي – أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي**»(٢).

وفي سنن أبي داود بإسنادٍ صحيح عن علي رضي الله عنه مرفوعًا : «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلاَّ يَوْمٌ لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلأُهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا**»(٣).

---

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٩١٣) .

(٢) **حديث حسن:** أخرجه أبو داود (٤٢٨٢) ، والترمذي (٢٢٣١) من حديث ابن مسعود .

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٨٣) .

وقد أخرج ابن ماجة(٤٠٨٤) ، والحاكم (٤/ ٤٦٣ - ٤٦٤) ، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥١٥) من حديث ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : «**يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلاثَةٌ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ثُمَّ لا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلاً لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ**» وإسناده على شرط مسلم كما قلت في تخريجه في «الفوائد النيرة» (١٤٥١) .

وعلامة خروج الدجال فتح القسطنطينية وهي روما الآن[1]

كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ ، فَإِذَا تَصَافُّوا ، قَالَتِ الرُّومُ : خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : لاَ وَاللَّهِ لاَ نُخَلِّى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا ، فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لاَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لاَ يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**

---

(١) وقد غُزيت هذه المدينة في زمن الصحابة ولم تفتح ، وكان فتحها في زمن السلطان العثماني محمد الثاني، والذي لقب بعدها بالفاتح سنة ٧٥٧ هـ ، وهذا من أشراط الساعة، كما قال أنس ﷺ : «فتح القسطنطينية مع قيام الساعة» أخرجه الترمذي (٢٢٣٩) بإسنادٍ صحيح موقوفًا، وله حكم الرفع، والله أعلم .

فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[١] .

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٩٧) .

أشراط الساعة

ابتداءً لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله، وكل ما أخبر به الـنبي ﷺ أنـه آت فلا بد أن يكون كما قال.

قال ﷺ : **«مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»**(١).

وثَمَّ حشدٌ من الأدلة يفيد اقترابها .

كما قال ﷻ : ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾ [القمر : ١] .

وقال ﷻ : ﴿ **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا** ﴾ [محمد : ١٨] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ** ﴾ [النحل : ٧٧] .

وقال ﷻ : ﴿ **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ** ﴾ [الأنبياء : ١] .

وقال ﷻ : ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾ [النحل : ١] .

وقال ﷺ : **«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»**(٢) وَضَمَّ بَينَ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى(٣).

---

(١) وقد أخرجه البخاري (٥٠) ، ومسلم (٨) .

(٢) والمعنى : أني أنا النبي الأخير ، فلا يليني نبي آخر ، وإنما تليني القيامة كما تلي السبابة الوسطى ، ليس بينهما إصبع أخرى .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٠٤) ، ومسلم (٢١٩٥١) .

مجمل علامات الساعة

اقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين، دعواهما واحدة في ثلاثة عشر علامة ، هي مجموعة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه :«**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهْوَ الْقَتْلُ ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لاَ أَرَبَ لِي بِهِ . وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ – يَعْنِي – آمَنُوا أَجْمَعُونَ ، فَذَلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا ، فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ وَلاَ يَطْوِيَانِهِ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلاَ يَطْعَمُهُ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهْوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا**»[١] .

ومن العلامات : **اضطراب أليات دوس حول الأصنام**

قال ﷺ : «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي**

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧١٢١) ، ومسلم (٢٨٨٨) .

الْخَلَصَةِ [١]، وَكَانَتْ صَنَمًا تَعْبُدُهَا دَوْسٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِتَبَالَةَ» [٢].

وخروج رجل من قحطان يسوق الناس بعصا

وقال ﷺ : «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ [٣]» [٤].

وخروج نار تضيء لها أعناق الإبل ببصرى

قال ﷺ : «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى» [٥].

وقال ﷺ : «سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ، قَالُوا : يَا

---

(١) وقد بعث النبي ﷺ جرير بن عبد الله البجلي إليها قال له ﷺ : **«أَلا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ»** وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمَ يُسَمَّى كَعْبَةَ الْيَمَانِيَةِ ، قَالَ : فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ وَكُنْتُ لا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ ، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي ، وَقَالَ : **«اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا»** فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَرَهَا وَحَرَّقَهَا ثُمَّ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْوَفُ أَوْ أَجْرَبُ ، قَالَ : **«فَبَارَكَ فِي خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ»** أخرجه البخاري (٣٠٢٠) ، ومسلم (١٠١٢).

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧١١٦) ، ومسلم (٢٩٠٦) .

(٣) «يسوق الناس بعصا» كناية عن استقامة الناس ، وانقيادهم إليه ، واتفاقهم عليه ، ولم يرد نفس العصا وإنما ضرب مثلاً لطاعتهم له ، واستيلائه عليهم ، إلا أن في ذكرها دليلاً على خشونته عليهم وعسفه بهم ... .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٣٥١٧) ، ومسلم (٢٩١٠) .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٧١١٨) ، ومسلم (٢٩٠٢) .

رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ : «**عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ**»[١].

وقال ﷺ : «**أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ**»[٢]، وقد حكي القرطبي في «التذكرة» خروج نار ذكرها ص(٦٥٤) .

وقال ﷺ : «**لاَ يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاَّتُ وَالْعُزَّى**»[٣].

وقبل القيامة تتكلم النعال والأسواط والسباع الإنس

كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ ، وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ ، وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا حَدَثَ فِي أَهْلِهِ بَعْدَهُ**»[٤].

ومن العلامات : كثرة المال ، وكثرة النساء ، وقلة الرجال ، وقلة العلم ، وظهور الجهل ، والزنا ، وقلة العلم

كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[٥] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ ، وَحَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا**».[٦]

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٨ ، ٦٩) ، والترمذي (٢٢١٧) بإسنادٍ صحيح ، وأُعل بما لم يُعلّ به .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٠٧) .

(٤) أخرجه الترمذي (٢١٨١) ، وأحمد (٣/ ٨٣) بإسناد صحيح.

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (١٤١٢) ، ومسلم (١٠١٢) .

(٦) وأول علم يرفع : ما في حديث زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ : ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَقَالَ : «**ذَاكَ عِنْدَ ذَهَابِ**
=

وفي حديث أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **«لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ ثُمَّ لاَ يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ ، قَالَ : وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً ، يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ»**[1] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا ، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ»**[2] .

ومن علامات الساعة : السلام على أهل المعرفة فقط ، وفشو التجارة ، وقطع

=

الْعِلْمِ» قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا ، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : **«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ إِنْ كُنْتُ لأَرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ ، أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ لا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا»** وهو حديث صحيح لشواهده : أخرجه أحمد (٤/ ١٦٠) ، وابن ماجة (٤٠٤٨) ، وله شواهد ذكرتها في «الفوائد النيرة» : وفيه أن ذلك ذُكر لشداد بن أوس فقال : صدق عوف بن مالك ، ألا أخبرك بأول ذلك يرفع ؟ الخشوع حتى لا ترى رجلاً خاشعًا» .

وهذا القدر أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٢٦ - ٢٧) والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٢٥٨) بإسنادٍ صحيح ، وقد حسنه القرطبي في «التذكرة» ص(٦٦٥) .

وقد بين ابن مسعود هذا بقوله : «ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ، ولكن إقامة حدوده» . أخرجه نعيم في «زوائد الزهد» (٢٠٣) بإسنادٍ لا بأس به .

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٤١٤) ، ومسلم (١٠١٢) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٨٠) ، ومسلم (٢٦٧١) .

الأرحام

ففي حديث أبي مسعود عن النبي ﷺ قال : «**إن بين يدي الساعة التسليم على الخاصة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وقطع الأرحام وفشو القلم وظهور شهادة الزور وكتمان شهادة الحق**»[١].

ومن علامات الساعة : حسر نهر الفرات عن كنز من ذهب

لحديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلاَ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا**».

وفي رواية : «**عَن جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ**».

وفي رواية : «**يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ لَعَلِّى أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو**»[٢].

وفي زيادة : «**فَيَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ عَشَرَةٍ تِسْعَةٌ**»[٣].

وقد اختار القرطبي رحمه الله وغيره أن النبي ﷺ إنما نهى عن الأخذ من ذلك الجبل لتقارب الأمر وظهور أشراطه ، فإن الركون إلى الدنيا والاستكثار مع ذلك جهل واغترار، ويحتمل أن يكون إذا حرصوا على النيل منه تدافعوا

---

(١) صحيح إلى قوله : «... حتى تعين المرأة زوجها على التجارة» دون الباقي ، وله طرق سقتها في كتابي « الفوائد النيرة» (١٥٠٣) ، وتكلمت على شواهد هناك ، والحاصل : أن ظهور الجهل مستلزم لحصول مصيبة وضرر يحدث بالناس .

(٢) صحيح : انظر صحيح البخاري (٧١١٩) ، ومسلم (٢٨٩٤) .

(٣) هذه الزيادة أخرجها ابن ماجة (٤٠٤٦) بإسناد حسن .

وتقاتلوا...»[١].

ومن علامات الساعة : ضياع الأمانة بتوسيد الأمر إلى غير أهله

كما قال النبي ﷺ في جوابه لمن جاء يسأل عن الساعة : «**إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**» قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : «**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»[٢].

وقد ذكر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ضياع الأمانة في آخر الزمان فقال : لاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ : إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلاً أَمِينًا حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ مَا أَجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَهُ! مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ .

ثم ذكر زمانه رضي الله عنه فقال : وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ ؛ لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ[٣] وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لأُبَايِعَ[٤] مِنْكُمْ إِلاَّ فُلاَنًا وَفُلاَنًا[٥].

ومن علامات الساعة : أن تقع المرأة تحت من تلد فيطؤها بزنا أو بشبهة بوجه أو بآخر ، وأن ترى الحفاة العراة العالة الصم البكم ملوك الأرض وهم سفهاء

(١) «التذكرة» للقرطبي ص (٦٥٦) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٩) ، ومسلم (١٠١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) ساعيه : أي من كان رئيسًا مقدمًا فيهم فهو والٍ عليهم، وهو ينصفني منه .

(٤) أي من البيع والشراء .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٦٤٩٧) ، ومسلم (١٤٣) .

القوم الجهلة التافهين – أمراء الناس وملوكهم – ، وهذا يدل على انتكاس المعايير والأقيسة عند القوم

قال ﷺ : **«أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»**(١).

وفي رواية : **«وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الأَرْضِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا»**(٢).

وفي حديث حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَان رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ بْنُ لُكَعٍ»**(٣).

واللكع هم اللئيم ، وقيل : الوسخ ، وقد يطلق على الصغير ، فإذا أطلق عليه أريد به صغير العقل والعلم.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : **«سَيَأْتِي عَلَى النَّاس سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ وَيَخُوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبَضَةُ** . قِيلَ : يَا رَسُول الله وَمَا الرُّوَيْبَضَةُ ؟ قَالَ : **«الرَّجُلُ التَّافِهُ**(٤) **يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ العَامَّةِ»**(٥).

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٨) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٠) .

(٣) صحيح لشواهده : أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٩) ، والترمذي (٢٢٠٩) ، وشواهده ذكرتها في «الفوائد النيرة» .

(٤) ومعنى التافه : أي الرجل الخسيس الخامل من الناس ، وكذلك كل شيء خسيس فهو تافه .

(٥) صحيح لشواهده : أخرجه أحمد (٢/ ٢٩١) ، وابن ماجة (٤٠٣٦) ، واللفظ له.

وهذا كله قد ظهر أكثره في زمن القرطبي[١] وشاع في الناس معظمه فَوُسّد الأمر إلى غير أهله، وصار رؤوس الناس أسافلهم وعبيدهم وجهالهم، فملكوا البلاد والحكم في العباد، فجمعوا الأموال وأطالوا البنيان كما هو مشاهد في هذه الأزمان ، فلا يسمعون موعظة و لا ينزجرون عن معصية ، فهم صمٌ بكمٌ عميٌ .

قال قتادة : صمٌّ عن استماع الحقِّ ، بُكْمٌ عن التكلمِ به ، عميٌ عن الإبصار له ، وهذه صفة أهل البادية و الجهالة .

وقد ذكر بعض العلماء وجهًا في «أن تلد الأمة ربتها»

قالوا : المراد أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة و السب[٢].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ :

سمعت شيخنا الأستاذ المحدث النحوي المقرئ أبا جعفر أحمد بن محمد بن محمد القيسي القرطبي المعروف بابن حجة يقوله غير مرة في تفسير «أن تلد الأمة ربتها» : الإخبار عن استيلاء الكفار على بلاد المسلمين كما في هذه الأزمان التي قد استولى فيها العدو على بلاد الأندلس وخراسان وغيرهما من البلدان فتسبى المرأة وهي حبلى،أو ولدها صغير فيفرَّق بينهما فيكبر الولد ،

---

(١) كما قال في «التذكرة» ص (٦٥٩) .

(٢) «التذكرة» للقرطبي ص (٦٥٩) .

فربما يجتمعان و يتزوجها ، كما قد وقع من ذلك كثير ، فإنا لله و إنا إليه راجعون واستدل القرطبي على ذلك : بحديث : «**لا تقوم الساعة حتى تكون الروم أكثر أهل الأرض**»(١).

ومن علامات الساعة : أن يكون الروم أكثر أهل الأرض

لقوله ﷺ : «**تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ**».

واستحلال لبس الحرير للرجال والزنا والغناء الفاحش والموسيقى ومسخ للبعض في صورة قردة وخنازير إلى يوم القيامة

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قال : «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِى الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُوا : ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا . فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ وَيَضَعُ الْعَلَمَ ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٢) (٣).

ومن علامات الساعة الكبرى : دروس الإسلام وذهاب القرآن ، فلا تقوم

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٩٨) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٥٩٠) وذكرت له طرقًا وشواهد في «الفوائد النيرة» .

(٣) وقد ورد أن الخسف والرجف يكون بالبصرة ، ففي حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «يَا أَنَسُ إِنَّ النَّاسَ يُمَصِّرُونَ أَمْصَارًا وَإِنَّ مِصْرًا مِنْهَا يُقَالُ لَهُ الْبَصْرَةُ أَوِ الْبُصَيْرَةُ فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِهَا أَوْ دَخَلْتَهَا فَإِيَّاكَ وَسِبَاخَهَا وَكِلاَءَهَا وَسُوقَهَا وَبَابَ أُمَرَائِهَا وَعَلَيْكَ بِضَوَاحِيهَا فَإِنَّهُ يَكُونُ بِهَا خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَرَجْفٌ وَقَوْمٌ يَبِيتُونَ يُصْبِحُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ». أخرجه أبو داود (٤٣٠٧) بإسناد صحيح .

الساعة إلا على شرار الخلق

قال رِبْعِيُّ بْنُ حِرَاشٍ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﵁ قَـالَ : قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ : «**يَدْرُسُ الإِسْلامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لا يُدْرَى مَـا صِـيَامٌ وَلا صَلاةٌ وَلا نُسُكٌ وَلا صَدَقَةٌ وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ﷿ فِي لَيْلَةٍ فَلا يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنْ النَّاسِ الشَّـيْخُ الْكَـبِيرُ وَالْعَجُـوزُ يَقُولُـونَ : أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَنَحْنُ نَقُولُهَا** فَقَالَ لَـهُ صِـلَةُ : مَـا تُغْنِي عَنْهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَهُمْ لا يَـدْرُونَ مَـا صَـلاةٌ وَلا صِـيَامٌ وَلا نُسُـكٌ وَلا صَدَقَةٌ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلاثًا كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ثُـمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ فَقَالَ يَا صِلَةُ تُنْجِيهِمْ مِنْ النَّارِ ثَلاثًا»[(١)].

وهذه عشر آيات لابد أن تكون قبل قيام الساعة

وهي في حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﵁ قَالَ :

اطَّلَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِـنْ غُرْفَـةٍ وَنَحْـنُ نَتَـذَاكَرُ السَّـاعَةَ فَقَـالَ : «**لا تَقُـومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالـدَّجَّالُ وَالـدُّخَانُ وَالدَّابَّةُ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَخُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﵇ وَثَـلاثُ خُسُـوفٍ : خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَنَارٌ تَخْـرُجُ مِـنْ قَعْرِ عَدَنِ أَبْيَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا**».

---

(١) صحيح مرفوعًا وموقوفًا : أخرجه ابن ماجة (٤٠٤٩) ، والبزار في «مسنده» (٢٨٣٨ مختصرًا) .

وفي رواية : «وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»[(١)].

وفي صحيح البخاري[(٢)] عن أنس رضي الله عنه قالَ النَّبِيُّ ﷺ :

«أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ».

وهل الدخان الذي ورد في قول النبي ﷺ «إِنهَا لَنْ تقُومَ حتَى ترَوْنَ عَشْرَ آيَاتٍ ، فذكر الدُخَانُ وَالدَّجَّالُ...»[(٣)].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًا الدَّجَّالَ وَالدُخَانَ وَدابَّةَ الأَرْضِ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا...الحديث»[(٤)].

هل هذا الدخان مضى أم لم يأت بعد ؟

الجواب :

قد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : «خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ الدُّخَانُ وَالْقَمَرُ وَالرُّومُ وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ»[(٥)].

وفي رواية عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ جُلُوسًا وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بَيْنَنَا

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (٢٩٠١) .

(٢) برقم (٢٥) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٠١) .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٤٧) .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨٢١) ، ومسلم (٢٧٩٨)، وقيل: اللزام هو القتل الذي كان يوم بدر، وقيل: اللزام هلكة أو أسر.

فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ قَاصًّا عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ يَقُصُّ وَيَزْعُمُ أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ تَجِيءُ فَتَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَجَلَسَ وَهُوَ غَضْبَانُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِمَا لاَ يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ** ﴾ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا فَقَالَ: : «**اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ**» قَالَ : فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ مِنَ الْجُوعِ وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ أَحَدُهُمْ فَيَرَى كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَبِصِلَةِ الرَّحِمِ وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا فَادْعُ اللَّهَ لَهُمْ - قَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ **إِنَّكُمْ عَائِدُونَ** ﴾. قَالَ أَفَيُكْشَفُ عَذَابُ الآخِرَةِ ﴿ **يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ** ﴾ فَالْبَطْشَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ وَآيَةُ الرُّومِ[1].

وجمعًا بين هذا وذاك يقال : ذلك دخانان أحدهما وقع على ما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، والآخر لم يقع على ما في حديثي أبي هريرة وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهما اللذين ذكرناهما في صدر المسألة ، وقد قال به جمع من العلماء ،

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٩٨) .

والله أعلم .

ومن علامات الساعة : نزول عيسى ﷺ وقتل المسيح الدجال ، وخروج يـأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، يظهـرون بعـد قتـل عيسـى ﷺ للـدجال عليه لعنة الله ، ثم يقضي الله ﷻ عليهم بدعاء نبي الله عيسى ﷺ وأصحابه

ففي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه بعد أن ضرب الدجال الشاب وقطعه جزلتين:«**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لاَ يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ. وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَي كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلاَ يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ**

الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لاَ يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّى بَرَكَتَكِ ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِى الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ[١] وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِى الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ[٢] وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِى الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[٣].

وهذا من خبر يأجوج ومأجوج

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ ﷻ أَنْ يَبْعَثَهُمْ إِلَى النَّاسِ حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَيَسْتَثْنِي فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيُنَشِّفُونَ الْمِيَاهَ وَيَتَحَصَّنَ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ

---

(١) الفئام: الجماعة الكثيرة.

(٢) الفخذ:الجماعة من الأقارب وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة.

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٣٧) .

وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ فَيَقُولُونَ قَهَرْنَا أَهْلَ الأَرْضِ وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا[١] فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا» ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الأَرْضِ لَتَسْمَنُ شَكَرًا مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ»[٢].

ومن علامات الساعة : خروج الدابة

قال ﷻ : ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ** ﴾ [النمل : ٨٢] .

وفي حديث أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوِ الدُّخَانَ أَوِ الدَّجَّالَ أَوِ الدَّابَّةَ... الحديث**»[٣].

آخر علامات الساعة الكبرى : طلوع الشمس من مغربها

فإذا خرجت ورآها الناس آمنوا فحينئذٍ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا

ففي حديث أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**ثَلاَثٌ إِذَا خَرَجْنَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الأَرْضِ**»[٤].

وفي حديث صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ قَالَ : قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :

---

(١) والنغف : دود طوال ، سود وغُبر وخضر ، تقطع الحرث في بطون الأرض

(٢) صحيح : أخرجه أحمد (٢/ ٥١٠ - ٥١١) ، وابن ماجة (٤٠٨٠) ، وغيرهما .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٤٧) .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (١٥٨) .

«إِنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ الْبَابُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ»[١].

وأحوال الناس عند قيام الساعة لا إيمان لأحدٍ فيهم

ففي حديث أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : **«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لاَ يُقَالَ فِي الأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ»**.

وفي رواية : **«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ اللَّهُ اللَّهُ»**[٢].

وفي حديث عَبْد اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو : «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، لاَ يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلاَّ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ : يَا عُقْبَةُ اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ ، فَقَالَ عُقْبَةُ : هُوَ أَعْلَمُ ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : **«لاَ تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»** ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَجَلْ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ ، مَسُّهَا كَمَسِّ الْحَرِيرِ فَلاَ تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٤/ ٢٣٩) ، والحميدي (٨٨١) ، والترمذي (٣٥٣٥) .

وأما بالنسبة لقبل هذا الوقت ؛ فإن الله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم تبلغ الروح الحلقوم .

لقوله ﷺ : **«إنَّ الله يَقْبَلُ توبةَ العبد ما لم يُغَرْغِرْ»**. وهو حديث حسن لشواهده خرجته في «الفوائد النيرة» .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٤٨) .

الإِيمَانِ إِلاَّ قَبَضَتْهُ ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[١].

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه :«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ النَّاسِ»[٢].

وفي حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : **«لاَ يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاَّتُ وَالْعُزَّى»** ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا ، قَالَ : **«إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيَبْقَى مَنْ لاَ خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ»**[٣].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : **«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ»**[٤].

وفي حديث النواس بن سمعان الذي أخرجه مسلم وقد تقدم : **«...فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»**[٥].

وهدم الكعبة في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٩٢٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٦٧) معلقًا ، ومسلم (٢٩٤٩) واللفظ له .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٠٧) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٧١١٦) ، ومسلم (٢٩٠٨) .

(٥) صحيح : أخرجه مسلم برقم (٢٩٣٧) .

قال ﷺ :«**كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ**[١]**، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا– يعني الكعبة**»[٢].

وهذه العلامات والأشراط للساعة أيهم جاءت قبل صاحبتها فالأخرى عقبها قريبًا منها

لحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا**»[٣].

والقيامة قد اقتربت بإرسال محمد ﷺ

قال ﷻ منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام: ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾ [القمر : ١] .

وقال ﷻ : ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾

وقال ﷺ : «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ ، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤمَرُ بِالنَّفْخِ ؟!!**» ، فَكَأَنَّ ذلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ رسولِ الله ﷺ فَقَالَ لَهُمْ : قُولُوا : «**حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ**»[٤].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن طرف صاحب**

(١) الفحج : هو تباعد ما بين الساقين .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري برقم (١٥٩٥) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٤١) .

(٤) **حديثٌ حسن:** أخرجه أبو يعلى (١٠٨٤) وابن حبان (٨٢٣) من حديث أبي سعيد .

الصور منذ وكِّل به مستعدًا ينظر حول العرش مخافة أن يؤمر بالصيحة قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان»[١].

وفي حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلاَ صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ : «**صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ**» ، وَيَقُولُ : «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**» ، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى»[٢].

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٤٦ ، ٥٢) بإسنادٍ حسن بما قبله .

(٢) **صحيح** : أخرجه مسلم (٨٦٧) .



الدجال الأعور - لعنة الله عليه - وأوصافه

ومن علامات الساعة :

ظهور الدجال الكذاب الأعور الذي يغطي الحق ويستره بسحره وكذبه كما يغطي الرجل جرب بعيره بالقطران .

يدعو الناس إلى عبادته مدعيًا بدجله أنه الله المعبود .

وما من فتنة إلى قيام الساعة إلا تحط لفتنة الدجال هذا ، وإن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات .

أما وصفه :

فأجلى الجبهة ممسوح العين اليسرى وعريض المنخر، وفي أنفه انحناء، دميم الخِلْقة .

ففي حديث الْفَلَتَان بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

«أَمَّا مَسِيحُ الضَّلَالَة، فَرَجُلٌ أَجْلَى الْجَبْهَةِ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى ، عَرِيضُ النَّحْرِ فِيهِ دَفَاءٌ كَأَنَّهُ فُلَانُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى ، أَوْ عَبْدُ الْعُزَّى بْنُ فُلَانٍ»[1] .

وهو أعور العين اليسرى ، كثير الشعر وشعره ملتوٍ منتفش كأن رأسه غصن

(١) **إسناده حسن** : وقد أخرجه ابن أبي شيبة (١٢٥/ ١٢٩) وفي طبعة «الكتب العلمية» (٧/ ٤٨٨) اللفظ: «فيه دمامة» وليس فيه لفظة «فيه دفاء» والدفاء هو الانحناء .

وفي صحيح البخاري (٣٤٣٩) ، ومسلم (١٦٩) من حديث ابن عمر قال : ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَيِ النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ، فَقَالَ : **«إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، أَلاَ إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»**.

والجمع بينهما : أن عينه اليمنى كأنها عنبة طافية ، يعني : أن بها نقصًا في الخلق ، والعين اليسرى ممسوحة، وهذا لإظهار كمال نقصه والحمد لله رب العالمين .

شجرة ، ومعه جنة ونار ، ومكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن – كاتب وغير كاتب –

ففي حديث حذيفة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : **«الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى جُفَالُ الشَّعَرِ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ».**

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«لأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ وَالآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِى يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ [(١)] مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»**[(٢)].

وفي حديث ابن عمر ﵄ مرفوعًا: **«...وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلاً جَعْدًا قَطَطًا أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَى»**[(٣)].

وفي حديث ابن عباس ﵄ : **«إِنَّ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ جَعْدٌ هِجَانٌ أَقْمَرُ ، كَأَنَّ رَأْسَهُ غَصْنَةُ شَجَرَةٍ ، أَشْبَهُ النَّاسِ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ ، فَإِمَّا هَلَكَ الْهُلُكُ فَإِنَّهُ أَعْوَرُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»** [(٤)].

ووصف آخر لعينيه فكأنها زجاجة خضراء

ففي حديث أبي بن كعب ﵁ قال : ذُكر الدجال عند النبي ﷺ أو قال

---

(١) **ظفرة غليظة :** أي جلدة تغشى العين .

(٢) صحيح : متفق عليه .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٣٤٣٩) ، ومسلم (١٦٩) .

(٤) صحيح : أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ١٣٢ - ١٣٣) .

ذَكَرَ النبي ﷺ الدجال ، فقال : «**إِحْدَى عَيْنَيْهِ كَأَنَّهَا زُجَاجَةٌ خَضْرَاءُ**»[١].

وفي سنن أبي داود بإسناد حسن عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لاَ تَعْقِلُوا إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجُ جَعْدٌ أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ وَلاَ جَحْرَاءَ فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»[٢].

وهو كبير الجسد «عظيم الخَلق» أعظم الناس خلقًا

قال ﷺ : «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ**»[٣].

وفي حديث تميم الداري : «**فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا**».

وهو يخرج للناس بسبب غضبة يغضبها

ففي حديث ابن عمرأنه لَقِيَ ابْنَ صَائِدٍ [٤]فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ قَوْلاً أَغْضَبَهُ فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلأَ السِّكَّةَ، فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا ، فَقَالَتْ لَهُ :رَحِمَكَ اللَّهُ مَا أَرَدْتَ مِنِ ابْنِ صَائِدٍ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا**» [٥].

---

(١) صحيح : أخرجه الطيالسي (٥٤٦) ، وأحمد (٥/ ١٢٣ - ١٢٤) .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٠) وغيره .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٤٦) .

(٤) وهو رجل كا الصحابة يشكون أنه الدجال، والصحيح أنه رجال من الدجاجلة.

(٥) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٣٢) .

وهذا شيء من فتنته – نـجانا الله منها –

تقدم أن معه جنـة ونـار ، وأن نـاره هـي في الحقيقـة جنـة ، وجنتـه هـي في الحقيقة نار ، وأن من أدرك ذلك فليأت النهر الـذي يـراه نـار ويغمـض عينيـه وليطأطئ رأسه فيشرب .

وفي حديث أسماء بنـت يزيـد مرفوعًـا : «**إِنَّ قَبْـلَ خُرُوجِـهِ عَامًـا تُمْسِـكُ السَّمَاءُ ثُلُثَ قَطْرِهَا ، وَالأَرْضُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا ، وَالْعَامَ الثَّانِيَ تُمْسِكُ السَّمَاءُ ثُلُثَيْ قَطْرِهَا ، وَالأَرْضُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا ، وَالْعَامَ الثَّالِثَ تُمْسِكُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا وَالأَرْضُ نَبَاتَهَا حَتَّى لاَ يَبْقَى ذَاتُ ضِرْسٍ [(١)]، وَلاَ ذَاتُ ظِلْفٍ[(٢)] إِلاَّ هَلَكَ**»[(٣)].

وقد ورد أنه يحيي ويميت نفسًا بعد قتله

وفي حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ:«**إِنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ وَهُوَ أَعْوَرُ عَيْنِ الشِّمَالِ[(٤)]، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، وَإِنَّهُ يُبْرِئُ الأَكْمَـهَ وَالأَبْـرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى ، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَمَنْ قَالَ : أَنْتَ رَبِّي فَقَـدْ فُـتِنَ ،**

---

(١) **ذات الضرس** : هي السباع من البهائم .

(٢) **الظلف** : يعنى الماشية والبقر والشاة .

(٣) **إسناده محتمل للتحسين** وقد أخرج هذا اللفظ أبو داود والطيالسي (١٧٣٨) .

(٤) في هذا الحديث «أعور الشمال» وفي الذي تقدم «أعور اليمنى» ، ويظهر أن كل عين منهما عوراء من وجه ما ، إذ العور حقيقة في كل شيء العيب ، والكلمة العوراء هي المعيبة ، فالواحدة عوراء بالحقيقة ، وهي التي وصفت بالحديث ، بأنها ليست حجراء ولا ناتئة ، وممسوخة ومطموسة وطافية ، والأخرى عوراء لعيبها اللازم لها لكونها جاحظة ، أو كأنها كوكب دري ، أو كأنها عنبة طافية ، وكل واحدة منهما يصح فيها الوصف بالعور بحقيقة العرف والاستعمال ، أو بعض العور الأصلي .

وَمَنْ قَالَ : رَبِّيَ اللَّهُ ﷻ حَتَّى يَمُوتَ فَقَدْ عُصِمَ مِنْ فِتْنَتِهِ ، وَلا فِتْنَةَ بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَلا عَذَابَ فَيَلْبَثُ فِي الأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَجِيءُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى مِلَّتِهِ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ ، ثُمَّ إِنَّمَا هُوَ قِيَامُ السَّاعَةِ»[1].

ففي حديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ – مَسَالِحُ الدَّجَّال – فَيَقُولُونَ لَهُ : أَيْنَ تَعْمِدُ ؟ فَيَقُولُ : أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ ، قَالَ : فَيَقُولُونَ لَهُ : أَوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا ؟ فَيَقُولُ : مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ ، فَيَقُولُونَ : اقْتُلُوهُ ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ ؟ قَالَ : فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّال ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ ، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ. فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : أَوَمَا تُؤْمِنُ بِي ، قَالَ : فَيَقُولُ : أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ ، قَالَ : فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، قَالَ : ثُمَّ يَمْشِى الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : قُمْ فَيَسْتَوِي قَائِمًا ، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَتُؤْمِنُ بِي فَيَقُولُ مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلاَّ بَصِيرَةً ، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لاَ يَفْعَلُ بَعْدِى بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، قَالَ : فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا فَلاَ يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلاً ،**

(١) **صحيح لشواهده** وهذا لفظ أخرجه أحمد (٥/ ١٣) ، والطبراني في «الكبير» (٧/ ١٢١) رقم (٦٩١٩) .

قَالَ : فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ» ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ»[(١)] .

وفي رواية :«يَأْتِي وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ ، فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ – أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ- فَيَقُولُ لَهُ : أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ أَتَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ ؟ فَيَقُولُونَ : لاَ، قَالَ : فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ ، فَيَقُولُ : حِينَ يُحْيِيهِ ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الآنَ ، قَالَ : فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ»[(٢)] .

وفي حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ، فَقَالَ : «مَا غَيْرُ الدَّجَّال أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِيَةٌ ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّي بْنِ قَطَنٍ ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً[(٣)] بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ[(١)] فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٣٨) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧١٣٢) ، ومسلم (٢٩٣٨) .

(٣) الخلة بين البلدين .

شِمَالاً ، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا» ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ ؟ قَالَ: **«أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»** ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ ؟ قَالَ : **«لاَ اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»** ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: **«كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ ، فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا[٢] وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِي كُنُوزَكِ ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ[٣] ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ... الحديث»**[٤].

ومن أجمع ذلك في ذكر فتنه وقتله وفعله حديث جابر رضي الله عنه قال :

=

(١) وقد ورد أنه يخرج من ناحية أصبهان من قرية تسمى اليهودية .

ووجه الجمع : أن مبدأ خروجه من خراسان من ناحية أصبهان ، ثم يخرج إلى الحجاز فيما بين العراق والشام كما مال إليه القرطبي في «التذكرة» ص(٦٩٣) بتحقيقي .

(٢) أي موضع الحلب .

(٣) كيعاسيب النحل : أي ملكة النحل .

(٤) حديث صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٣٧) .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنْ الدِّينِ، وَإِدْبَارٍ مِنْ الْعِلْمِ – أي قلةً مِنْ العلمِ – فَلَهُ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً يَسِيحُهَا فِي الأَرْضِ ، الْيَوْمُ مِنْهَا كَالسَّنَةِ ، وَالْيَوْمُ مِنْهَا كَالشَّهْرِ ، وَالْيَوْمُ مِنْهَا كَالْجُمُعَةِ ثُمَّ سَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ هَذِهِ ، وَلَهُ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ ، عَرْضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، فَيَقُولُ لِلنَّاسِ : أَنَا رَبُّكُمْ وَهُوَ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ : كَاتِبٌ وَغَيْرُ كَاتِبٍ ، يَرِدُ كُلَّ مَاءٍ وَمَنْهَلٍ إِلا الْمَدِينَةَ وَمَكَّةَ ، حَرَّمَهُمَا اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ وَقَامَتْ الْمَلائِكَةُ بِأَبْوَابِهَا وَمَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ ، وَالنَّاسُ فِي جَهْدٍ إِلا مَنْ تَبِعَهُ ، وَمَعَهُ نَهْرَانِ أَنَا أَعْلَمُ بِهِمَا مِنْهُ – نَهَرٌ يَقُولُ لَهُ : الْجَنَّةُ ، وَنَهَرٌ يَقُولُ لَهُ : النَّارُ فَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْجَنَّةَ فَهُوَ النَّارُ ، وَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ النَّارَ فَهُوَ الْجَنَّةُ ، قَالَ : وَيَبْعَثُ اللَّهُ مَعَهُ شَيَاطِينَ تُكَلِّمُ النَّاسَ ، وَمَعَهُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ ، يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ – وَيَقْتُلُ نَفْسًا ثُمَّ يُحْيِيهَا – فِيمَا يَرَى النَّاسُ – لا يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهَا مِنْ النَّاسِ ، وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ : هَلْ يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا إِلا الرَّبُّ ﷻ ؟ فَيَفِرُّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى جَبَلِ الدُّخَانِ بِالشَّامِ فَيَأْتِيهِمْ فَيُحَاصِرُهُمْ فَيَشْتَدُّ حِصَارُهُمْ وَيُجْهِدُهُمْ جَهْدًا شَدِيدًا ، ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام فَيُنَادِي مِنْ السَّحَرِ فَيَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ : مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ ؟ فَيَقُولُونَ : هَذَا رَجُلٌ جِنِّيٌّ فَيَنْطَلِقُونَ ، فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام : فَتُقَامُ الصَّلاةُ ، فَيُقَالُ لَهُ : تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللَّهِ ، فَيَقُولُ : لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ فَإِذَا صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ خَرَجُوا إِلَيْهِ ، قَالَ: فَحِينَ يَرَاهُ الْكَذَّابُ يَنْمَاثُ كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَيَمْشِي إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ

حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ يُنَادِي : يَا رُوحَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ فَلا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَدًا إِلا قَتَلَهُ»[١].

ومما ينجى من فتنة الدجال : حفظ أول عشر آيات من أول سورة الكهف أو من آخرها[٢]

ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**» وفي رواية : «**من آخر سورة الكهف**»[٣].

ومن ذلك الاستعاذة بالله ﷻ منه في كل صلاة والبعد عنه إذا ظهر وقد أمر به ﷺ

ففي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ : «مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[٤].

وفي حديث عائشة ﵂ قالت : كَانَ النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ : «**اللَّهُمَّ**

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٧) ، والحاكم (٤/ ٥٣٠) بإسنادٍ على شرط مسلم .

(٢) ولو جمع المرء بينهما فحفظهما ، فحسن فكل منهما ثابت .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٨٠٩) بالروايتين .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٧٧) ، ومسلم (٥٨٨) .

إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ» قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»[1].

ومما ينجي من فتنته : البعد عنه إذا سُمع به

قال ﷺ : «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهْوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ».

وإن الرجل ليقيد أمه وأخته خشية أن تتبعه .

ففي مسند أحمد بإسنادٍ قوي لشواهده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : «يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ بِمَرِّقَنَاةَ فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ ثُمَّ يُسَلِّطُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ فَيَقْتُلُونَهُ وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ ... الحديث»[2] .

ولذا قال ﷺ : «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهْوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ أَوْ لِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٥٨٩) عنها .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد (٥/ ١٧٢) ، وشاهده عن سمرة بن جندب عنده (٥/ ١٦) ، وله شاهد آخر عن أبي أمامة رضي الله عنه .

الشُّبُهَاتِ»[١].

ومن أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف [٢]

ويدخل الدجال كل مكان إلا مكة والمدينة والمسجد الأقصى ومسجد جبل الطور

كما في حديث أَنس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ ، إِلاَّ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ**»[٣].

وفي حديث فاطمة بنت قيس يقول الدجال : «**فَلاَ أَدَعَ قَرْيَةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا**»[٤].

وفي مسند أحمد : «فلا يبقى له موضع إلا ويأخذه غير مكة والمدينة وبيت المقدس وجبل الطور ، فإن الملائكة تطرده عن هذه المواضع»[٥].

وفي حديث أَنس بْن مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلاَّ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلاَّ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا فَيَنْزِلُ بِالسَّبَخَةِ فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا**

---

(١) صحيح على شرط مسلم أخرجه أبو داود (٤٣١٩) .

(٢) كما في حديث النواس بن سمعان .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٨٨١) ، ومسلم (٢٩٤٣٩) .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٤٢) مطولاً .

(٥) إسناده صحيح : أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٥) ، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٤٧ - ١٤٨) .

كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ».

وفي رواية : «**فَيَأْتِي سَبَخَةَ الْجُرُفِ فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ وَقَالَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ**»[١].

وهذا يعني أن من أسباب النجاة من فتنته سُكنى هذه المواطن

ومما ينجي من فتنة الدجال

المعرفة بأحوالِهِ وأوصافه وقوته ونحو ذلك ، فإن الإحاطة علمًا بذلك ؛ لتكون سببًا للثبات والنجاة من فتنته ؛ لأن العارف يرى أن صحة هذه الأوصاف من علامات نبوته ﷺ فيثبت على أوامره ﷺ التي فيها الارشاد للنجاة منه وهذا واضح .

وهذه بقية من خبر الدجال (أتباعه ، وفرار الناس منه في الجبال ، والأمر، وأمر الرسول بالمبادرة بالأعمال قبل مجيئه)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ**»[٢].

وَعَنْ جَابِرِ بْن عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه يَقُولُ : أَخْبَرَتْنِي أُمُّ شَرِيكٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «**لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ**» ، قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ : يَا

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٨٨١) ، ومسلم (٢٩٤٣) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٤٤) .

رَسُولَ اللَّهِ : فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : «**هُمْ قَلِيلٌ**»[١] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا : الدَّجَّالَ وَالدُّخَانَ ، وَدَابَّةَ الأَرْضِ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصةَ أَحَدِكُمْ**»[٢] .

وهذا خبر عن الدجال يرويه تميم الداري : فيحكيه النبي ﷺ عنه عن فاطمة بنت قيس أن النبي ﷺ لَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ : «**لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاَّهُ** » ، ثُمَّ قَالَ : «**أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟**» قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : «**إِنِّي ، وَاللَّهِ ! مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلاَ لِرَهْبَةٍ ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلاَثِينَ رَجُلاً مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ ، فَقَالُوا : وَيْلَكِ مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا : وَمَا الْجَسَّاسَةُ ؟ قَالَتْ : أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ ، قَالَ : لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلاً فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً ، قَالَ : فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ**

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٤٥) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٤٧) .

قَطُّ خَلْقًا ، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ ، قُلْنَا : وَيْلَكَ مَا أَنْتَ ؟ قَالَ : قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا ، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ ، فَقُلْنَا : وَيْلَكِ مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الْجَسَّاسَةُ ، قُلْنَا : وَمَا الْجَسَّاسَةُ ؟ قَالَتِ : اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا ، وَفَزِعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً ، فَقَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ ، قُلْنَا : عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ : أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا ، هَلْ يُثْمِرُ ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لاَ تُثْمِرَ، قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ ، قُلْنَا : عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ : هَلْ فِيهَا مَاءٌ ؟ قَالُوا : هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ ، قَالَ : أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ ، قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ ، قَالُوا : عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ : هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا ، قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ ؟ قَالُوا : قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ ، قَالَ : أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ : أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ ، قَالَ لَهُمْ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّى إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ

فِي الأَرْضِ ، فَلاَ أَدَعَ قَرْيَةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا ،كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا ، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلاَئِكَةً يَحْرُسُونَهَا» ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: **«هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ – يَعْنِى الْمَدِينَةَ – أَلاَ هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ»** ، فَقَالَ النَّاسُ : نَعَمْ ، **«فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ أَلاَ إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لاَ بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ما هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ»** وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ[(١)] .

والدجال وإن كان يأمر السماء فتمطر لكن لا ينبت الشجر

ففي حديث جُنَادَة بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ أَنَّهُ قَالَ : أَتَيْتُ رَجُلا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقُلْتُ لَهُ : حَدِّثْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الدَّجَّالِ وَلا تُحَدِّثْنِي عَنْ غَيْرِكَ وَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ مُصَدَّقًا ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : **«أَنْذَرْتُكُمْ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ ، فَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ أَوْ أُمَّتَهُ ، وَإِنَّهُ آدَمُ جَعْدٌ أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُسْرَي ، وَإِنَّهُ يُمْطِرُ وَلا يُنْبِتُ الشَّجَرَةَ ، وَإِنَّهُ يُسَلَّطُ عَلَى نَفْسٍ فَيَقْتُلُهَا ثُمَّ يُحْيِيهَا وَلا يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهَا ، وَإِنَّهُ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ وَنَهْرٌ وَمَاءٌ**

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٤٢) .

وفي رواية أن الدجال قال لهم : «أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ قَدْ وَطِئْتُ الْبِلاَدَ كُلَّهَا غَيْرَ طَيْبَةَ»، فَأَخْرَجَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى النَّاسِ فَحَدَّثَهُمْ قَالَ : **«هَذِهِ طَيْبَةُ وَذَاكَ الدَّجَّالُ»** .

وَجَبَلُ خُبْزٍ ، وَإِنَّ جَنَّتَهُ نَارٌ وَنَارَهُ جَنَّةٌ ، وَإِنَّهُ يَلْبَثُ فِيكُمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، يَرِدُ فِيهَا كُلَّ مَنْهَلٍ إِلا أَرْبَعَ مَسَاجِدَ : مَسْجِدَ الْحَرَامِ وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ وَالطُّورِ وَمَسْجِدَ الأَقْصَى... الحديث»[(١)].

تنبيه :

إن قيل : فما الحكمة في نزول عيسى عليه السلام في ذلك الوقت دون غيره ؟

فالجواب عنه من ثلاثة أوجه أظهرهم وجهان

الأول : يحتمل أن يكون ذلك لأن اليهود همَّت بقتله وصلبه ، وجرى أمرهم معه على ما في كتاب الله ﷻ ، وهم يدَّعون أنهم قتلوه و ينسبونه إلى السحر وغيره مما برأه الله ﷻ منه ، ونزَّهه عنه ، وقاموا مبايعين للدجال لينتقموا من المسلمين ، فأنزل الله ﷻ من ادعوا قتله ليقتلهم هم والكفار والمنافقين والمخالفين أو يسلموا .

والثاني : أن يكون إنزاله إنما هو لدنو أجله ، وقد قضى الله أن لا يموت أحد ممن خلق من التراب في السماء ؛ لأن الله ﷻ قال : ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى** ﴾ [طه : ٥٥] .[(٢)]

وفتنة الدجال واضحة جلية ، ليس ظهورها بعسير لكل ذي لُب وفي قلبه إيمان فالله ﷻ ، لا يضر مسلمًا ، ثم يحاسبه على ما لا طاقة له به ، إذ لا تكليف إلا بمقدور

---

(١) إسناده صحيح أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٥) ، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٤٧ - ١٤٨) .

(٢) بتصرف من «التذكرة» للقرطبي ص(٦٩٠) بتحقيقي .

وقد بيَّن الله ﷻ على لسان رسوله ﷺ اسمه ووصفه وسحره وعمله وكلامه حتى بيَّن مقدار تسلّطه على الناس ، وبيَّن ما جاء به من جنته وناره ، وأنه يُنزل المطر ، ولا ينبت الشجر ، وأنه لا يسلط على أحد بعد الرجل الذي يحاجه وأنه يشقّه نصفين ، وأن الله سبحانه يجعل بين ترقوته نحاسًا فلا يقدر على قتله ، وأنه لا يدخل مكة ولا المدينة ، والمسجد الأقصى ومسجد الطور ، وأنه يأمر الأرض أن تمطر وأن تخرج كنوزها فتتبعه كيعاسب النحل... إلى غير ذلك مما سلف بيانه

فهذا كله بيان لصدق رسول الله ﷺ فهل بعد هذا يُراد بيان حجة حتى يقال إن الله ﷻ كلف العبد بما لا يطيق؟

وقد أخرج البزار وابن حبان بإسنادٍ ظاهره الصحة عن حذيفة ﷺ قال : كنا عند رسول الله ﷺ فذكر الدجال ، فقال رسول الله ﷺ : «**لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال ، ليس من فتنة صغيرة ولا كبيرة إلا تضع لفتنة الدجال ، فمن نجا من فتنة ما قبلها نجا منها ، والله لا يضر مسلمًا مكتوب بين عينيه كافر**»[١].

والمعنى :

أن المسلم المحقق لا يفتنه الدجال فيردَّه عن دينه لما يرى من سماء الحدث ، ومن لم يكن بهذه الصفة فقد يفتنه ويتبعه لما يرى من الشبهات ، وليس المقصود ضرر مثل من نشره بالمنشار وقتله [٢]

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦٨٠٧) ، والبزار (٣٣٩١ كشف) .

(٢) وقد أشار إلى ما ذُكر القرطبي في «التذكرة» ص(٦٩٧) وغيره .

وأما علامات ظهور الدجال

أولاً : فغضبة يغضبها ربما تكون من هزيمة للكفار – غالبًا – ، أو انتفاضة من المسلمين أو نحو ذلك .

فقد تقدم في حديث ابن عمر قول حفصة له : رَحِمَكَ اللَّهُ مَا أَرَدْتَ مِنِ ابْنِ صَائِدٍ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا**»[1] .

ثانيًا : **من علامات خروجه جهل الناس بأحواله وعدم ذكره على المنابر وفي المحاضرات وفي المجامع ، فإن الجهل به وبأحواله ليعتبر من مقدمات خروجه**

فإن فتنته أعظم الفتن كما في الأحاديث السالف ذكرها ، وإنما تعظم وتكبر وتستحكم إذا كان الناس على جهلٍ بأحوالها ، فإنهم ربما ينكرون ظهور الدجال أصلاً ، وقد أنكره كثير من العامة في هذا الزمان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فالذي ينكر ظهور الدجال وأحاديثه هل يمكن أن ينجو من فتنته أم أنه سيكون المعين له في فتنة العباد وإضلالهم ؟!

وقد ندر ذكر الدجال حتى بين المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فلا تكاد تجد محاضرة أو خطبه تحذر من هذه الفتنة العظيمة ، التي كان النبي ﷺ يستعيذ منها كل صلاة .

وقد تقدم أن الدجال يخرج في خفقة من الدين وإدبار من العلم كما قال

---

(١) وهو في صحيح مسلم (٢٩٣٢) .

ﷺ : «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنْ الدِّينِ وَإِدْبَارٍ مِنْ الْعِلْمِ – أي قلة من أهله»[١].

---

(١) كما في مسند أحمد (٣/ ٣٦٧) بإسنادٍ على شرط مسلم .



القضاء والقدر

القـدر

اعلم أن كل شيء بقدر حتى العجز والكيس

قال ﷻ : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ [القمر : ٤٩] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٨] .

وقال ﷻ : ﴿ **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾ [التغابن : ١١] .

وَعَنْ طَاووسٍ رحمه الله أَنَّهُ قَالَ : أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُونَ : كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ ، قَالَ : وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ أَوِ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ**»(١) .

وفي حديث جبريل عليه السلام الطويل قال ﷺ له : «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(٢) .

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**لاَ يَحِلُّ لاِمْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا ، فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا**»(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه نَهَى عَنِ النَّذْرِ ، قَالَ : «**إِنَّهُ لاَ يَرُدُّ**

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٥٥) .

ومعنى العجز : عدم القدرة ، ومعنى الكيس : أي الفطنة .

(٢) صحيح متفق عليه .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٥١٥٢) ، وهو في صحيح مسلم (١٤٠٨) .

شَيْئًا ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ»[١] .

الله قدر مقادير الخلق قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة

لحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما مرفوعًا قَالَ : «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[٢] .

وفي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ**»[٣] .

وقد أخرج اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» بإسنادٍ صححه الحافظ في «الفتح» عن البخاري قال : لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر يقولون : أن الخير والشر بقدر .

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ** ﴾ [الفلق : ١ ، ٢] .

ولقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الصافات : ٩٦] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ [القمر : ٤٩] .[٤]

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٦٠٨) ، ومسلم (١٦٤٠) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٥٣) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤١٨) .

(٤) أخرجه اللالكائي برقم (٣٢٠) ، وصححه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٦٠) .

فمن اعتقاد أهل الإسلام

قوله ﷻ : ﴿ **قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا** ﴾ [التوبة : ٥١] .

فيعلم المؤمن أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه .

فاستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان(١) .

وهذه من ثمرات الإيمان بالقدر

فلن يبلغ المؤمن طعم الإيمان والعلم بربه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ،

بأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

وللقدر مراتب يجب الإيمان بها

فكل مفعول لابد أن تؤمن أنه مرَّ بمراحل أربع

أن هذا المفعول قد سبق في علم الله أنه سيكون(٢)

وأنه سبحانه قد كتبه قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة(٣)

---

(١) كما أشار النبي ﷺ كما في صحيح مسلم (٣٦٦٤) .

(٢) كما قال ﷻ : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [التغابن : ١٨] .

وقال ﷻ : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الدخان : ٣٢] ، والأدلة كثيرة .

(٣) كما قال ﷻ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ [يس : ١٢] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] .

=

وأن الله ﷻ قد شاء ما قد حصل على هذه الكيفية بهـذه الصـفة وفي ذلـك الوقت(١)

وأن الله ﷻ خلق ما خلقه فظهر في عالم الإيجاد الذي نراه(٢)

=

وقال ﷺ : «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» كما أخرجه مسلم (٢٦٣٥) ، فقد كتب القلم كل ما هو كائن إلى يوم القيامة .

والكتابة كتابة أذلية : وهي المعنية بقوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ .

وحديث : «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»

وقال ﷻ : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس : ١٢] .

وكتابة عمرية : وهي التي كتبها الملك للإنسان وهو في بطن أمه «عمره وأجله ورزقه وشقي أم سعيد» كما في صحيح مسلم (٢٦٤٦) وهو في صحيح البخاري أيضًا (٣٢٠٨) من حديث ابن مسعود .

وكتابة حولية : في ليلة القدر كما في قوله ﷻ : ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ [الدخان : ٤] ، فيكتب ما الذي يحصل طوال العام .

وكتابة يومية أو تقدير يومي : كما في قوله ﷻ : ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن : ٢٩] .

(١) كما في قوله ﷻ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ [محمد : ٤] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾ [الأنعام : ٣٥] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٩] .

(٢) كما قال رحمه الله : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر : ٦٢] .

=

عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ : وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي ، فَقَالَ : لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ [(١)].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**» [(٢)].

=

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الصافات : ٩٦] . أي وعملكم ، فالله هو أضحك وأبكى كما أمات وأحيا .

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩) ، وابن ماجة (٧٧) ، وأحمد (٥/ ١٨٢ - ١٨٣) ، وابنه في «السنة» (٨٤٣) وغيرهم من طريق سعيد بن سنان الشيباني ، عن وهب بن خالد الحميري عن ابن الديلمي به .

وفي إسناده سعيد بن سنان فيه كلام خفيف لا يخرجه عن درجة من يحسن حديثه

وله طريق آخر أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٣٧٣) من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح أن أبا الزاهرية حدثه عن كثير بن مرة عن عبد الله بن الديلمي ، وعبد الله بن صالح كاتب الليث فيه مقال .

وبكل حال الخبر ثابت، وقد صححه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في «كتاب التوحيد» (٢٦٤) .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) ، وعبد بن حميد (٦٣٥) بإسنادٍ حسن .

ولما ذكر لعبد الله بن عمر الذين ينكرون القدر

قال يحيى بن يعمر : «وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ» ثم ذكر حديث جبريل عليه السلام وأن النبي ﷺ قال له : **«وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**[1].

ولا يتكلم إنسان في مسائل القضاء والقدر خصوصًا بغير علم

لحديث ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«لا يزال أمر هذه الأمة مواتيًا أو مقاربًا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر»**[2].

ومن مراتب القدر المشيئة

وهي : أن يؤمن العبد أن ما في حركة ولا سكنة سواء كانت فلا دخل للعبد فيها كدقات القلب وحركات المعدة والأمعاء وموته ومرضه وولادته أو حركات له فيها اختيار كالقيام والقعود والصلاة والذهاب والإتيان ونحو ذلك هي بمشيئة الله سبحانه وتعالى ، ولا يمكن أن تكون إلا بمشيئة الرحمن سبحانه وتعالى .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [الأنعام : ٣٩] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا ...** ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١) .

(٢) وهو خبرٌ صحيح راجع تخريجه في كتابي «مصير موتى الأطفال في الآخرة» وقد تقدم .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] .

وقال ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّـهِ كِتَابًا مُـؤَجَّلا ﴾ [آل عمران : ١٤٥] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

وقال ﷻ : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا . وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى . مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى . وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى . وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾ [النجم : ٤٣ – ٤٩] .

قال شيخ الإسلام (١) :

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْفَرْقَ بَيْنَ :«الإِرَادَةَ»وَ «الأَمْرِ» وَ «الْقَضَاءِ» وَ «الإِذْنِ» وَ «التَّحْرِيمِ» وَ «الْبَعْثِ» وَ «الإِرْسَالِ» وَ «الْكَلامِ» وَ «الْجَعْلِ» بَيْنَ الْكَوْنِيِّ- الَّذِي خَلَقَهُ وَقَدَّرَهُ وَقَضَاهُ ؛ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ وَلا يُحِبُّهُ وَلا يُثِيبُ أَصْحَابَهُ ، وَلا يَجْعَلُهُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ- وَبَيْنَ الدِّينِيِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَشَرَعَهُ وَأَثَابَ عَلَيْهِ وَأَكْرَمَهُمْ وَجَعَلَهُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ وَجُنْدِهِ الْغَالِبِينَ»(٢) .

---

(١) في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٢٦٦) .

(٢) ثم ذكر دلائل ذلك من الكتاب العزيز فليراجعها من شاء .

وأهل السنة والجماعة يقولون :

إِنَّ اللَّهَ – وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَعَاصِيَ قَدَرًا فَهُوَ لا يُحِبُّهَا وَلا يَرْضَاهَا وَلا يَأْمُرُ بِهَا ، بَلْ يُبْغِضُهَا وَيَسْخَطُهَا وَيَكْرَهُهَا وَيَنْهَى عَنْهَا .

وَهَذَا قَوْلُ السَّلَفِ قَاطِبَةً[(١)] .

فَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ؛ وَلِهَذَا اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ الْحَالِفَ لَوْ قَالَ : وَاللَّهِ لأَفْعَلَنَّ كَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ» لَمْ يَحْنَثْ إِذَا لَمْ يَفْعَلْهُ ، وَإِنْ كَانَ وَاجِبًا أَوْ مُسْتَحَبًّا .

وَلَوْ قَالَ: «إِنْ أَحَبَّ اللَّهُ» حَنِثَ، إِذَا كَانَ وَاجِبًا أَوْ مُسْتَحَبًّا .

وَالْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يَقُولُونَ:الإِرَادَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ نَوْعَانِ:

* إِرَادَةٌ قَدَرِيَّةٌ كَوْنِيَّةٌ خَلْقِيَّةٌ .
* وَإِرَادَةٌ دِينِيَّةٌ أَمْرِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ .

فَالإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ : هِيَ الْمُتَضَمِّنَةُ لِلْمَحَبَّةِ وَالرِّضَا .

وَالْكَوْنِيَّةُ : هِيَ الْمَشِيئَةُ الشَّامِلَةُ لِجَمِيعِ الْحوادث .

وَهَذَا كَقَوْلِهِ ﷻ : ﴿ **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ** ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

وَقَوْلِهِ ﷻ عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ **وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ**

---

(١) حكاه عنهم ابن عبد العز الحنفي شارح الطحاوية ص(٦٣) .

إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود : ٣٤] ، وَقَوْلِهِ ﷻ : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

وأَمَّا الإِرَادَةُ الدِّينِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ الأَمْرِيَّةُ :

فَكَقَوْلِهِ ﷻ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥]

وَقَوْلِهِ ﷻ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء : ٢٦] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٢٧] .

وقوله ﷻ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] .

وَقَوْلِهِ ﷻ : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة : ٦] .

وَقَوْلِهِ ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣].

وهذه الإرادة لا يحصل إتباعها إلا لمن سبقت له بذلك الإرادة الكونية فتجتمع الإرادة الكونية والشرعية في حق المؤمن الطائع ، وتنفرد الكونية في حق الفاجر العاصي .

وأَمَّا الإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ فَهِيَ الإِرَادَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِ الْمُسْلِمِينَ : «مَا شَاءَ اللَّهُ

كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ» وهي المعنية في قوله ﷻ : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ [المائدة : ٤١] .

ومن فهم أن القضاء والإرادة الإلهية ، والأمر الرباني ، وكذلك الإذن والكتاب والحكم والتحريم والكلمات أن منه شرعيًا ومنه كونيًا انتظم له فهم الآيات القرآنية التي تتعارض في ذهن المكلف

فالقضاء الكوني الذي لا يتخلف :

كما في قوله ﷻ : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت : ١٢] .

والقضاء الديني الشرعي :

في قوله ﷻ : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

[الإسراء : ٢٣] .

والإرادة الكونية :

كما في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] . وشبهها كما تقدم .

والإرادة الشرعية كقوله سبحانه : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وأما الأمر الكوني :

ففي قوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] .

والأمر الشرعي :

ففي قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ [النحل : ٩٠] .

وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء : ٥٨] .

والإذن الكوني :

كما في قوله ﷻ : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

والإذن الشرعي :

كما في قوله ﷻ : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الحشر : ٥] .

والكتاب الكوني :

كما في قوله ﷻ : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر : ١١] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] .

والكتاب الشرعي الديني :

كما في قوله ﷻ : ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ ...** ﴾ [المائدة : ٤٥] .

وقوله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

وقوله ﷻ : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** ﴾ [البقرة : ١٨٠] .

والحكم الكوني :

فكما في قوله ﷻ : ﴿ **فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** ﴾ [يوسف : ٨٠] .

وقوله ﷻ : ﴿ **قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾ [الأنبياء : ١١٢] .

والحكم الشرعي :

كما في قوله ﷻ : ﴿ **أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ** ﴾ [المائدة : ١] .

وقوله ﷻ : ﴿ **ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ** ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

والتحريم الكوني :

فكما في قوله ﷻ : ﴿ **فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [المائدة : ٢٦] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٥] .

والتحريم الشرعي :

كما في قوله ﷻ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [المائدة : ٣] .

وقوله ﷻ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ [النساء : ٢٣] .

وأما الكلمات الكونية :

ففي قوله ﷻ : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام : ١١٥] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [الأعراف : ١٣٧] .

وقول النبي ﷺ : «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**»[(١)].

والكلمات الشرعية الدينية :

كما في قوله ﷻ : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

وقال ﷻ عن مريم : ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ ﴾ [التحريم : ١٢] .

ومن وقع في نفسه شيء من القدر[(١)] **فليقرأ قوله** ﷻ : ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٠٨) من حديث خولة بنت الحكم السلمية ، وأخرجه برقم (١٧٠٩) من حديث أبي هريرة .

وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

واعلم أن أمر الله ﷻ للإنسان بالإيمان لا يلزم من الله أن يعينه عليه ، فقد يكون في الإعانة مناقَضَة للحكمة التي يعلمها الحكيم الخبير .

والعاقل تكفيه الإشارة والأحمق ضعيف العقل لا تنفع معه العبارة .

ولا يجوز الاحتجاج بالقدر على المعاصي

فقد ترك الله ﷻ للإنسان إرادة مخيرة وسيختار ما قدره الله ﷻ له وشاءه وكتبه في اللوح المحفوظ .

فالذي يحتج بالقدر على المعاصي جاهل فاسد القلب

ولماذا لم يحتج بالقدر ويعمل الصالح ، ثم يقول : إن الله ﷻ قدر علي أن أطيعه لماذا ؟!

إن النبي ﷺ لما قال للصحابة وقد سألوه ففيم العمل إذا كان لا يُبدل ما كتب في اللوح وجفت الأقلام به قال لهم : «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، فكانوا في العمل بعد ذلك أنشط**».

فالذي يعمل المعاصي ويقول لو شاء الله لهداني أو لو أراد هدايتي لأخذ بيدي أو نحو ذلك

=

(١) كأن يُهتَف به لماذا لم يهدِ الله الناس ، أو كيف يمنعهم الهدى ثم يعذبهم على عدم هدايتهم ؟! أو كيف يقدِّر الله على الناس المعصية ولا يعينهم عليها ، ثم يعذبهم عليها ؟! أو لماذا لم يرد الله هدايتي ؟ أو نحو ذلك .

أسوته في هذا وإمامه هم المشركون عليهم لعنة الله(١)

قال ﷻ : ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ . قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [الأنعام : ١٤٨ ، ١٤٩] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾ [النحل : ٣٥] .

وهم الذين قالوا : ﴿ **أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ** ﴾ [يس : ٤٧] .

وهم الذين عبدوا من دون الله ثم قالوا : ﴿ **لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ** ﴾(٢) [الزخرف : ٢٠] .

ولذا قال شيخ الإسلام رحمه الله :

«مَنْ ظَنَّ أَنَّ " الْقَدَرَ " حُجَّةٌ لأَهْلِ الذُّنُوبِ فَهُوَ مِنْ جِنْسِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ

---

(١) وهو نحو احتجاج إبليس عليه لعنة الله كما سيأتي قوله .

(٢) **فالإنسان ينبغي** : أن ينسب التقصير إلى نفسه ، ولذلك لما ذهب النبي ﷺ ليلاً وقال لعلي وفاطمة رضي الله عنهما : «أَلاَ تُصَلِّيَانِ» قال علي ﷺ : إنما أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا. فَانْصَرَفَ النبي ﷺ حينَ قال له ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعهُ يَضْرِبُ على فَخِذَهُ وَهْوَ يَقُولُ : ﴿ **وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** ﴾. وقد أخرجه البخاري في أوائل كتاب التهجد .وغيره

قَالَ اللَّهُ ﷻ عَنْهُمْ : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٤٨] ، قَالَ اللَّهُ ﷻ رَادًّا عَلَيْهِمْ : ﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ . قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ [الأنعام : ١٤٨، ١٤٩] ، وَلَوْ كَانَ الْقَدَرُ " حُجَّةً لأَحَدٍ لَمْ يُعَذِّبْ اللَّهُ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ وَقَوْمَ فِرْعَوْنَ ،وَلَمْ يَأْمُرْ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَى الْمُعْتَدِينَ ، وَلا يَحْتَجُّ أَحَدٌ بِالْقَدَرِ إلا إذَا كَانَ مُتَّبِعًا لِهَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ وَمَنْ رَأَى الْقَدَرَ حُجَّةً لأَهْلِ الذُّنُوبِ يَرْفَعُ عَنْهُمْ الذَّمَّ وَالْعِقَابَ فَعَلَيْهِ أَنْ لا يَذُمَّ أَحَدًا وَلا يُعَاقِبَهُ إذَا اعْتَدَى عَلَيْهِ ؛ بَلْ يَسْتَوِي عِنْدَهُ مَا يُوجِبُ اللَّذَّةَ وَمَا يُوجِبُ الأَلَمَ فَلا يُفَرِّقُ بَيْنَ مَنْ يَفْعَلُ مَعَهُ خَيْرًا وَبَيْنَ مَنْ يَفْعَلُ مَعَهُ شَرًّا وَهَذَا مُمْتَنِعٌ طَبْعًا وَعَقْلا وَشَرْعًا .

قَالَ ﷻ : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص : ٢٨]

وَقَالَ ﷻ : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [القلم : ٣٥]

وَقَالَ ﷻ : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية : ٢١][(١)] .

ومن يقول : كيف يقدر الله ﷻ على المعصية ثم يحاسبني على ذلك ؟ فإمامه

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٢٥٧) .

وأستاذه أيضًا إبليس(١)

قال سبحانه وتعالى حاكيًا عنه : ﴿ **رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [الحجر : ٣٩] .

والمقصود : أن الإنسان ينبغي أن يحتج بالقدر في الموضع الذي ينفع فيه الاحتجاج لا عكسه كما أرشد النبي ﷺ في نصيحة كالذهب

ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ**(٢) **احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» (٣) .

والذين ينفون إرادة الله سبحانه وتعالى من المعتزلة والقدرية ليسوا مجوس الأمة فحسب

---

(١) وقد تقدم أن المشركين أيضًا أئمتهم ..

(٢) **ومعنى القوي هنا** : قوي العزيمة والقريحة في أمور الآخرة ، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد وأسرع خروجًا إليه ، وذهابًا في طلبه ، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى واحتمال المشاق في ذات الله سبحانه وتعالى ، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبًا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٦٤) ولنا رسالة في شرح هذا الحديث وقد طُبعت ولله الحمد والمنة.

بل هم أخبث منهم(١)

وقد روى عمر بن الهيثم قال: خرجنا في سفينة ، وصحبَنا فيها قدري ومجوسي ، فقال القدري للمجوسي : أسلم .

فقال المجوسي : حتى يريد الله .

فقال القدري : إن الله يريد ، ولكن الشيطان لا يريد .

قال المجوسي : أراد الله وأراد الشيطان ، فكان ما أراد الشيطان ، هذا شيطان قوي . وفي رواية أنه قال : فأنا مع أقواهما .

ووقف أعرابي على حلقة فيها عمرو بن عبيد ، فقال : يا هؤلاء إن ناقتي سُرقت فادعوا الله أن يردها علي ، فقال عمرو بن عبيد : اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقت ، فارددها عليه! فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك! قال: ولم ؟ قال : أخاف – كما أراد أن لا تسرق فسرقت – أن يريد ردها فلا ترد !! .

وقال رجل لأبي عصام القسطلاني : أرأيت إن منعني الهدى وأوردني الضلال ثم عذبني ، أيكون منصفًا ؟ فقال له أبو عصام : إن يكن الهدى شيئًا

---

(١) وقد ورد خبر مفاده أنهم مجوس هذه الأمة ، لكنه ضعيف السند، ووجه الشبه بينهم وبين المجوس: أن المجوس أشركوا فجعلوا مع الله النار إلهًا ، والقدرية جعلوا الإنسان – يخلق فعله – فهو خالق مع الله، وهذا شرك أيضًا ، ولذلك صح تسميتهم بمجوس هذه الأمة .

وإن كانت فرقة القدرية زادوا في السوء خصلة عن المجوس، فإن المجوس جعلوا مع الله النار إلهًا أما القدرية: فجعلوا كل إنسان أو حيوان خالقًا مع الله ، فتنبه .

هو له فله أن يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء[(١)].

وَيُقَال : إِنَّ بَعْض أَئِمَّة السُّنَّة أُحْضِرَ لِلْمُنَاظَرَةِ مَعَ بَعْض أَئِمَّة الْمُعْتَزِلَة فَلَمَّا جَلَسَ الْمُعْتَزِلِيّ قَالَ : سُبْحَان مَنْ تَنَزَّهَ عَنْ الْفَحْشَاء ، فَقَالَ السُّنِّيُّ : سُبْحَان مَنْ لا يَقَع فِي مُلْكه إلا مَا يَشَاء ، فَقَالَ الْمُعْتَزِلِيّ : أَيَشَاءُ رَبّنَا أَنْ يُعْصَى ؟ فَقَالَ السُّنِّيّ : أَفَيُعْصَى رَبّنَا قَهْرًا ؟ فَقَالَ الْمُعْتَزِلِيّ : أَرَأَيْت إِنْ مَنَعَنِي الْهُدَى وَقَضَى عَلَيَّ بِالرَّدَى أَحْسَنَ إِلَيَّ أَوْ أَسَاءَ ؟ فَقَالَ السُّنِّيُّ : إِنْ كَانَ مَنَعَك مَا هُوَ لَك فَقَدْ أَسَاءَ وَإِنْ كَانَ مَنَعَك مَا هُوَ لَهُ فَإِنَّهُ يَخْتَصّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاء فَانْقَطَع[(٢)].

---

(١) حكاه شارح «الطحاوية» ص (٢٢٦ - ٢٢٧) .

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٥٤٣) . ومنشأ الضلال الذي وقع فيه المعتزلة : التسوية بين المشيئة والإرادة ، وبين المحبة والرضا ، فسوَّى بينهما الجبرية والقدرية ، قاله أبو العز الحنفي رحمه الله في «شرح الطحاوية» ص (٢٢٧) ، وقال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (١٣/ ٥٤١) : وَحَرْف الْمَسْأَلَة أَنَّ الْمُعْتَزِلَة قَاسُوا الْخَالِق عَلَى الْمَخْلُوق وَهُوَ بَاطِل ؛ لأَنَّ الْمَخْلُوق لَوْ عَاقَبَ مَنْ يُطِيعهُ مِنْ أَتْبَاعه عُدَّ ظَالِمًا لِكَوْنِهِ لَيْسَ مَالِكًا لَهُ بِالْحَقِيقَةِ ، وَالْخَالِق لَوْ عَذَّبَ مَنْ يُطِيعهُ لَمْ يُعَدّ ظَالِمًا ؛ لأَنَّ الْجَمِيع مِلْكه فَلَهُ الأَمْر كُلّه يَفْعَل مَا يَشَاء وَلا يُسْأَل عَمَّا يَفْعَل .

جدول توضيحي يبين الفرق بين أمر الله الكوني وأمر الله الشرعي

الأمر الكوني	الأمر الشرعي
* لا يتبدل ولا يتغير فإذا أراده سبحانه كان ولا يمكن أن يتغير أو يتبدل	* يمكن أن يتبدل أو يتغير فيريد الله من الناس الإيمان وهم يكفرون يريد بهم الخير وهم يريدون لأنفسهم الشقاوة
* هذا الأمر لا يشترط أن يكون محبوبًا إلى الله ﷻ	* هذا الأمر لابد أن يكون محبوبًا إلى الله ﷻ ؛ لأنه سبحانه يأمر به ويجازي العبد على فعله
*** من أمثلة هذا الأمر :** قوله ﷻ : ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [يس : ٨٢] .	*** ومن أمثلة ذلك الأمر :** قوله ﷻ : ﴿ **وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ** ﴾ [البقرة : ٢٠٥] . وقوله ﷻ: ﴿ **وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة : ١٨٥] . وقوله ﷻ : ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ** ﴾ [النساء : ٢٦] . وقوله ﷻ : ﴿ **وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ** ﴾ [الزمر : ٧] .

إذا كان المرء قد كُتب عمله ورزقه وأجله وشقي أم سعيد وهو في بطن أمه

كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[١]، وحديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه[٢]،وحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٣]وحديث أبي بن كعب رضي الله عنه : **«إِنَّ الْغُلاَمَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا وَلَوْ عَاشَ لأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا»**[٤].

فكيف يُوفق بين هذا وبين حديث أبي هريرة رضي الله عنه

أن النبي ﷺ قال : **«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**[٥] **، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟»** .

---

(١) قال ابن مسعود رضي الله عنه : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهْوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ : «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا ، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ». أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ، مسلم (٢٦٤٥) .

(٢) مرفوعًا ولفظه : «يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَيُكْتَبَانِ». أخرجه مسلم (٢٦٤٤) .

(٣) مرفوعًا ولفظه : «مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَإِلاَّ قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً». أخرجه البخاري (١٣٦٢) ، ومسلم (٢٦٤٧) .

(٤) وهو صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٦١) .

(٥) والفطرة : هي الإسلام بدليل الرواية الآتية : «**... إلا وهو على الملة**» وستأتي وهو الراجح من أقوال ، وهو تفسير أبي هريرة رضي الله عنه، وهو ترجيح شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٤٥) .

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه واقرءوا إن شئتم : ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾(١).

وفي رواية : «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ وَهُوَ عَلَى الْمِلَّةِ**»(٢).

ومثل هذا حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ فيما يرويه عن ربه سبحانه وتعالى :«**إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ لا يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**»(٣).

ولا إشكال ولله الحمد

أما حديث غلام الخضر؛ فالله سبحانه وتعالى كتبه وأثبته كافرًا أي: إنه إن عاش كان كافرًا بالفعل ، وقد يولد الولد بين المؤمنين، ثم يكفر على ما كُتب له .

قال العلماء: إنه لا يجزم لمعين بجنة ولا بنار، وإن مات صغيرًا فكفره لم يكن موجودًا قبل أن يولد، والمعنى: أنه وُلد على الفطرة السليمة، ثم تغير فكفر ، ووافق الذي كان كتب عليه وطبع.

أما أحاديث عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن أسيد، وعلي بن أبي طالب

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٥٩) ، ومسلم (٢٦٥٨) .

(٢) وهي في صحيح مسلم (٢٦٥٨) . ومعنى ذلك أن فطرة المولود مقتضية لمحبة دين الإسلام دين الفطرة ومعرفته .

(٣) وهو حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٨٦٥) .

رضي الله عنهم ؛ فظاهرها أن ذلك باعتبار نهاية الإنسان، فهو سيُختم له بما كتب عليه وهو في بطن أمه ، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : «الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ»(١) .

وأما الأحاديث الأخرى: فهي تفيد أن الإنسان يولد على الفطرة ثم أبواه يؤثِّران عليه فُيهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمسِّجانه بدعوتهما، وقد لا .

ومن كتب عند الله أنه سيموت على الضلالة ، فقد يكون قبل ذلك على الهدى ، ثم يتغير بآخره ويصير إلى ما سبق له في أم الكتاب ، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء ، مثلها تمامًا .

ورد في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه (٢) ما يفيد أن كتابة العمل والشقاوة والسعادة والذكورة والأنوثة إنما يكون بعد الأربعين الأولى

بينما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه (٣) ما يفيد أنه يكتب ذلك في آخر الأربعين الثالثة

فكيف يجمع بين هذا وذاك ؟

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٤٥) .

(٢) مرفوعًا : «يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَيُكْتَبَانِ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى فَيُكْتَبَانِ وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ». أخرجه مسلم .

(٣) المرفوع بلفظ : «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا ، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ . ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ». متفق عليه .

الجواب :

ذهب بعض العلماء إلى أن الكتابة تقع مرتين الأولى عقيب الأربعين الأولى بعد النطفة على ما في حديث حذيفة بن أسيد ﷺ، والأخرى بعد الأربعين الثالثة بعد المضغة على ما في حديث ابن مسعود ﷺ ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ثم قال : ولا محذور في الكتابة مرتين(١).

وفي «جامع العلوم والحكم» :

وذهب بعضهم إلى أن الكتابة إنما تكون مرة واحدة ولعل ذلك يختلف باختلاف الأجنَّة فبعضهم يُكتب له ذلك بعد الأربعين الأولى ، وبعضهم بعد الأربعين الثالثة(٢).

وذهب بعضهم إلى ترجيح حديث ابن مسعود ﷺ المتفق عليه – الذي يشير إلى أن الكتابة تكون في آخر الأربعين الثالثة – على حديث حذيفة ﷺ الذي يشير إلى أن الكتابة تكون عقيب الأربعين الأولى حيث أنه من رواية أبي الطفيل راويه عن حذيفة بن أسيد ، فذكروا أنه لم يضبط القدر الزائد على الأربعين(٣).

وذهب بعضهم إلى أن حديث حذيفة ﷺ لا يفيد أن ذلك واقع بعد

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٤١) .

(٢) واستظهره ابن رجب الحنبلي في «جامعه» ص (١١٦) .

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٤١ – ٢٤٢) ، و«فتح الباري» (١١/ ٥٦٥) ط دار الحديث بتصرف .

الأربعين بالضبط، ولم يوقِّت فيه البَعدية بل أطلقها، وقد قيّدها ووقَّتها في حديث ابن مسعود ، والمطلق في مثل هذا يُحمل على المقيِّد بلا ريب .

وهذا حاصل كلام ابن القيم الذي قال عقبه :

«وهذا وجه حسن جدًا» (١).

وعلى أي حال يمكن أن يحمل الجمع على وجه من هذه الوجوه المذكورة ، وأقربها عندي – والله أعلم – الأول والثاني ، وليس الباقي بمستبعد .

والخلاصة عن منزلة القدر في الشريعة(٢)

أن الإيمان بالقدر نظام التوحيد كما أن الإيمان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره هي نظام الشرع .

ولا ينتظم أمر الدين ويستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل الشرع كما قرر النبي ﷺ الإيمان بالقدر ثم قال لمن قال له أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال : **«اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»**(٣).

وهذه الإجابة كانت اعتقادات الصحابة وحملتهم على العمل وعدم الاعتماد على المُقَدَّر .

---

(١) انظر «طريق الهجرتين» ص (٩٦ – ٩٧) .

(٢) كما يقول حافظ حكمي في «٢٠٠ سؤال في العقيدة» ص (٦٧) بتصرف .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٦٢) ، ومسلم (٢٦٤٧) ، واللفظ لمسلم .

ففي صحيح مسلم(١) عَنْ أَبِى الأَسْوَدِ الدِّئِلِىِّ قَالَ : قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ : أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ؟ فَقُلْتُ : بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ قَالَ : فَقَالَ : أَفَلاَ يَكُونُ ظُلْمًا قَالَ : فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا وَقُلْتُ : كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللَّهِ وَمِلْكُ يَدِهِ فَلاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ، فَقَالَ لِي : يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلاَّ لأَحْزُرَ عَقْلَكَ إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالاَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ؟ فَقَالَ : «**لاَ بَلْ شَيْءٌ قُضِىَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾**».

فمن نفى القدر زاعمًا منافاته للشرع فقد عطَّل الله ﷻ عن علمه وقدرته ، وجعل العبد مستقلاً بأفعاله خالقًا لها ، فأثبت مع الله ﷻ خالقًا، بل أثبت أن جميع المخلوقين خالقون .

ومن أثبته محتجًا به على الشرع محاربًا له نافيًا عن العبد قدرته واختياره التي منحه الله ﷻ إياها وكلفه بحسبها زاعمًا أن الله كلف عباده ما لا يطاق كتكليف

(١) برقم (٢٦٥٠) .

الأعمى بنقط المصحف، فقد نسب الله ﷻ إلى الظلم ، وكان إمامه في ذلك إبليس لعنه الله ﷻ إذ يقول : ﴿ **فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [الأعراف : ١٦] .

وأما المؤمنون حقًا

فيؤمنون بالقدر خيره وشره، وأن الله خالق ذلك كله، وينقادون للشرع أمره ونهيه ، ويحكمونه في أنفسهم سرًا وجهرًا، وأن الهداية والإضلال بيد الله يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، وهو أعلم بمواضع فضله وعدله ﴿ **هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى** ﴾ [النجم : ٣٠] .

وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وأن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلاً وتركًا لا على القدر، وإنما يُعزّون أنفسهم بالقدر عند المصائب

* فإذا وفِقُوا لحسنة عرَّفوا الحق لأهله فقالوا : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ** ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

ولم يقولوا كما قال الفاجر : ﴿ **إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي** ﴾ [القصص : ٧٨].

* فإذا اقترفوا سيئة قالوا كما قال الأبوان : ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

ولم يقولوا كقول الشيطان الرجيم : ﴿ **رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي** ﴾ [الحجر : ٣٩] .

* وإذا أصابتهم مصيبة قالوا : ﴿ **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ**

صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦ ، ١٥٧] .

ولم يقولوا كما قال الذين كفروا :

﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٥٦] . أ.هـ

وكان من دعائه ﷺ :

«وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ»[1] .

قال الصابوني المتوفى سنة (٤٤٩) في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» ص(٦٨) عن عقيدة أهل السنة :

يشهدون أن الله ﷻ يهدي من يشاء إلى دينه ويضل من يشاء عنه ، لا حجة لمن أضله الله عليه ولا عذر له لديه .

قال الله ﷻ : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٩] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ...﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

---

(١) وهو حديثٌ حسن أخرجه ابن حبان (١٩٧١) وغيره من حديث عمار بن ياسر .

سبحانه وتعالى خلق الخلق بلا حاجة إليهم ، فجعلهم فريقين : فريقًا للنعيم فضلاً ، وفريقًا للجحيم عدلاً ، وجعل منهم غاويًا ورشيدًا ، وشقيًا وسعيدًا ، وقريبًا من رحمته وبعيدًا، لا يسأل عما يفعل وهو يسألون.

ثم ذكر حديث ابن مسعود : «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا... الحديث**».

وإرادة الله ﷻ ومحبته للشيء لا تستلزم أن يعين العبد على هذا؛ لأن إعانته عليه قد لا يتمشى مع محبوب آخر بالنسبة إليه

وقد يكره شيئاً ولا يرضاه وهو يريد إيجاده ، وهذا واقع معقول حتى في الإنسان ولله المثل الأعلى ، فقد يكره المرء تقطيع بطنه لكنه يريده ، لأن ذلك سبيل إلى مصلحة وهي شفاؤه من مرضه .

ومثاله أيضًا : الدواء الكريه ، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءه ، وقطع العضو المتآكل ، إذا علم أن في قطعه بقاء جسده ، وكقطع المسافة الشاقة .

فكراهة الشيء لا ينافي إرادته لأجل غيره ، وكونه سببًا إلى أمر هو أحب إليه من فوته .

ومن ذلك مثال : إبليس عليه لعنة الله :

الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات ، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد ، وعملِهم بما يغضب الرب ﷻ ، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه ، ومع هذا فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه ، ووجودها أحب إليه من عدمها .

منها :

أنه تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات ، فخلق هذه الذات ، التي هي أخبث الذوات وشرَّها ، وهي سبب كل شرٍّ ، في مقابلة ذات جبرائيل ، التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها ، وهي مادة كل خير ، فتبارك خالق هذا وهذا .

كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار ، والدواء والداء ، والحياة والموت، والحسن والقبيح ، والخير والشر ، وذلك من أدلّ دليل على كمال قدرته وعزَّته وملكه وسلطانه ، فإنه خلق هذه المتضادات ، وقابل بعضها ببعض ، وجعلها مجال تصرفه وتدبيره ، فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير مملكته .

ومنها: **ظهور آثار أسمائه القهرية وأفعاله مثل** :

القهار، والمنتقم، وعدله وضرره ونفعه وشدَّة عقابه، وسرعة حسابه وبطشه الشديد وخفضه ورفعه وإذلاله وإعزازه، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء .

ومنها :

ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن شاء من عبيده ، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطَّلت هذه الحكم والفوائد ، وقد قال النبي ﷺ :
«لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ

لَهُمْ»[١] .

ومنها :

ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة ، فإنه الحكيم الخبير، الذي يضع الأشياء مواضعها ، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، ولا ينزله في غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته ، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها، ويشكره على انتهائها إليه ، وأعلم بمن لا يصلح لذلك .

فلو قدر عدم الأسباب المكروهة له لتعطلت حكم كثيرة، ولفاتت مصالح عديدة .

ولو عُطِّلت تلك الأسباب لما فيها من الشر، لتعطَّل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب ، وهذا كالشمس والمطر والرياح ، التي فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر .

ومنها :

حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت ، فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه . ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطَّلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة لله ﷻ والمعاداة فيه ، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى ، وإيثار محاب الله

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٩٤) .

تعالى ، وعبودية التوبة والاستغفار ، وعبودية الاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه ويعصمه من كيده وأذاه .

إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها [١].

والمقصود بيانه في باب القدر للجبرية والقدرية :

أَنَّ إِرَادَةَ اللهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِفِعْلِهِ ﷻ أَنَّهُ يَفْعَلُ كُلَّ مَا يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ ، وَأَمَّا إِرَادَتُهُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِفِعْلِ الْعَبْدِ ، فَتِلْكَ لَهَا شَأْنٌ آخَرُ :

فَإِنْ أَرَادَ فِعْلَ الْعَبْدِ وَلَمْ يُرِدْ مِنْ نَفْسِهِ سبحانه أَنْ يُعِينَهُ عَلَيْهِ وَيَجْعَلَهُ فَاعِلاً لَمْ يُوجَدِ الْفِعْلُ، وَإِنْ أَرَادَهُ الْعَبْد حَتَّى يُرِيدَ الله مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ فَاعِلاً وَهَذِهِ هِيَ النُّكْتَةُ الَّتِي خَفِيَتْ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ ، وَخَبَّطُوا فِي مَسْأَلَةِ الْقَدَرِ، لِغَفْلَتِهِمْ عَنْهَا ، وَفَرْقٌ بَيْنَ إِرَادَتِهِ أَنْ يَفْعَلَ الْعَبْدُ وَإِرَادَتِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ فَاعِلاً كما أشار إلى ذلك ابن أبي العز الحنفي [٢].

والاحتجاج بالقدر في المصائب والذنب بعد التوبة النصوح جائز لا الاحتجاج به على الذنب قبل التوبة

ولذلك قال رسول الله ﷺ : **«احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ ، قَالَ لَهُ آدَمُ : يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي**

---

(١) انظر «شرح الطحاوية» ص(٢٢٩) وما بعدها .

(٢) انظر «شرح الطحاوية» ص(٨٥) .

بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ؟» فقال النبي ﷺ : **«فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»**(١) .

وما أجمل إجابة السلف الذين سلمت أفهامهم وهدوا في عقائدهم – في مسائل القدر ، فإجابتهم كانت شافيةً كافيةً لذي لُبّ مفيدةً جامعةً مانعةً :

«لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ».

وفعله ﷻ نشأ عن حكمة وعلم وقدرة ومشيئة لا دخل للعباد فيها وتقدمت مناظرة السني مع المعتزلي وقوله للمعتزلي :

«إن كان منعك ما هو لك فقد أساء، وإن كان منعك ما هو له فيختص برحمته ما يشاء» فانقطع المعتزلي عن الجواب وبطلت حجته.

فمن آمن بالقدر أثمر عنده

الاعتماد على الله ﷻ عند فعل الأسباب فلا يعتمد على الأسباب ، ولا يعجب عند حصوله مراده؛ لأنه إنما حصل له بما قدره الله فلا ينسى شكره .

ويثمر عنده راحة القلب والنفس التي فقدها كثير من المسلمين اليوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فحينما يعلم المرء معنى قوله ﷻ : **﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦١٤) ، ومسلم (٢٦٥٢) .

[الحديد : ٢٢ ، ٢٣] .

وقوله ﷺ : **«عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**(١) .

حينما يعلم معنى ذلك تناله الراحة التامة والطمأنينة مهما حصل له وتهون عليه المصائب فلا يجزع عند مصيبة، ولا يخاف من سطوة ظالم، بل يلجأ إلى الذي الخير والشر بيده، وبيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه .

فيثمر عند ذلك عبادة واستقامة لله ... .

فمن لم يؤمن بالقدر لم يتهنَّ بعيش حقيقة كما قال بعض الصالحين .

فما تعاظمت القلوب بالمصائب، وضاقت بها الأنفس وحرجت بها الصدور إلا من ضعف الإيمان بالقدر .

رزقنا الله الإيمان بالقدر خيره وشره، إنه على كل شيء قدير (٢) .

والله ﷻ علم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون

فالله ﷻ يقول عن الكفار الذين قالوا: ﴿ **وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٩٩) .

(٢) «الثمرات الزكية» ص(٢٣٥) بتصرف .

[الأنعام : ٢٨] .

وهذا العلم لا يحاسب الله العباد عليه، بل لا يحاسبهم إلا على ما وقع منهم باختيارهم ولذلك قال ﷻ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : ٣١] .

وعلم ما سيحصل من فرعون ولم يؤاخذه إلا بعد ما حصل منه .

وعلم من إبليس لإبليس وأبي جهل وغيرهم من الظلمة ما سيؤول إليه أمرهم ولم يحاسبهم إلا بعد أن وقع فعلهم باختيارهم .

فالله لا يحاسب الناس على ما في سابق علمه أنهم سيفعلوه ، لكن يحاسبهم بذنوبهم ومخالفتهم التي اقترفوها دون أن يرغمهم أحد عليها[1] .

والمكتوب في صحائف الملائكة وأعمال العباد هي موافقة لما كتبه الله في اللوح المحفوظ لا خلاف .

لكن الحقيقة أن الناس قد وافقوا المكتوب بأعمالهم

لكن لا حجة لهم على الله ﷻ والملائكة لم تظلم ، ويوم القيامة حيث يختصمون يختم الله على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، يُنطقها الله الذي أنطق كل شيء .

والله خالق أفعال العباد سواء كانت خيرًا أم شرًا

---

(١) وإن كان ذلك تخلَّف في شأن مثل غلام الخدر، لكنه سبحانه «لا يسئل عما يفعل وهم يسألون» والمقصود: الغالب .

قال ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] .أي وعملكم .

وقد حكي الحافظ في «الفتح» (٤٤٨/١٣)

«اِتَّفَاقَ أَهْل السُّنَّة عَلَى أَنَّهُ لا يَقَع إِلا مَا يُرِيدهُ اللَّه تَعَالَى ، وَأَنَّهُ مُرِيد لِجَمِيعِ الْكَائِنَات وَإِنْ لَمْ يَكُنْ آمِرًا بِهَا»[1] .

وقال الصابوني في «عقيدة السلف» ص(٦٨) :

ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد أنها مخلوقة للهﷻلا يمترون فيه ، ولا يَعُدّون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه ويشهدون أن الله ﷻ يهدي من يشاء لدينه ويضلّ من يشاء عنه.

ومن الأدلة على أن أفعال العباد مخلوقة:

قوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر : ٦٢] ، وشيء من ألفاظ العموم .

---

(١) أَمَّا الْمُعْتَزِلَة فَقَالُوا:لا يُرِيد الشَّرّ؛ لأَنَّهُ لَوْ أَرَادَهُ لَطَلَبَهُ، وَزَعَمُوا أَنَّ الأَمْر نَفْس الإِرَادَة ، وَشَنَّعُوا عَلَى أَهْل السُّنَّة أَنَّهُ يَلْزَمهُمْ أَنْ يَقُولُوا : إِنَّ الْفَحْشَاء مُرَادَة لِلَّهِ وَيَنْبَغِي أَنْ يُنَزَّه عَنْهَا ، وَانْفَصَلَ أَهْل السُّنَّة عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّه تَعَالَى قَدْ يُرِيد الشَّيْء لِيُعَاقِب عَلَيْهِ ، وَلِثُبُوتِ أَنَّهُ خَلَقَ النَّار وَخَلَقَ لَهَا أَهْلاً وَخَلَقَ الْجَنَّة وَخَلَقَ لَهَا أَهْلاً ، وَأَلْزَمُوا الْمُعْتَزِلَة بِأَنَّهُمْ جَعَلُوا أَنَّهُ يَقَع فِي مُلْكه مَا لا يُرِيد ، ولذلك لما أُحضر بَعْض أَئِمَّة السُّنَّة لِلْمُنَاظَرَةِ مَعَ بَعْض أَئِمَّة الْمُعْتَزِلَة فَلَمَّا جَلَسَ الْمُعْتَزِلِيّ قَالَ : سُبْحَان مَنْ تَنَزَّهَ عَنْ الْفَحْشَاء، فَقَالَ السُّنِّيُّ : سُبْحَان مَنْ لا يَقَع فِي مُلْكه إِلا مَا يَشَاء ، فَقَالَ الْمُعْتَزِلِيّ : أَيَشَاءُ رَبّنَا أَنْ يُعْصَى ؟ فَقَالَ السُّنِّيّ : أَفَيُعْصَى رَبّنَا قَهْرًا ؟ فَقَالَ الْمُعْتَزِلِيّ : أَرَأَيْت إِنْ مَنَعَنِي الْهُدَى وَقَضَى عَلَيَّ بِالرَّدَى أَحْسَنَ إِلَيَّ أَوْ أَسَاءَ ؟ فَقَالَ السُّنِّيُّ : إِنْ كَانَ مَنَعَك مَا هُوَ لَك فَقَدْ أَسَاءَ وَإِنْ كَانَ مَنَعَك مَا هُوَ لَهُ فَإِنَّهُ يَخْتَصّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاء فَانْقَطَعَ –أي الخصم – ذكر هذه المناظرة الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٥٤٣) ، وقد أشرنا إلى هذه المناظرة من قبل .

وقال ﷻ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٣] .

وقال ﷻ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

فهو سبحانه كما خلقهم فأيضًا جعلهم .

وقال ﷺ : «**مَا مِنْ قَلْبٍ إِلاَّ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ**» .

وَلذلك كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يحلف : «**لا ومُقَلِّب الْقُلُوبِ**»[1].

وللعباد قدرة ومشيئة بها تقع أفعالهم .

كما قال ﷻ : ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت : ٤٠] .

والله خالقهم وخالق مشيئتهم، وهم لا يشاؤون إلا أن يشاء الله ﷻ .

وخَلقُ أفعال العباد ومشيئتهم لا يعني إلغاء هذه المشيئة بل هي موجودة مخلوقة ولكن مشيئة الله فوق كل ذلك، كما قال سبحانة: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ التكوير.

ومشيئته ﷻ تنفذ فيهم من خلال ما يفعلونه بأنفسهم ومشيئتهم ومشيئة العباد لها أثر في أفعالهم : بها تقع الأفعال وهذا هو الكسب

(١) صحيح أخرجه البخاري (٧٣٩١) .

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] . وقد أشار إلى ذلك بعض أهل العلم .

ومن الأدلة على أن أفعال العباد مخلوقة أيضًا:

قوله ﷻ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ [البقرة : ٢٢] .

وقال ﷻ : ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [فصلت : ٩] .

ومن شفوف نظر البخاري أنه بوب للآية الثانية في «كتاب التوحيد» ليبين أن أفعال العباد بخلق الله، إذ لو كانت أفعالهم بخلقهم لكانوا أندادًا لله وشركاء له في الخلق [١].

وقد قال ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] أي خلقكم وعملكم .

والأعمال تنسب إلى العباد كسبًا وإلى الله خلقًا .

قال ﷻ : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢] وأعمال العباد شيء فهي مخلوقة، وكسبهم مخلوق أيضًا .

فأعمال العباد منسوبة إليهم؛ لأنها من كسبهم، وإن كان الله خلقهم وأعمالهم

دل على ذلك قوله ﷺ في حديث عائشة ﵂ مرفوعًا : «**إِنَّ أَصْحَابَ**

---

(١) انظر «فتح الباري» (١٣/ ٥٩٦) .

هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»(١) .

وفي حديث ابن عمر بمثله إلا أنه قال : « **يُقَالُ لَهُمْ**» بغير واو(٢)

وفي حديث أبي هريرة ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول : «**قَالَ اللَّهُ ﷻ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ**(٣) **يَخْلُقُ كَخَلْقِي ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً»**(٤)، وهذ تحدٍ سافر واضح على مرّ الأزمان والعصور .

وقد ذكر الحافظ في شرح الحديث أن :

«مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَخْلُق فِعْل نَفْسه – لَو صَحَّتْ دَعْوَاهُ – لَمَا وَقَعَ الإِنْكَار عَلَى هَؤُلاءِ الْمُصَوِّرِينَ ، فَلَمَّا كَانَ أَمْرهمْ بِنَفْخِ الرُّوح فِيمَا صَوَّرُوهُ أَمْر تَعْجِيز وَنِسْبَة الْخَلْق إِلَيْهِمْ إِنَّمَا هِيَ عَلَى سَبِيل التَّهَكُّم وَالاسْتِهْزَاء دَلَّ عَلَى فَسَاد قَوْل مَنْ نَسَبَ خَلْق فِعْله إِلَيْهِ اِسْتِقْلالا وَالْعِلْم عِنْد اللَّه تَعَالَى»(٥).

ومن الردود على القدرية القائلين بأن العبد يخلق فعله

حديث أبي موسى ﷺ قال : «... إِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ نَسْتَحْمِلُهُ قَالَ ﷺ : «**وَاللَّهِ لاَ أَحْمِلُكُمْ وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ**» فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِنَهْبِ إِبِلٍ فَسَأَلَ عَنَّا ، فَقَالَ : «**أَيْنَ النَّفَرُ الأَشْعَرِيُّونَ**» ، فَأَمَرَ لَنَا

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٥٥٧) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٥٥٨) .

(٣) ذهب : أي قصد .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٧٥٥٩) .

(٥) «فتح الباري» (١٣/ ٦٤٨) .

بِخَمْسِ ذَوْدٍ غُرِّ الذُّرَى ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا ، قُلْنَا مَا صَنَعْنَا ؟ حَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاَ يَحْمِلُنَا ، وَمَا عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُنَا ، ثُمَّ حَمَلَنَا ، تَغَفَّلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمِينَهُ ، وَاللَّهِ لاَ نُفْلِحُ أَبَدًا ، فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا لَهُ ، فَقَالَ : **«لَسْتُ أَنَا أَحْمِلُكُمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ ، إِنِّي وَاللَّهِ لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، إِلاَّ أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَتَحَلَّلْتُهَا»**(١) .

فقوله: «وإنما الله الذي يحملكم» ردٌ على القدرية الذين يزعمون أنهم يخلقون أعمالهم(٢) .

وكذلك قوله ﷻ : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ [القمر : ٤٩] .

فالتقدير خلقنا كل شيء بقدر ، فيستفاد منه أن يكون الله خالق كل شيء كما صرح به في الآية الأخرى ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [الرعد : ١٦] .

وكذلك قوله ﷻ : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الصافات : ٩٦] .

ظاهر في إثبات نسبة العمل إلى العباد .

تنبيه :

اِحْتَجَّ بَعْض الْمُبْتَدِعَة بِقَوْلِهِ ﷻ : ﴿ **اللَّه خَالِق كُلّ شَيْء** ﴾ عَلَى أَنَّ الْقُرْآن مَخْلُوق ؛ لأَنَّهُ شَيْء .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٥٥٥) .

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٦٣٩) .

وتعقَّبَ ذَلِكَ نُعَيْم بْن حَمَّاد – شيخ البخاري – وَغَيْره مِنْ أَهْل الْحَدِيث بِأَنَّ الْقُرْآن كَلام اللَّه وَهُوَ صِفَته فَكَمَا أَنَّ اللَّه لَمْ يَدْخُل فِي عُمُوم قَوْله ﴿ **كُلّ شَيْء** ﴾ اِتِّفَاقًا فَكَذَلِكَ صِفَاته ، وَنَظِير ذَلِكَ قَوْله سبحانه : ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسه**﴾ مَعَ قَوْله ﷻ: ﴿ **كُلّ نَفْس ذَائِقَة الْمَوْت** ﴾ فَكَمَا لَمْ تَدْخُل نَفْس اللَّه فِي هَذَا الْعُمُوم اِتِّفَاقًا فَكَذَا لا يَدْخُل الْقُرْآن [١].

والمقصود: أن أعمال العباد كسبهم، ولكن لم يخلقوا أعمالهم بل الله خلقهم وعملهم كما أن الولد من كسب أبيه بقوله ﷺ : «**إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَوَلَدُهُ مِنْ كَسْبِهِ**» [٢].

ولا يعني هذا أن يكون الإنسان خلق ولده ، بل له أثر في إيجاده ، وهو سبب وجوده ، فكما أن الولد من كسب أبيه وليس هو خالقه بل الله خالقه ، فكذلك العمل من كسب العباد، لكن الله ﷻ هو الذي خلق الإنسان وعمله .

والله ﷻ هو الذي أراد أن يوجد الخير والطاعة والمعصية كونًا لا شرعًا لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد في الأولى والآخرة .

وهو ﷻ الذي أقدر العباد ، وجعلهم يشاءون ، وخلق قدرتهم وأفعالهم ومشيئتهم ، وهو يعذِّب من يعذِّب منهم وهو غير ظالم لهم ؛ لأنه أعطاهم القدرة والإرادة ، وأرسل إليهم الرسل بلسان أقوامهم ليبين لهم ، وأنزل معهم

---

(١) قاله الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٦٤٤) .

(٢) وهو حديث ثابت خرجته في كتابي «الصحيح من بر الوالدين» .

الكتب وأيدهم بالمعجزات والبراهين ، فأقام عليهم من الحجج ما سقط معها احتجاجهم وصدق الله إذ قال : ﴿ **فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ** ﴾ [الأنعام : ١٤٩] ، وهم كانوا سببًا في وجود أعمالهم .

وقد قطع الله حجج من أراد أن يحتج من كل وجه

فحجج المشركين : ﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا** ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

وإبليس هو الآخر يقول : ﴿ **فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي** ﴾ [الأعراف : ١٦] .

يفتعلون حججاً لا تنفعهم ويحتجون بمشيئة الله ، وما قدروا الله حق قدره .

قال الله ﷻ : ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ . قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [الأنعام : ١٤٨ ، ١٤٩] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾ [النحل : ٣٥] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ** ﴾ [الزخرف : ٢٠] .

فهذه كلمة حق من هؤلاء الكافرين أريد بها باطل .

مع أنه ﷻ قال في سورة «الأنعام» : ﴿ **مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ [الأنعام : ١١١] .

وقال ﷻ في سورة «النحل» : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [النحل : ٩] .

وقال الإمام الصابوني :

«ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره لا مرد له ولا محيص ولا محيد عنه ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له.

ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له لم يقدروا عليه.

ولو جهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدروا» [(١)].

ففي حديث ابن عباس أن النبي ﷺ علمه كلمات منها أنه قال : «**...وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ... الحديث**»[(٢)].

وقال ﷻ : ﴿ **وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الأنعام : ١٧] .

وإن يردك بخير فلا رادَّ لفضله .

---

(١) حكى نحوه الصابوني في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» ص(٦٨) .

(٢) حديث ثابت أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وغيره .

وما تأويل قوله ﷺ في دعاء الاستفتاح «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»(١).

ومذهب الحق أن كل شيء شر أم خير قد خلقه الله سبحانه وتعالى ومنسوب إلى قدره كما قال سبحانه : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ [القمر : ٤٩] . وقال سبحانه : ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [الزمر : ٦٢] .

وقال ﷺ : «**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(٢). وقال ﷺ : «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ**»(٣). والكيس العقل ؟

فالجواب :

إما أن يُقال : معنى « **وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**» أي لا يتقرَّب بالشر إليه سبحانه ، قاله الخليل بن أحمد ، والنضر بن شميل ، وابن راهويه ، ويحيى بن معين ، وغيرهم.

وإما أن يقال :

---

(١) وهو حديث أخرجه مسلم (٧٧١)

وقد روى الطيالسي (٤١٤) ، وابن أبي شيبة (١٣/ ٣٧٨) ، والنسائي (١١٢٣٠) ط الرسالة والحارث بن أبي أسامة (١١٢٩بغية) ، والبزار (٢٩٢٦) وغيرهم بإسنادٍ صححه الحافظ في «الفتح» (٨/ ٣٩٩) ط المعرفة وهو كذلك من حديث حذيفة قال : «يجتمع الناس في صعيد واحد فأول مدعو محمد فيقول : «لبيك و سعديك و الخير في يديك و الشر ليس إليك».

(٢) وهو حديث في الصحيحين وغيرهما حديث جبريل المشهور .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٥٦) .

لا يضاف الشر إلى الله ﷻ على انفراده ، فلا يقال : يا خالق القردة والخنازير ، ويا رب الشر ، ونحو هذا ، وإن كان هو سبحانه خالق كل شيء ، ورب كل شيء ، وحينئذٍ يدخل الشر في العموم ، فلا يُضاف إليه ما يُستَهجن لفظه وإن كان الكل بتقديره ﷻ وخلقه[1].

---

(١) وذلك كمثل قول الخضر: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مع أنه قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ فنسب العيب إلى نفسه مع أن الله هو الذي أمره أن يعمله وكذلك كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ ، ونسبوا الشر إلى ما لم يُسَم فاعله ، وإرادة الخير إلى الله ، وقال إبراهيم ﷺ : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ فلم ينسب الشرَّ إليه ، وإنما نسب الخير إليه سبحانه تأدُّبًا مع الله ﷻ .

وفي نفس الحديث نسب النبي ﷺ الهداية إلى الله فقال : **«... والمهدي من هديت»** .

وقد قال الصابوني في «عقيدة السلف أهل الحديث» ص (٦٨) :

«ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم إن الخير والشر من الله وبقضائه ، لا يضاف إلى الله ما يتوهم منه نقص على الانفراد ، فلا يقال : يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان ، وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه ، وفي ذلك ورد قول رسول الله ﷺ في دعاء الاستفتاح :

«تباركت وتعاليت ، والخير في يديك ، والشر ليس إليك» .

ومعناه – والله أعلم – والشر ليس مما يضاف إليك إفرادًا وقصدًا حتى يقال لك في المناداة : يا خالق الشر أو يا مقدِّر الشرِّ ، وإن كان هو الخالق والمقدِّر لهما جميعًا ، ولذلك أضاف الخضر عليه السلام إرادة العيب إلى نفسه فقال فيما أخبر الله تعالى عنه في قوله : **﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾** [الكهف : ٧٩] ، ولما ذكر الخير والبر والرحمة أضاف إرادتها إلى الله ﷻ فقال : **﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾** [الكهف : ٨٢] ، ولذلك قال مخبرًا عن إبراهيم ﷺ أنه قال : **﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾** [الشعراء: ٨٠] ، فأضاف المرض إلى نفسه والشفاء إلى ربه ، وإن كان الجميع منه جل جلاله» .

وإما أن يقال : الشر لا يصعد إليك ، إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح .

وإما أن يقال :

معناه الشر ليس شرًا بالنسبة إليك ، فإنك خلقته بحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين ، فالفعل من جهة الله خير نابع عن حكمة بالغة ، والشر جزئي باعتبار إضافته للمخلوق ؛ لأنه مستحقه .

ولذا قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ :

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يَخْلُق شَرًّا مَحْضًا ، بَلْ كُلُّ مَا يَخْلُقُهُ : فَفِيهِ حِكْمَةٌ ، هُوَ بِاعْتِبَارِهَا خَيْرٌ ، وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ فِيهِ شَرٌّ لِبَعْضِ النَّاسِ وَهُوَ شَرٌّ جُزْئِيٌّ إضَافِيٌّ .

فَأَمَّا شَرٌّ كُلِّيٌّ ، أَوْ شَرٌّ مُطْلَقٌ : فَالرَّبُّ مُنَزَّهٌ عَنْهُ . وَهَذَا هُوَ الشَّرُّ الَّذِي لَيْس إلَيْهِ .

وَأَمَّا الشَّرُّ الْجُزْئِيُّ الإِضَافِيُّ : فَهُوَ خَيْرٌ بِاعْتِبَارِ حِكْمَتِهِ . وَلِهَذَا لا يُضَافُ الشَّرُّ إلَيْهِ مُفْرَدًا قَطُّ . بَلْ إمَّا أَنْ يَدْخُلَ فِي عُمُومِ الْمَخْلُوقَاتِ ، كَقَوْلِهِ ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ . وَإِمَّا أَنْ يُضَافَ إلَى السَّبَبِ كَقَوْلِهِ ﴿ **مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ** ﴾ . وَإِمَّا أَنْ يُحْذَفَ فَاعِلُهُ ، كَقَوْلِ الْجِنِّ ﴿ **وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا** ﴾ .

وَهَذَا الْمَوْضِعُ ضَلَّ فِيهِ فَرِيقَانِ مِنْ النَّاسِ الْخَائِضِينَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَاطِلِ[١] .

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٢٦٦) .

واعلم – علمني الله وإياك – أن الله تعالى لا يكلف أحدًا إلا بما يُطيقه ويستطيعه

قال الله ﷻ : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا مَا آتَاهَا** ﴾ [الطلاق : ٧] .

وقال ﷻ : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وقال ﷻ : ﴿ **لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا** ﴾ [الأنعام : ١٥٢] .

فلا تكليف إلا بمقدور.

وقد استجاب الله دعاء أهل الإيمان الذين قالوا : ﴿ **رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .وفيه قال تعالى:«**قد فعلت**».[1]

وليعلم أن الله ﷻ لو عذّب أهل سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم ، وهذا دواء فيه شفاء أجاب به أطهر الناس قلوبًا بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

فقد أخرج أبو داود بإسناد حسن من حديث ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ : أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ :وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ :لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ

---

(١) كما في صحيح مسلم(١٢٦).

هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ قَالَ : ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ- قَالَ - ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ- قَالَ- ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ .

وهذا وإن كان موقوفًا عن أبي بن كعب وحذيفة وابن مسعود رضي الله عنهم .

وورد نحوه عن ابن عمر رضي الله عنهما في جوابه ليحيى بن يعمر[1]، لكن الأثر السالف عن زيد بن ثابت مرفوع كما هو واضح[2].

وهذا الحديث قاضٍ على أصول القدرية الفاسدة بتفرقهم وتشتتهم وتشعبهم ، ولهذا قابلوه - بجهلهم - بالتكذيب أو التأويل .

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله[3] :

أَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ أَهْلُ السُّنَّةِ، الَّذِينَ قَابَلُوهُ بِالتَّصْدِيقِ، وَعَلِمُوا مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَجَلَالِهِ، قَدْرَ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعَدَمَ قِيَامِ الْخَلْقِ بِحُقُوقِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، إِمَّا عَجْزًا، وَإِمَّا جَهْلًا، وَإِمَّا تَفْرِيطًا وَإِضَاعَةً، وَإِمَّا تَقْصِيرًا فِي الْمَقْدُورِ مِنَ الشُّكْرِ، وَلَوْ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ. فَإِنَّ حَقَّهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ، وَتَكُونَ قُوَّةُ الْحُبِّ والإنابة، والتوكل والخشية والمراقبة وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ -: جَمِيعُهَا مُتَوَجِّهَةً

---

(١) وهو في صحيح مسلم (١) .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٢) ، وأبو داود (٤٦٩٩) بإسناد قوي .

(٣) «شرح الطحاوية» ص (٤٤٤ - ٤٤٥) .

إِلَيْهِ، وَمُتَعَلِّقَةً بِهِ، بحيث يكون القلب عاكفا على محبته وتألهه، بَلْ عَلَى إِفْرَادِهِ بِذَلِكَ، وَاللِّسَانُ مَحْبُوسًا عَلَى ذِكْرِهِ، وَالْجَوَارِحُ وَقْفًا عَلَى طَاعَتِهِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا مَقْدُورٌ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَكِنَّ النُّفُوسَ تَشِحُّ بِهِ، وَهِيَ فِي الشُّحِّ عَلَى مَرَاتِبَ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. وَأَكْثَرُ الْمُطِيعِينَ تَشِحُّ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ وَجْهٍ، وَإِنْ أَتَى بِهِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ. فَأَيْنَ الَّذِي لَا تَقَعُ مِنْهُ إِرَادَةٌ تُزَاحِمُ مُرَادَ اللَّهِ وَمَا يحبه منه؟ ومن [ذا] الَّذِي لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُ خِلَافُ مَا خُلِقَ لَهُ، وَلَوْ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ؟ فَلَوْ وضع سُبْحَانَهُ عَدْلَهُ عَلَى أَهْلِ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ بِعَدْلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ ظَالِمًا لَهُمْ.

وَغَايَةُ مَا يُقَدَّرُ، تَوْبَةُ الْعَبْدِ مِنْ ذَلِكَ وَاعْتِرَافُهُ، وَقَبُولُ التَّوْبَةِ مَحْضُ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَإِلَّا فَلَوْ عَذَّبَ عَبْدَهُ عَلَى جِنَايَتِهِ لَمْ يَكُنْ ظَالِمًا وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ تَابَ مِنْهَا. لَكِنْ أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ - بِمُقْتَضَى فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ - أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ مَنْ تَابَ، وَقَدْ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، فَلَا يَسَعُ الْخَلَائِقَ إِلَّا رَحْمَتُهُ وَعَفْوُهُ، وَلَا يَبْلُغُ عَمَلُ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَنْجُوَ بِهِ مِنَ النَّارِ، أَوْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، كَمَا قَالَ أَطْوَعُ النَّاسِ لِرَبِّهِ، وَأَفْضَلُهُمْ عَمَلًا، وَأَشَدُّهُمْ تَعْظِيمًا لِرَبِّهِ وَإِجْلَالًا: «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ"، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ» وَسَأَلَهُ الصِّدِّيقُ دُعَاءً يَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِهِ، فَقَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».»[١].

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٨٣٤) .

فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ الصِّدِّيقِ، الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ - فَمَا الظَّنُّ بِسِوَاهُ؟ بَلْ إِنَّمَا صَارَ صِدِّيقًا بِتَوْفِيَتِهِ هَذَا الْمَقَامَ حَقَّهُ، الَّذِي يَتَضَمَّنُ مَعْرِفَةَ رَبِّهِ، وَحَقَّهُ وَعَظَمَتَهُ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، وَمَا يَسْتَحِقُّهُ عَلَى عَبْدِهِ، وَمَعْرِفَةَ تَقْصِيرِهِ.فَسُحْقًا وَبُعْدًا لِمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَخْلُوقَ يَسْتَغْنِي عَنْ مَغْفِرَةِ رَبِّهِ وَلَا يَكُونُ بِهِ حَاجَةٌ إِلَيْهَا! وَلَيْسَ وَرَاءَ هَذَا الْجَهْلِ، بِاللَّهِ وَحَقِّهِ غَايَةٌ!! فَإِنْ لَمْ يَتَّسِعْ فَهْمُكَ لِهَذَا، فَانْزِلْ إِلَى وَطْأَةِ النِّعَمِ، وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الْحُقُوقِ، وَوَازِنْ مِنْ شُكْرِهَا وَكُفْرِهَا، فَحِينَئِذٍ تَعْلَمُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ.

وتعلم أن الصحابة كانوا أصفى الناس عقيدة، وأوسعهم فهماً، وأدرك الناس للإسلام وشرائعه.

ويحرم استعمال «لو» لمعارضة القدر بل يجب التسليم والصبر وعدم المعارضة للقدر بكلمة «لو» عند هزيمة أو موت قريب أو مرض أو مصيبة حلت في نفس المسلم أو ماله أو غير ذلك مما فيه اعتراض على القدر

لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَلاَ تَعْجِزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[1] .

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٦٤) .

وقد عاب الله ﷻ على أقوام وذمهم لأجل أنهم استعملوها

فقالوا : ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾ [آل عمران : ١٥٤]

وقال ﷻ عنهم : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ [آل عمران : ١٦٨] .

ومدح الصابرين المحتسبين الذين أخبتوا لله لما علموا أن كل شيء من عنده وبقدره، ولا ينال الخير إلا منه ففروا إليه وسلموا أمرهم إليه، فأعطاهم أجرين إضافة إلى علاوة

قال ﷻ : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٥ - ١٥٧] .

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «**مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلاَّ أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**» قَالَتْ : فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ(١) .

أما إذا كانت «لو» لبيان ما ينبغي أو الأفضل ، وليست اعتراضًا على القدر ، إنما من باب التأسف على ما فات، كقول القائل : لو علمت أن هذا كذا لفعلته ، فلا بأس بها حينئذٍ

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٩١٨) .

كما قال ﷺ : «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْىَ**»[١] .

ولقول عائشة ﵂ : «لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَّلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلاَّ نِسَاؤُهُ»[٢] .

فليس في هذا اعتراض على القدر .

واعلم أن الأنبياء مع منزلتهم الرفيعة لا يملكون هداية للناس – هداية قبول الحق والرضا به – فلا يؤثروا في القلوب إلا بإذن الله ﷻ

وأنهم لا يملكون إلا هداية الإرشاد والبيان فقط كما قال ﷻ : ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [الشورى : ٥٢] ، وأما القلوب فبيد مقلبها ومصرفها سبحانه .

ففي الصحيح عن سَعِيد بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِى أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**يَا عَمِّ قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ**» ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِى أُمَيَّةَ : يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَمَا وَاللَّهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا**

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٧٨٥) ، ومسلم (١٢١٨) .

(٢) **إسناده حسن** : أخرجه أبو داود (٣١٤١) وغيره .

لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِى طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[١].

ومن أسئلة كثير من العامة

هل الإنسان مخير أم مسير ؟

والجواب :

الإنسان مخير ومسير، أما كونه مخيرًا؛ فلأن الله سبحانه أعطاه عقلاً وسمعًا وبصرًا وإرادة فهو يعرف بذلك الخير من الشرِ ، والنافع من الضار ويختار ما يناسبه ، وبذلك تعلَّقت به التكاليفُ من الأمرِ والنهيِ ، واستحق الثواب على طاعة الله ورسولهِ ﷺ ، والعقابِ على معصيةِ اللهِ ورسولِه ﷺ .

وأما كونه مسيرًا؛ فلأنه لا يخرج بأفعاله وأقواله عن قدر الله ومشيئته، كما قال ﷻ : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ .

وقال ﷻ : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾.

وقال ﷻ : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾[٢].[١]

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٦٠) ، ومسلم (٢٤) .

(٢) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٣/ ٥١٥) .

=

(١) ومن قال أن الإنسان مخيرٌ؛ قال بمذهب القدرية الذين هم أخبث من المجوس حيث قالوا : إن العبد يخلق فعله ، ومن قال إن الإنسان مسير قال بقول الجبرية الذين قالوا : إن الإنسان معذور في كل ما يفعل لأنه مجبور قد جبره الله تعالى على فعل هذا الشيء .

فلازم قول الجبرية :

التسوية بين الأخيار والفجار والأبرار والأشرار ، بل وأهل الجنة وأهل النار بل عدم التفرقة بين إبليس وجبريل عليه السلام لأن كلاهما قد جبره الله ولا دخل لنفسه في الإختيار .

والله تعالى نفى ذلك بقوله : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص : ٢٨] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ [الجاثية : ٢١] .

وقال سبحانه وتعالى : **﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾** [القلم : ٣٥ ، ٣٦] مع أن لفظة الجبر لم تأت لا في القرآن ولا في السنة ، وإنما وردت لفظة «الهداية والضلال» أو«الجَبْل» لا نقول جبر العباد، وإنما نقول **﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾** كما هي إجابة الإمام أحمد فيما حكاه عنه الخلال في «السنة» (٩٢٥) .

وقد أسند الله تعالى الأفعال إلى من قاموا بها، كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [يس : ٢٠] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ [القصص : ١٥] ، وقال عز وجل : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ [القصص : ٧٩] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ [الصافات : ١٠٣] أسندت الأفعال إلى من قاموا بها فتبين من هنا أن للإنسان إرادة مستقلة ، ولكن تنتهي إلى ان يختار العبد ما قدره الله تعالى وقضاه ، ذلك الذي في اللوح المحفوظ .

والغريب أن بعضهم كان يحب ما يُبغض الله تعالى، فلامه شيخ الإسلام ابن تيمية على ذلك فقال: «المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب وجميع ما في الكون مرادة ، فأي شيء أُبغض منه ، قال شيخ الإسلام : إذا كان قد سخط على أقوام ولعنهم وغضب عليهم وذمهم ، فواليتهم أنت وأحببتهم وأحببت أفعالهم ورضيتها تكون مواليًا له أو معاديًا ، فبهت الجبري ولم

=

ومن عقيدة أهل السنة أنهم يصلون على كل مسلم مهما كان عليه من الذنوب حتى قال القاضي عياض رحمه الله كغيره :

مذهب العلماء كافة الصلاة على كل مسلم ، ومحدود ومرجوم وقاتل نفسه وولد الزنا[١].

وأما حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ : «أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصَ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ»[٢].

فيستفاد منه أن للإمام أن يجتنب الصلاة على مقتول في حد، وأن أهل الفضل لا يصلون على الفساق زجرًا لهم .

ومن عقائد اليهود الفاسدة الكاذبة التي فشت في عوام من عوام المسلمين يذكرونها هزوًا لتفاهتهم قولهم: كل الناس يدخلون النار مَن عمل ومَن لم يعمل ويتولون عما يُنصحون به قال الله ﷻ عن اليهود :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ

=

ينطق بكلمة كأنه أُلقم حجرًا وافتضح بين أصحابه ، حكاه عنه ابن القيم في «شفاء العليل» ص(٤) ط دار الفكر ، و«طريق الهجرتين» وغيرهما من كتبه .

وسبب ضلال هؤلاء كما قال شيخ الإسلام الفتاوى» (١٠/ ٦٨٤) : «أنهم لم يفرقوا بين الإرادة الدينية والكونية ، والإذن الكوني والديني، والأمر الكوني والديني ، والبعث الكوني والديني ، والإرسال الكوني والديني والإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب كما فهمه هؤلاء الضلال» .

(١) حكاه عنه النووي في «شرح مسلم» (٧/ ٤٧) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٩٧٨) .

إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٣ ، ٢٤] .

ورد الله ﷻ عليهم هذه الفرية

فقال فيهم :

﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ . بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٨٠ ، ٨١].

وقال الله ﷻ : **﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾** [القلم : ٣٥] .

وقال ﷻ : **﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾** [ص : ٢٨] .

وقال ﷻ : **﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ . أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾** [السجدة : ١٨ - ٢٠] .

وفي هذا ردٌّ على الجهَّال الضلال الذي يقولون:«كل الناس يدخلون الجنة»!!



فصل في
ردود على بعض قول المعتزلة

ردود على بعض قول المعتزلة

قول المعتزلة في قول الله ﷻ : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ ﴾

مَعْنَاهُ وَمَا تَشَاءُونَ الطَّاعَة إِلا أَنْ يَشَاء اللَّه قَسَرَكُمْ عَلَيْهَا هُو خطأ ؛ لأنَّ الله قَالَ : إِلا أَنْ يَشَاءَ ، ولم يقل : إِلا مَا يَشَاءَ فتفسيرهم هَذَا تَحْرِيف لِمَعنَى الآيَة ، **ولذلك ذكرَ الحافظُ قولَهم ثمَّ قالَ :**

وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا قَالَ إِلا أَنْ يَشَاء فِي مَوْضِع مَا شَاءَ ؛ لأَنَّ حَرْف الشَّرْط لِلاسْتِقْبَال ، وَصَرْف الْمَشِيئَة إِلَى الْقَسْر تَحْرِيف لا إِشْعَار لِلآيَةِ بِشَيْءٍ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا الْمَذْكُور فِي الآيَة مَشِيئَة الاسْتِقَامَة كَسْبًا وَهُوَ الْمَطْلُوب مِنْ الْعِبَاد .

وتَخبُّطهم في ذلك نظير تخبُّطهم في تفسير قوله ﷻ : ﴿ تُؤْتِي الْمُلْك مَنْ تَشَاء﴾

قَالُوا : أَيْ يُعْطِي مَنْ اِقْتَضَتْهُ الْحِكْمَة الْمُلْك ، يُرِيدُونَ أَنَّ الْحِكْمَة تَقْتَضِي رِعَايَة الْمَصْلَحَة وَيَدَّعُونَ وُجُوب ذَلِكَ عَلَى اللَّه ، تَعَالَى اللَّه عَنْ قَوْلهمْ ، وَظَاهِر الآيَة أَنْ يُعْطِي الْمُلْك مَنْ يَشَاء سَوَاء كَانَ مُتَّصِفًا بِصِفَاتِ مَنْ يَصْلُح لِلْمُلْكِ أَمْ لا مِنْ غَيْر رِعَايَة اِسْتِحْقَاق وَلا وُجُوب وَلا أَصْلَح بَلْ يُؤْتِي الْمُلْك مَنْ يَكْفُر بِهِ وَيَكْفُر نِعْمَته حَتَّى يُهْلِكهُ كَكَثِيرٍ مِنْ الْكُفَّار مِثْل : نُمْرُود وَالْفَرَاعِنَة، وَيُؤْتِيه إِذَا شَاءَ مَنْ يُؤْمِن بِهِ وَيَدْعُو إِلَى دِينه وَيَرْحَم بِهِ الْخَلْق مِثْل يُوسُف وَدَاوُد وَسُلَيْمَان ، وَحِكْمَته فِي كِلا الأَمْرَيْنِ عِلْمه وَأَحْكَامه بِإِرَادَتِهِ

تَخْصِيص مَقْدُورَاته[١] .

وقد تمسَّك المعتزلة بقوله ﷻ : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

قالوا : هي تَدُلّ عَلَى أَنَّهُ لا يُرِيد الْمَعْصِيَة .

وَتعُقِّبَ بِأَنَّ مَعْنَى إِرَادَة الْيُسْر التَّخْيِير بَيْن الصَّوْم فِي السَّفَر وَمَعَ الْمَرَض وَالإِفْطَار بِشَرْطِهِ ، وَإِرَادَة الْعُسْر الْمَنْفِيَّة الإِلْزَام بِالصَّوْمِ فِي السَّفَر فِي جَمِيع الْحَالات ... .

وَقَدْ اِتَّفَقَ أَهْل السُّنَّة عَلَى أَنَّهُ لا يَقَع إِلا مَا يُرِيدهُ اللَّه تَعَالَى ، وَأَنَّهُ مُرِيد لِجَمِيعِ الْكَائِنَات وَإِنْ لَمْ يَكُنْ آمِرًا بِهَا .

وَقَالَتْ الْمُعْتَزِلَة : لا يُرِيد الشَّرّ ؛ لأَنَّهُ لَوْ أَرَادَهُ لَطَلَبَهُ ، وَزَعَمُوا أَنَّ الأَمْر نَفْس الإِرَادَة وَشَنَّعُوا عَلَى أَهْل السُّنَّة أَنَّهُ يَلْزَمهُمْ أَنْ يَقُولُوا : إِنَّ الْفَحْشَاء مُرَادَة لِلَّهِ وَيَنْبَغِي أَنْ يُنَزَّه عَنْهَا

وَانفَصَلَ أَهْل السُّنَّة عَنْ ذَلِكَ : بِأَنَّ اللَّه تَعَالَى قَدْ يُرِيد الشَّيْء لِيُعَاقِب عَلَيْهِ ، وَلِثُبُوتِ أَنَّهُ خَلَقَ النَّار وَخَلَقَ لَهَا أَهْلا وَخَلَقَ الْجَنَّة وَخَلَقَ لَهَا أَهْلا وَأَلْزَمُوا الْمُعْتَزِلَة بِأَنَّهُمْ جَعَلُوا أَنَّهُ يَقَع فِي مُلْكه مَا لا يُرِيد[٢] .

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٥٤٢) .

(٢) قاله الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٥٤٣) ثم ذكر مناظرة المعتزلي مع السني التي جعلت المعتزلي ينقطع .

أدلة على إثبات المشيئة لله

ومن أدلة إثبات المشيئة لله سبحانه وتعالى :

* وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ** ﴾ [الزمر : ٦٨] دليل على إثبات المشيئة .

* وقول موسى للخضر : ﴿ **سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا** ﴾ [الكهف : ٦٩] دليل على إثبات المشيئة لله تعالى(١) .

* **ويدل على إثبات المشيئة أيضًا قوله ﷺ «يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ»**(٢) أي في الوقت الذي سبقت إرادته أن يقصمه فيه .

وذلك في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ ، يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا ، فَإِذَا سَكَنَتِ اعْتَدَلَتْ ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بِالْبَلاَءِ ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ**»(٣) .

* **ويدل على إثبات المشيئة :**

قوله سبحانه وتعالى : «**فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ**» .

---

(١) وبه استدل البخاري (٧٤٧٨) على إثبات المشيئة .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٦٤٤) ، وبرقم (٧٤٦٦) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٦٦) .

في حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهْوَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يقول : «**إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ ، كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ ، فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ، ثُمَّ عَجَزُوا ، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ، ثُمَّ أُعْطِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ ، فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّى صَلاَةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ عَجَزُوا ، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ، ثُمَّ أُعْطِيتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَأُعْطِيتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، قَالَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ : رَبَّنَا هَؤُلاَءِ أَقَلُّ عَمَلاً وَأَكْثَرُ أَجْرًا . قَالَ : هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا : لاَ . فَقَالَ : فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ**»[١] .

* وفي قوله ﷺ : «**فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأُخِذَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهْوَ لَهُ كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ ، وَمَنْ سَتَرَهُ اللَّهُ فَذَلِكَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ**»[٢] ففي ذلك أيضاً إثبات المشيئة لله تعالى .

* وفي قصة سليمان أن النبي ﷺ قال : «**لَوْ كَانَ سُلَيْمَانُ اسْتَثْنَى لَحَمَلَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ ، فَوَلَدَتْ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ**»[٣] في ذلك أيضاً إثبات المشيئة لله سبحانه وتعالى .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٦٧) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٦٨) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٦٩) .

* وفي قوله ﷺ : حينما دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ فَقَالَ : «**لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ**»(١) دليل على إثبات المشيئة لله سبحانه وتعالى .

* وفي قوله ﷺ : «**الْمَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَّالُ فَيَجِدُ الْمَلاَئِكَةَ يَحْرُسُونَهَا فَلاَ يَقْرَبُهَا الدَّجَّالُ وَلاَ الطَّاعُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**»(٢) دليل على إثبات المشيئة لله سبحانه وتعالى .

* وفي قوله ﷺ : «**وَلِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ ، فَأُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣) دليل على إثبات المشيئة لله سبحانه وتعالى .

* وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ فَنَزَعْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَنْزِعَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِى قُحَافَةَ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ وَفِى نَزْعِهِ ضَعْفٌ ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ**»(٤) دليل على إثبات المشيئة لله سبحانه وتعالى .

* وفي قوله ﷺ : «**اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا ، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ**»(٥) دليل على إثبات المشيئة لله سبحانه وتعالى .

* وقوله ﷺ : «**نَنْزِلُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ**» يُرِيدُ الْمُحَصَّبَ(٦) ... إلى غير ذلك من الأحاديث التي تثبت

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٧٠) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٧٣) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٧٤) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٧٥) .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٧٦) .

(٦) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٧٩) .

المشيئة لله ﷻ ، وقد ذكر منها البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ سبعة عشر حديثًا في رَدِّه على المعتزلة .

وقد حكى الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ أن ذكر المشيئة تكرر في كتاب الله في أكثر من أربعين موضعًا(١)

وقد تمسَّك المعتزلة بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا** ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

قَالُوا : إِنَّ فِيهَا رَدًّا عَلَى أَهْل السُّنَّة(٢) .

وأجاب الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ **فقال**(٣) :

وَالْجَوَاب أَنَّ أَهْل السُّنَّة تَمَسَّكُوا بِأَصْلٍ قَامَتْ عَلَيْهِ الْبَرَاهِين وَهُوَ أَنَّ اللَّه خَالِق كُلّ مَخْلُوق وَيَسْتَحِيل أَنْ يَخْلُق الْمَخْلُوق شَيْئًا ، وَالإِرَادَة شَرْط فِي الْخَلْق وَيَسْتَحِيل ثُبُوت الْمَشْرُوط بِدُونِ شَرْطه ، فَلَمَّا عَانَدَ الْمُشْرِكُونَ الْمَعْقُول وَكَذَّبُوا الْمَنْقُول الَّذِي جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُل وَأُلْزِمُوا الْحُجَّة بِذَلِكَ تَمَسَّكُوا بِالْمَشِيئَةِ وَالْقَدَر السَّابِق ، وَهِيَ حُجَّة مَرْدُودَة ؛ لأَنَّ الْقَدَر لا تَبْطُل بِهِ الشَّرِيعَة وَجَرَيَان الأَحْكَام عَلَى الْعِبَاد بِأَكْسَابِهِمْ فَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ بِالْمَعْصِيَةِ كَانَ ذَلِكَ عَلامَة عَلَى أَنَّهُ قَدَّرَ عَلَيْهِ الْعِقَاب إِلا أَنْ يَشَاء أَنْ يَغْفِر لَهُ مِنْ غَيْر

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٥٤٠ – ٥٤١) .

(٢) يعني كأنهم يقولون : إن أثبتم المشيئة لله عزرتم المشركين ؛ لأنه تَعَالَى هو الذي شاء ذلك ، ولو أثبتم المشيئة للعباد نهجتم منهج القدرية ؛ لأن لهم مشيئة غير مشيئة الله .

(٣) في «فتح الباري» (١٣/ ٥٤١) .

الْمُشْرِكِينَ ، وَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ بِالطَّاعَةِ كَانَ ذَلِكَ عَلامَةَ عَلَى أَنَّهُ قَدَّرَ عَلَيْهِ بِالثَّوَابِ، وَحَرْف الْمَسْأَلَة أَنَّ الْمُعْتَزِلَة قَاسُوا الْخَالِق عَلَى الْمَخْلُوق وَهُوَ بَاطِل؛ لأَنَّ الْمَخْلُوق لَوْ عَاقَبَ مَنْ يُطِيعهُ مِنْ أَتْبَاعه عُدَّ ظَالِمًا لِكَوْنِهِ لَيْسَ مَالِكًا لَهُ بِالْحَقِيقَةِ ، وَالْخَالِق لَوْ عَذَّبَ مَنْ يُطِيعهُ لَمْ يُعَدّ ظَالِمًا ؛ لأَنَّ الْجَمِيع مِلْكه فَلَهُ الأَمْر كُلّه يَفْعَل مَا يَشَاء وَلا يُسْأَل عَمَّا يَفْعَل .

وهل يزاد في العمر والرزق بعد كتابته في رحم أمه وفي أثر ابن مسعود ما يدل على أن الكتابة للعمر والحنين في بطن أمه؟

وفي حديث أَنَس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ**[١] **أَوْ يُنْسَأَ**[٢] **لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»**[٣] .

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا : **«إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الأَعْمَارِ»**[٤] .

فإما أن تحمل الزيادة على البركة في الرزق والعمر فكأنهما زادا بالتوسعة فيهما .

وإما أن تكون الزيادة والنقصان - المحو - لما في صحائف الملائكة ،

(١) بسط الرزق توسيعه وكثرته ، وقيل: البركة فيه .

(٢) ينسأ : أي يؤخّر .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري .

(٤) أخرجه أحمد بإسناد صحيح ، وانظر كتابي «تذكير الأنام بصلة الأرحام» ص (٥٠) .

وهذا هو المقصود بقوله سبحانه وتعالى : ﴿**يَمْحُو اللَّهُ**[١] **مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد : ٣٩][٢].

فالمحو والإثبات إنما هو لما في علم الملك ، وأما الذي في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى ، فلا يمحو فيه البتة .

---

(١) أي: في صحائف الملائكة .

(٢) وهكذا تم الجمع بين الحديثين وبين قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤] ويكون المعنى ... لما في علم الله .

وقوله ﷺ عن إتيان الملك للنطف في الأرحام : «... يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ». كما في صحيح مسلم .



العقيدة في الصحابة

العقيدة في الصحابة رضي الله عنهم

اعلم أن خير أمة محمد ﷺ ما كان في القرون الأولى الثلاثة : قرن الصحابة وفيهم رسول الله ﷺ ، ثم قرن التابعين ، ثم قرن تابعيهم

لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»**[1].

وأفضلهم السابقون من المهاجرين والأنصار

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [التوبة : ١١٧] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ . فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ** ﴾ [الواقعة : ١٠ - ١٤] .

وانظر إلى مثلهم الذي ضربه الله سبحانه وتعالى في «سورة الفتح» ، وأوصافهم الي ذكرها

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٦٥٢) ، ومسلم (٢٥٣٣) .

الله في «سورة الحشر» .

قال الله ﷻ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩]

وسيأتي ما في سورة الحشر قريبًا .

والصحابة كانوا أمنة للأمة يصدون البدع والمحدثات والفتن عن الأمة بتعليماتهم الرشيدة ورعايتهم الحميدة وعلمهم الصافي ، كما كان النبي ﷺ أمانًا لأصحابه رضي الله عنهم

قال ﷺ : «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»(١) .

قد كان يفتح الله سبحانه وتعالى على الناس بوجودهم

قال ﷺ : «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ لَهُمْ : فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ لَهُمْ : فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ.**

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٣١) من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

فَيُفْتَحُ لَهُمْ ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ»(١).

فهؤلاء الصحابة قد وصفهم الله وصفًا مدحهم فيه ، ثم ذكر صفة الممدوحين من بعدهم . وهذا سياق الوصف فتأمله

قال الله ﷻ : ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر : ٨ ، ٩] .

ثم قال ﷻ عمن أتوا بعدهم : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحشر : ١٠] .

وهل كانت خيرية القرون الفاضلة إلا لكونهم مع نبيهم ﷺ ؟

فإن أهل السنة مجمعون على فضل هؤلاء بل يُفضِّلون من أنفق بعد الفتح في صلح الحديبية وقاتل على الذين من بعدهم ، وإن كان لجميعهم الحسنى.

قال الله ﷻ : ﴿ **لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى** ﴾ [الحديد

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٣٢) .

: ١٠].

وأهل السنة يُقدِّمون المهاجرين على الأنصار

لأن المهاجرين جمعوا بين الهجرة والنصرة، فتركوا أهلهم وأموالهم وأوطانهم إلى أرض هم فيها غرباء إلى الله ورسوله .

والأنصار نصروا الرسول ﷺ وأهله والمهاجرين ، ومنعوهم مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم .

ودليل تقديم المهاجرين على الأنصار قوله سبحانه وتعالى :

﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وقُدِّموا أيضًا في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ **لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ** ﴾ [التوبة : ١١٧] .

وأهل بدر يُقدَّموا كما أن الملائكة الذين شهدوا بدرًا هم أفضل الملائكة

قال ﷺ : «**لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[1] .

ويا لها من منقبة عظيمة وقد جاء جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ فقال له : «**مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ قَالَ مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - قَالَ**

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٠٠٧) ، ومسلم (٢٤٩٤) .

وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ»[١].

ولا يدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان كما قال ﷺ[٢]

قال الله ﷻ : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا . وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح : ١٨ ، ١٩] .

وكان من هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم

فوُصِفوا بالإيمان وأنهم مرضيٌّ عنهم ألف وأربعمائة أو أكثر رضي الله عنهم وحشرنا معهم بحبنا إياهم وإن لم نعمل بعملهم .

كما يشهد أهل السنة بالجنة لمن شهد له الرسول ﷺ كالعشرة المبشرين ، وثابت بن قيس بن شماس[٣].

وأهل السنة يُحبُّون آل بيت رسول الله ﷺ

لقوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٩٢) .

(٢) انظر صحيح مسلم (٢٤٩٦) .

(٣) حديث العشرة : أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام

وحديث ثابت بن قيس بن شماس ، صحيح في نزول قوله ﷻ : ﴿ لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [الحجرات : ٢].

تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

ويحفظون وصية رسول اللهﷺ في أهل بيته

حينما قال : «**أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»[١] .

والمعنى :اذكروا حقوقهم عليكم من تكريمهم، وتوقيرهم، وإجلالهم، والدفاع عنهم، وموالاتهم، ونصرتهم في الجملة .

فيا لها من خيبة وندامة وخسارة لمن قتل أحدًا من آل بيت رسول الله ﷺ كالحسين رضي الله عنه .

وتفضيل أمهات المؤمنين دين، خديجة وعائشة رضي الله عنهما – على وجه الخصوص – ثم الباقيات[٢] .

والصحابة تجوز عليهم الذنوب في الجملة ، فليسوا بمعصومين لكن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر كما قال شيخ الإسلام[٣]

ومن نظر في قصة حاطب بن أبي بلتعة حين أرسل إلى قريش الكفار يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم لفتح مكة .

وكذلك قصة تخلُّف الثلاثة عن غزوة تبوك ، وقد نزل القرآن بتوبة الله

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٤٠٨) .

(٢) راجع المجلد السادس من «تبصير النساء» في ذكر فضائلهن رضي الله عنهن .

(٣) «الواسطية» ص (٦١٠) بشرح الشيخ العثيمين – رحمه الله وطيب ثراه – .

عليهم وعفوه عنهم .

لكن لهم سوابق وفضائل يُغمر فيها ما يحصل منهم .

وقد قال الله ﷻ : ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [هود : ١١٤] .

ولا شك أن الصحابة أسعد الناس بشفاعة نبيهم ﷺ ، ثم إن أكثر أخطاء هؤلاء كانوا فيها مجتهدون أصحاب أجر على أي حال فهم ما بين أجر أو أجرين .

فقد قال رسول الله ﷺ : «**إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ، وَإِنْ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ**».

ورواية البخاري : «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[1] .

ويا شيعة اليهود والمنافقين والضُلاَّل، ورافضي الحق وموالاة صحابة سيد العالمينﷺ أبيتم إلا معاداتهم ، لا تسبوا من لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبًا – وهذا لا يكون– ما بلغ يسير عمل أحدهم مع رسول اللهﷺ

ففي حديث أبي هريرة ﷛ قال : قال رسول الله ﷺ : «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ**

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص ﷠ ، والرواية الأولى عند أبي يعلى ، والحديث على أي حال ثابت صحيح

ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ»[١].

وفي رواية للبرقاني في صحيحه زيادة حسنة : «...**فإن أحدكم لو أنفق كل يوم مثل أحد ذهبا...**» الحديث .

وفي رواية[٢]:

كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ فَسَبَّهُ خَالِدٌ[٣]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لاَ تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**».

فيا شيعة الضلال والفهم العقيم – ردكم الله إلى الهدى أو قضى عليكم بالردى –

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٠)، والمحفوظ رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كما أشار الدارقطني رحمه الله في «العلل» (١٠/ ١٠٧) .

(٢) في صحيح البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) ، والسياق لمسلم دون البخاري .

(٣) وقد رواه جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد بذكر السبّ .

وخالفه وكيع عند مسلم ، وشعبة عند البخاري ومسلم ؛ فروياه عن الأعمش به بدون ذكر قصة عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد ، فمن ناحية الأسانيد يبدو لي أن رواية من رواه بدون السب أصح ، ولو صحَّ فلا إشكال!!

لكن أخرج الحافظ في «الأمالي المطلقة» ص (٥٣) بإسناد حسَّنه من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال شكى عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ فقال : «**يا خالد لم تؤذي رجلا من أهل بدر لو أنفقت مثل أحد ذهبا لم تدرك عمله**» فقال : يا رسول الله إنهم يقعون في فقال رسول الله ﷺ : «**لا تؤذ خالدًا فإنه سيف من سيوف الله سلطه الله على الكفار**» ، وليس فيه السب .

إذا كان النبي ﷺ نهى بعض من أدرك النبي ﷺ وخاطبه بذلك عن سب من سبقه فهذا يقتضي زجر من لم يدرك النبي ﷺ ولم يخاطبه عن سب من سبقه من باب أولى .

ونظير هذا أيضًا قوله ﷻ : ﴿ **لا يَسْتَوِي مِنكُم مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [الحديد : ١٠] .

ولئن كان هذا حال الذين أسلموا من بعد الفتح وقاتلوا وهو مِن أصحابه السابقين ، فكيف يكون حال من ليس من أصحابه بحال مع أصحابه؟![١]

يكفي هذا لمن كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد .

ودُور الأنصار كلها خيار وإن كان بعضها أخير من بعض

قال ﷺ : «**خَيْرُ دُورِ الأَنْصَارِ بَنُو النَّجَّارِ ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ**»[٢] .

وهذا عبد الله بن مسعود المعلَّم الذي دعا له رسول الله ﷺ بالرحمة[٣]

---

(١)انظر «منهاج السنة النبوية» (٨/ ٤٣٣) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٧٩٠) ، ومسلم (٢٥١١) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) ففي مسند الإمام أحمد (١/ ٣٧٩) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : «**يَا غُلامُ هَلْ مِنْ لَبَنٍ ؟**» قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ قَالَ : «**فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ ؟**» فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ فَمَسَحَ ضَرْعَهَا فَنَزَلَ لَبَنٌ فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ فَشَرِبَ وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ : «**اقْلِصْ فَقَلَصَ**» قَالَ : ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا فَقُلْتُ: =

يقول : «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّءٌ»[(١)] .

وقد أجمع الصحابة على إمامة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان يا شيعة الضلال رافضي الحق ، وهؤلاء خيار المؤمنين عند كل دين عاقل .

ويا شيعة الضلال من الرافضة وغيرهم .

فمن أضل ممن يكون في قلبه غلٌّ على خيار المؤمنين ، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين ؛ بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة .

قيل لليهود : من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب موسى .

وقيل للنصارى : من خير أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب عيسى .

وقيل للرافضة : من شر أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب محمد، ولم يستثنوا منهم إلاّ القليل ، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف

=

يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَالَ : فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ : **«يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ»** .

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩) بإسناد حسن، وفي إسناده خلاف لا يضرّ راجعه في «معجم الطبراني الكبير» (٨٥٨٢) ، والبزار .

مضاعفة[١].

قَالَ ابْنُ عُمَرَ : «لا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ»[٢].

وكأن هذه الوقاحة ظهرت من أقوام كانوا يسبّون أصحاب رسول الله ﷺ في أيام ابن عمر.

ويبدو أن أعمال هؤلاء لما توقَّفت بسبب موتهم فأراد الله ﷻ أن يأخذ من حسنات هؤلاء – إن كانت لهم حسنات أصلاً – أو يحملوا من سيئاتهم إن كان عليهم سيئات .

أجارنا الله من العمى وتفاهة العقول بمنه وكرمه .

وأنبه إلى أن كفار قريش كانوا يعلمون قدر أبي بكر وعمر في الإسلام أحسن مما عرفه عنهما الرافضة

كما قال أبو سفيان بن حرب عقب غزوة أحد : أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ ﷺ : **«لاَ تُجِيبُوهُ»** فَقَالَ : أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِى قُحَافَةَ ؟ قَالَ : **«لاَ تُجِيبُوهُ»** فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ فَقَالَ إِنَّ هَؤُلاَءِ قُتِلُوا... الحديث[٣].

---

(١) ذكره ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» ص (٤٦٥ – ٤٦٦) .

(٢) أخرجه ابن ماجة (١٦٢) بإسناد حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤٠٤٣) .

ودليله واضح من ذلك أثر ابن عمر السالف : «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ» .

قال أبو سفيان ذلك لعلمه بمكانة هؤلاء في الإسلام .

أرأيتم يا رافضة زماننا أن كفار قريش كانوا يعرفون قدر هؤلاء ، ولم تعرفوه؟!.

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ **في** «**أصول السنة**» **عن الصحابة** :

فأدناهم صحبةً هو أفضلُ من القرن الذين لَم يروه ، ولو لقوا الله عَزَّ وَجَلَّ بجميع الأعمال .

وقال : ومن رآه بعينيه وآمن به ولو ساعة أفضلَ – لصُحبته – من التابعين كلِّهم ، ولو عملوا كلَّ أعمال الخير[1].

ويستدل لذلك بقوله ﷺ : «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**» وقد تقدم .

وكأن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشار لهذا ، فقد أخرج البخاري[2] عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : أَوْتَرَ مُعَاوِيَةُ بَعْدَ الْعِشَاءِ بِرَكْعَةٍ وَعِنْدَهُ مَوْلًى لاِبْنِ عَبَّاسٍ فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ : دَعْهُ فَإِنَّهُ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ :

ومن انتقص أحداً من أصحابِ رسولِ الله ﷺ أو أبغضهُ بحدثٍ كان منه أو

(١) «أصول السنة» للإمام أحمد ص (١١) مجموع متون العقيدة والتوحيد .

(٢) برقم (٣٧٦٤) .

ذكر مسَاوِئَهُ كان مُبتدِعاً حتى يترحَّمَ عليهم جميعاً، ويكون قلبُهُ لهم سليماً[(١)].

وقال البخاري رَحِمَهُ اللهُ :

لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم من أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر... ثم عد منهم كثيراً ثم قال : ما رأيت فيهم أحدًا يتناول أصحاب محمد ﷺ .

وقد قال ﷺ : «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي**» .

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن أهل الإيمان: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحشر : ١٠] .

وأهل السنة يحثُّون على ما كان عليه النبي ﷺ وأتباعه لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام : ١٥٣][(٢)].

وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُم

قاله الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ **وزاد** [(٣)]:

(١) «أصول السنة» للإمام أحمد ص (١٤) مجموع متون العقيدة والتوحيد .

(٢) أخرجه عن البخاري اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣٢٠)، وصححه الحافظ في «الفتح» (١/ ٦٠).

(٣) «أصول السنة» للإمام أحمد ص (٣٦) .

نُقدِّم هؤلاء الثَّلاثة كما قَدَّمهم أصحابُ رسول الله ﷺ لم يختلفوا في ذلك.

ثم بعد هؤلاء الثَّلاثة أصحاب الشُّورى الخمسة: علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وكلُّهم يصلُحُ للخلافة. وكلُّهم إمام .

ونذهب في ذلك إلى حديث ابن عمر "كنا نعُدُّ ورسول الله ﷺ حيٌّ وأصحابه متوافرون: أبو بكر ثم عُمَرُ ثم عثمان، ثم نسْكُت"[1] وهو أثر صحيح[2].

---

(١) وفي صحيح البخاري (٣٦٩٧) عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ وهذا نص في تقديم عثمانَ علَى عليٍّ بن أبي طالب في الفضل .

(٢) والأثر الذي أخرجه الإمام أحمد أخرجه ابنه عبدالله بن أحمد في «السنة»(١٣٥٠) بإسناد صحيح أيضًا عن ابن عمر وأورد له عقبه أسانيد صحيحة أيضًا به .

وقد صح عن عليّ بن أبي طالب أنه قال : خير هذا الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر...الأثر .

وعند أحمد بلفظ : أبو بكر ثم عمر ثم قال: لو شئت أن أسمي الثالث لسميته .

وقد خرجته في تحقيقي لكتاب المصاحف لابن أبي داود برقم (١١٨) بتحقيقي .

وهذا من أقوى الحجج على الشيعة ؛ لأنه وارد عن إمامهم – زعموا – عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

وما كان عليّ يعرف التقية ولا يعمل بها ، وكان رضي الله عنه بعيدًا عن هذا اللوث (الذي هو التقية) ، وخيَّره رافضة الحق وشيعة الهوى والضلال فقول عليّ رضي الله عنه يُتَّبع أم قولكم ؟!!

وفي مسند أحمد (١/ ١٠٦) بإسناد صحيح أَبِي جُحَيْفَةَ الَّذِي كَانَ عَلِيٌّ يُسَمِّيهِ وَهْبَ الْخَيْرِ قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : يَا أَبَا جُحَيْفَةَ أَلا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى قَالَ : وَلَمْ =

ثم بعد أصحاب الشُّورى أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ على قدر الهجرة والسابقة أولاً فأولاً .

دليل تفضيلهم أن عمر ؓ فضَّلهم على مرأى ومسمع من الصحابة ولم يُنكر عليه أحد فكان إجماعًا ، وما لم يكن لهم يومها دين فليس لنا اليوم دينًا .

=

أَكُنْ أَرَى أَنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْهُ قَالَ : أَفْضَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ عُمَرُ ؓ وَبَعْدَهُمَا آخَرُ ثَالِثٌ وَلَمْ يُسَمِّهِ .

ولقائل أن يقول : إنما لم يسمه تواضعًا كما امتنع سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن ذكر عاشر العشرة المبشرين بالجنة لئلا يكون زكَّى نفسه .

فمن أجل ذلك عذر بعض أهل السنة من قدَّم عليًّا على عثمان ، وإن كان خالف الراجح ؛ لأن إجماع الصحابة بما فيهم عليّ بن أبي طالب انعقد على إمامة عثمان رضي الله عن الجميع .

أبو بكر رضي الله عنه هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن الأدلة على أن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الصديق رضي الله عنه

ما أخرجه البخاري ومسلم عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ قَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ : كَأَنَّهَا تَعْنِى الْمَوْتَ قَالَ : «**فَإِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِى أَبَا بَكْرٍ**»[1].

ومن الأدلة على ذلك الإجماع ببيعة جميع المسلمين لأبي بكر رضي الله عنه

إنما حقيقة الأمر أن الصحابة بايعوا وتأخر علي بن أبي طالب لمرض زوجته فاطمة وشيء كان عليٌّ يراه أن أبا بكر استبدّ بالأمر ولم يشاوره .

وعذر علي رضي الله عنه أنه كان يرى أنه يكفي في بيعة الإمام أن يقع من أهل الحل والعقد ، ولا يلزم استيعاب الجميع فتأخر عن البيعة .

فلما توفيت فاطمة رضي الله عنها استنكر عليّ وجوه الناس لعدم مبايعته لأبي بكر فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ... ثم بايعه وذكر للناس فضله.

قالت عائشة رضي الله عنها : فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ وَقَالُوا: أَصَبْتَ. فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قَرِيبًا حِينَ رَاجَعَ الأَمْرَ الْمَعْرُوفَ[2].أي من الدخول فيما دخل فيه الناس.

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٦٥٩) ، ومسلم (٢٣٨٦) .

(٢) والحديث بذلك في صحيح البخاري (٤٢٤٠ ، ٤٢٤١) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وسيأتي سياقه مطولاً قريبًا إن شاء الله .

فهذا إجماع الصحابة بما فيهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وما أدري هل هذا الإجماع ينعقد على مذهب الشيعة الروافض أم ماذا ؟! .

وإذا كان عليّ رضي الله عنه أخطأ في مبايعته، ومع ذلك بايعه فإن ذلك قدح فيه وخداع للناس لا يليق بما هو دون عليّ رضي الله عنه، وهم يرفعونه إلى منزلة الألوهية أو النبوة ، وإن كان مصيبًا فقد أخطأ الروافض ؛ وبالله التوفيق.

وفي صحيح البخاري ومسلم واللفظ له من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي مَرَضِهِ : **«ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولَ قَائِلٌ أَنَا أَوْلَى وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ»**(١).

وفي الصحيحين (٢)من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : **«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفٌ ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ».**(٣)

وفي الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال على منبره :

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٦٦٦) بنحوه ، ومسلم (٢٣٨٧) .

(٢) البخاري (٣٥٥٤) ، ومسلم (٢٣٩٢) .

(٣) حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ: أي رويت إبلهم حتى بركت، وأقامت مكانها كما قال الزبيدي في«تاج العروس» (٣/ ٢٣٩).

«لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً ، وَلَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ ، سُدُّوا عَنِّى كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِى بَكْرٍ»(١) .

وثمَّ أحاديث أخرى تفضل أبا بكر على الأمة بكاملها ، ولا شك أن خير الأمة إن اتُّخِذ خليفة فهو الرشد بعينه .

فما للروافض لا يكادون يفقهون حديثًا؟!.

وأما الجواب عن قول عمر رضي الله عنه : «إِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّى - يَعْنِى أَبَا بَكْرٍ - وَإِنْ أَتْرُكْكُمْ فَقَدْ تَرَكَكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ ابن عمر : فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حِينَ ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ»(٢) .

وعند النسائي في «الكبرى»بإسناد صحيح : عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : سَمِعْتُ عَائِشَةَ وَسُئِلَتْ مَنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْلِفًا لَو اسْتَخْلَفَهُ ؟ قَالَتْ : أَبُو بَكْرٍ . فَقِيلَ لَهَا : ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ ؟ قَالَتْ : عُمَرُ . ثُمَّ قِيلَ لَهَا : مَنْ بَعْدَ عُمَرُ.قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا(٣).وهذا يعني أنه ﷺ ما استخلف .

فالجواب: أَنَّهُ لَمْ يَسْتَخْلِفْ بِعَهْدٍ مَكْتُوبٍ ، وَلَوْ كَتَبَ عَهْدًا لَكَتَبَهُ لأَبِي بَكْرٍ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٦٧) .

(٢) وهذا القول عنه في صحيح البخاري (٧٢١٨) ، ومسلم (١٨٢٣) .

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٢٠٢) ، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٢٠٤) ، وابن سعد في «طبقاته» (٣/ ١٨١) من طريق ابن أبي مليكة سمعت عائشة رضي الله عنها .

الذي هُوَ خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا بِاتِّفَاقِ الصَّحَابة رضي الله عنهم – وهذا معنى قول عائشة رضي الله عنها – بَلْ يَبْدُو أَنَّهُ أَرَادَ كِتَابَتَهُ ثُمَّ تَرَكَهُ، وَقَالَ: «**يَأْبَى اللَّهُ وَالْمُسْلِمُونَ إلا أَبَا بَكْرٍ**» وتقدم الحديث.

وَهَذَا مِن النَبِيِّ ﷺ أَبْلَغَ مِنْ مُجَرَّدِ الْعَهْدِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَلَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى اسْتِخْلافِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَيْهِ بِأُمُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَأَخْبَرَ بِخِلافَتِهِ إِخْبَارَ رَاضٍ بِذَلِكَ، حَامِدٍ لَهُ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَكْتُبَ بِذَلِكَ عَهْدًا، ثُمَّ عَلِمَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَتَرَكَ الْكِتَابَ اكْتِفَاءً بِذَلِكَ، ثُمَّ عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ فِي مَرَضِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ[(١)]، ثُمَّ لَمَّا حَصَلَ لِبَعْضِهِمْ شَكٌّ: هَلْ ذَلِكَ الْقَوْلُ مِنْ جِهَةِ الْمَرَضِ؟ أَوْ هُوَ قَوْلٌ يَجِبُ اتِّبَاعُهُ؟ تَرَكَ الْكِتَابَةَ، اكْتِفَاءً بِمَا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَخْتَارُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ خِلافَةِ أَبِي بَكْرٍ.

فَلَوْ كَانَ التَّعْيِينُ مِمَّا يَشْتَبِهُ عَلَى الأُمَّةِ لَبَيَّنَهُ بَيَانًا قَاطِعًا لِلْعُذْرِ.

وَلَمْ يَقُلْ صَحَابِيٌّ وَاحِدٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَصَّ عَلَى غَيْرِ أَبِي بَكْرٍ، وليأتوا بنص عن أحد منهم إن كانوا صادقين[(٢)].

وأجمع الصحابة رضي الله عنهم على أن الخلفاء بعد رسول الله ﷺ

أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم، ثم حصل النزاع على عليّ رضي الله عنه – والراجح أنه الرابع – وكان على الحق في قتاله لطائفة معاوية رضي الله عنه لقول

---

(١) قال لهم: «ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ» كما في صحيح البخاري (١١٤).

(٢) وقد أشار إلى بعض ذلك ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» ص (٤٧١).

النبيﷺ لعمار: « **تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**» وقد قتلته طائفة معاوية ، والحديث بذلك صحيح متفق عليه، وطائفة معاوية طائفة معذورة متأولة .

وقاتلهم منهم وقتيلهم لهم.

ولكل منهما فضائل تأتي، وإن كانت فضائل عليّ أعظم وأكثر وأشهر .

وحسبك بمعاوية كاتب الوحي لرسول الله ﷺ .

وقد دعا عليه رسول الله دعوة هي في حقيقتها كفارة له .

وقد ورد حديث – في تصحيحه نزاع – أن النبي ﷺ قال : «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**» خرَّجته في تحقيقي «البداية والنهاية» لابن كثير .

قال القرطبي رحمه الله في تفسير سورة الحجرات :

لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به ، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل ، وهم كلهم لنا أئمة ، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم ، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر ، لحرمة الصحبة ولنهي النبي ﷺ عن سبّهم ، وأن الله غفر لهم ، وأخبر بالرضا عنهم .

وقد أخرج الإمام أحمد بإسنادٍ حسن عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ

سَيِّءٌ»[(١)].

ومن قدم عليًا على أبي بكر أو عمر في الفضل ، فهو مبتدع مخالف لعليٍّ رضي الله عنه فيما سأله ولده محمد بن الحنفية

ففي صحيح البخاري عَنْ مُحَمَّدِ بنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ : قُلْتُ لأَبِي : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ قُلْتُ ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ عُمَرُ وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ قُلْتُ : ثُمَّ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَا أَنَا إِلاَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ[(٢)].

ومما يتعلق به الروافض من تلكؤ عليّ رضي الله عنه عن مبايعة أبي بكر رضي الله عنه للطعن في إمارة أبي بكر ونحو ذلك

ما أخرجه البخاري[(٣)] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ فَاطِمَةَ - عَلَيْهَا السَّلاَمُ - بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ وَفَدَكَ ، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : **«لاَ نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذَا الْمَالِ»** وَإِنِّي وَاللَّهِ لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ حَالِهَا الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَبَى

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩) من طريق عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه به ، وهذا إسناد حسن ، وهذا الذي قاله ابن مسعود مؤيد بالنظر في الأدلة المجتمعة في فضلهم رضي الله عنهم بأدنى نظرة إذا لم يكن ثمَّ غشاوة أو غيامة .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٦٧١) .

(٣) برقم (٤٢٤١) .

أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ مِنْهَا شَيْئًا فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ فَهَجَرَتْهُ ، فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ ، وَعَاشَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ ، دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلِيٌّ لَيْلاً ، وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ(١) وَصَلَّى عَلَيْهَا ، وَكَانَ لِعَلِيٍّ مِنَ النَّاسِ وَجْهٌ حَيَاةَ فَاطِمَةَ(٢)، فَلَمَّا تُوُفِّيَتِ اسْتَنْكَرَ عَلِيٌّ وُجُوهَ

---

(١) قولها : «وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ» ، قد حكى الحافظ في الفتح (٧/ ٦١٢) : أن ذَلِكَ كَانَ بِوَصِيَّةٍ مِنْهَا لإِرَادَةِ الزِّيَادَةِ فِي التَّسَتُّرِ ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يُعْلِمْ أَبَا بَكْرٍ بِمَوْتِهَا لأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ لا يَخْفَى عَنْهُ ، وَلَيْسَ فِي الْخَبَرِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَعْلَم بِمَوْتِهَا وَلا صَلَّى عَلَيْهَا .

(٢) قولها : «وَكَانَ لِعَلِيٍّ مِنْ النَّاسِ وَجْه حَيَاة فَاطِمَة» : أَيْ كَانَ النَّاس يَحْتَرِمُونَهُ إِكْرَامًا لِفَاطِمَة ، فَلَمَّا مَاتَتْ وَاسْتَمَرَّ عَلَى عَدَمِ الْحُضُور عِنْدَ أَبِي بَكْر قَصَرَ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ الاحْتِرَام لإِرَادَةِ دُخُولِهِ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ، وَلِذَلِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ : «لَمَّا جَاءَ وَبَايَعَ كَانَ النَّاس قَرِيبًا إِلَيْهِ حِين رَاجَعَ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ» وَكَأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْذِرُونَهُ فِي التَّخَلُّفِ عَنْ أَبِي بَكْر فِي مُدَّةِ حَيَاةِ فَاطِمَةَ لِشغْلِهِ بِهَا وَتَمْرِيضِهَا وَتَسْلِيَتِهَا عَمَّا هِيَ فِيهِ مِنْ الْحُزْنِ عَلَى أَبِيهَا ﷺ لأَنَّهَا لَمَّا غَضِبَتْ مِنْ رَدِّ أَبِي بَكْرٍ عَلَيْهَا فِيمَا سَأَلَتْهُ مِنْ الْمِيرَاثِ رَأَى عَلِيٌّ أَنْ يُوَافِقَهَا فِي الانْقِطَاعِ عَنْهُ.

قلت : «محمد» : وقد سمح النبي ﷺ لعثمان بن عفان رضي الله عنه في التخلف عن الجهاد يوم بدر؛ ليمرِّض أختها زينب ، وتخلف علي رضي الله عنه عن البيعة لأبي بكر رضي الله عنه دون تخلُّف عثمان عن الجهاد فتنبَّه .

وقد دافع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن هذه الفرية التي ألصقت بعثمان، فقال فيما أخرجه البخاري (٣٦٩٨) : «أَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ...**» وسيأتي سياق دفاع ابن عمر عنه فيما أخذ عليه بتمامة إن شاء الله .

النَّاسِ ، فَالْتَمَسَ مُصَالَحَةَ أَبِي بَكْرٍ وَمُبَايَعَتَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ يُبَايِعُ تِلْكَ الأَشْهُرَ[(١)] ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنِ ائْتِنَا ، وَلاَ يَأْتِنَا أَحَدٌ مَعَكَ ، كَرَاهِيَةً لِمَحْضَرِ عُمَرَ[(٢)] فَقَالَ عُمَرُ : لاَ وَاللَّهِ لاَ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَحْدَكَ[(٣)]، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَمَا عَسَيْتَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِي ، وَاللَّهِ لآتِيَنَّهُمْ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ ، فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ فَقَالَ : إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا فَضْلَكَ وَمَا أَعْطَاكَ اللَّهُ وَلَمْ نَنْفَسْ عَلَيْكَ خَيْرًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ[(٤)] ، وَلَكِنَّكَ اسْتَبْدَدْتَ عَلَيْنَا بِالأَمْرِ[(٥)] ، وَكُنَّا نَرَى لِقَرَابَتِنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَصِيبًا[(٦)] حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَا أَبِي بَكْرٍ[(٧)] ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي

---

(١) قَالَ الْمَازرِيّ : الْعُذْرُ لِعَلِيٍّ ﵁ فِي تَخَلُّفِهِ مَعَ مَا اِعْتَذَرَ هُوَ بِهِ أَنَّهُ يَكْفِي فِي بَيْعَةِ الإِمَامِ أَنْ يَقَع مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَلا يَجِب الاسْتِيعَاب ، وَلا يَلْزَم كُلّ أَحَدٍ أَنْ يَحْضُرَ عِنْدَهُ وَيَضَع يَدَهُ فِي يَدِهِ ، بَلْ يَكْفِي اِلْتِزَامُ طَاعَتِهِ وَالانْقِيَادُ لَهُ بِأَنْ لا يُخَالِفَهُ وَلا يَشُقَّ الْعَصَا عَلَيْهِ ، وَهَذَا كَانَ حَالُ عَلِيٍّ لَمْ يَقَع مِنْهُ إِلا التَّأَخُّرُ عَنْ الْحُضُور عِنْد أَبِي بَكْر ، وَقَدْ ذَكَرْت سَبَبَ ذَلِكَ .

(٢) وَالسَّبَب فِي ذَلِكَ مَا أَلِفُوهُ مِنْ قُوَّةِ عُمَرَ وَصَلَابَتِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، ، وَكَانَ أَبُو بَكْر رَقِيقًا لَيِّنًا ، فَكَأَنَّهُمْ خَشَوا مِنْ حُضُورِ عُمَرَ كَثْرَةَ الْمُعَاتَبَةِ الَّتِي قَدْ تُفْضِي إِلَى خِلافِ مَا قَصَدُوهُ مِنْ الْمُصَافَاةِ.

وقد ورد هذا القيد في رواية ابن حبان (٤٨٢٣) بإسناد صحيح ففيها : «ولا يأتنا معك أحد كره علي أن يشهدهم عمر لما يعلم من شدة عمر عليهم» .

(٣) أَيْ لِئَلا يَتْرُكُوا مِنْ تَعْظِيمك مَا يَجِب لَك .

(٤) أَيْ لَمْ نَحْسُدك عَلَى الْخِلافَة .

(٥) أَيْ لَمْ تُشَاوِرنَا فِي أَمْرِ الْخِلافَةُ .

(٦) أَيْ وَكُنَّا لأَجْلِ قَرَابَتنَا مِنْ رَسُول اللَّهِ ﷺ لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ .

(٧) أَيْ لَمْ يَزَلْ عَلِيّ يَذْكُر رَسُولَ اللَّه ﷺ حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَا أَبِي بَكْر مِنْ الرِّقَّةِ .

=

بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُول اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي ، وَأَمَّا الَّذِي شَجَرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ[١] مِنْ هَذِهِ الأَمْوَالِ[٢] ، فَلَمْ آلُ[٣] فِيهَا عَنِ الْخَيْرِ ، وَلَمْ أَتْرُكْ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُهُ فِيهَا إِلاَّ صَنَعْتُهُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ لأَبِي بَكْرٍ : مَوْعِدُكَ الْعَشِيَّةُ لِلْبَيْعَةِ[٤] ، فَلَمَّا صَلَّى أَبُو بَكْرٍ الظُّهْرَ رَقِيَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَتَشَهَّدَ وَذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ ، وَتَخَلُّفَهُ عَنِ الْبَيْعَةِ ، وَعُذْرَهُ بِالَّذِي اعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ ، وَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ[٥] ، وَحَدَّثَ أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ نَفَاسَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَلاَ إِنْكَارًا لِلَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ ، وَلَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيبًا ، فَاسْتَبَدَّ عَلَيْنَا ، فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا[٦] ، فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ وَقَالُوا : أَصَبْتَ . وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قَرِيبًا[٧] ، حِينَ رَاجَعَ الأَمْرَ

=

قَالَ الْمَازِرِيّ : وَلَعَلَّ عَلِيًّا أَشَارَ إِلَى أَنَّ أَبَا بَكْر اِسْتَبَدَّ عَلَيْهِ بِأُمُور عِظَام كَانَ مِثْله عَلَيْهِ أَنْ يَحْضُرهُ فِيهَا وَيُشَاوِرهُ ، أَوْ أَنَّهُ أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَشِرْهُ فِي عَقْد الْخِلافَة لَهُ أَوَّلا ، وَالْعُذْر لأَبِي بَكْر أَنَّهُ خَشِيَ مِنْ التَّأَخُّرِ عَنْ الْبَيْعَةِ الاخْتِلافُ لِمَا كَانَ وَقَعَ مِنْ الأَنْصَار كَمَا فِي حَدِيثِ «السَّقِيفَةِ» سقيفة بني ساعة فَلَمْ يَنْتَظِرُوهُ .

(١) أَيْ وَقَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكم مِنْ الاخْتِلافِ وَالتَّنَازُعِ .

(٢) أَيْ الأَمْوَال الَّتِي تَرَكَهَا النَّبِيّ ﷺ مِنْ أَرْضِ خَيْبَرَ وَغَيْرِهَا .

(٣) أَيْ لَمْ أُقَصِّرْ .

(٤) أَيْ بَعْدَ الزَّوَالِ ، ويؤيده السياق .

(٥) ذَكَرَ فَضِيلَةَ أبي بكر وَسَابِقِيَّتَهُ ، وفي رواية لمسلم : «ثُمَّ مَضَى إِلَى أَبِي بَكْر فَبَايَعَهُ» .

(٦) ويؤيده أن عليًّا لم يعارض عثمان في إمارته ولم يمتنع من مبايعته بل رضي بالبيعة لعثمان ، ولو كان عليًّا يرى أنه أولى بذلك لتكلَّم

(٧) أَيْ كَانَ وُدُّهُمْ لَهُ قَرِيبًا .

الْمَعْرُوفَ[١].

فطعن الروافض في خلافة أبي بكر رضي الله عنه - أخزاهم الله - وقالوا :

إن عليًّا كان أولى بالخلافةِ مِن أبي بكرٍ بهذا الحديثِ مَعَ أحاديث وكلام آخر هو أشبه بالهذيان يبثُّونه بثّ من لا يدري – إن أحسنَّا الظن بهم – لمن لا يفهم، فيتكلمون به كأنه حجة حقيقية .

وقد ردّ عليهم القرطبي رحمه الله فقال :

مَنْ تَأَمَّلَ مَا دَار بَيْنَ أَبِي بَكْر وَعَلِيٍّ مِنْ الْمُعَاتَبَةِ وَمِنْ الاعْتِذَار وَمَا تَضَمَّنَ ذَلِكَ مِنْ الإِنْصَافِ عَرَفَ أَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَعْتَرِفُ بِفَضْلِ الآخَر ، وَأَنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ مُتَّفِقَة عَلَى الاحْتِرَام وَالْمَحَبَّة ، وَإِنْ كَانَ الطَّبْع الْبَشَرِيّ قَدْ يَغْلِب أَحْيَانًا لَكِنَّ الدِّيَانَة تَرُدُّ ذَلِكَ وَاَللَّهُ الْمُوَفِّقُ .

وَقَدْ تَمَسَّك الرَّافِضَةُ بِتَأَخُّرِ عَلِيٍّ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْر إِلَى أَنْ مَاتَتْ فَاطِمَة ، وَهَذَيَانُهُمْ فِي ذَلِكَ مَشْهُور . وَفِي هَذَا الْحَدِيث مَا يَدْفَع فِي حُجَّتِهِمْ[٢].

وقد أخرج ابن حبان بإسناد صحيح على شرط الشيخين، وهو فيهما قول عمر رضي الله عنه على المنبر :

ألا وإنه بلغني أن فلانًا قال : لو قد مات عمر بايعتُ فلانًا ، فمن بايع امرءًا

(١) «حِين رَاجَعَ الأَمْرَ الْمَعْرُوف» أَيْ مِنْ الدُّخُول فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاس .

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٦١٣) .

من غير مشورة من المسلمين[١]، فإنه لا بيعة لـه ولا للـذي بايعـه ، فـلا يغـترنَّ أحد فيقول : إن بيعة أبي بكر كانـت فلتَّـة ألا وإنهـا كانـت فلتـة[٢] إلا أن الله وقى شرها[٣] وليس منكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر ، ألا وإنـه كان من خيرنا يوم توفى الله رسوله ﷺ ... .

إلى أن قال: والله لأن أقدم فتضرب عنقـي في أمـر لا يقـرِّبني ذلـك إلى إثـم أحب إلى من أن أؤمَّر على قوم فيهم أبو بكر...الحديث[٤].

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ **في** «**الفتح**» (٦١٣/٧) :

وَقَدْ صَحَّحَ اِبْن حِبَّانَ وَغَيْره مِنْ حَدِيث أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ وَغَيْره أَنَّ عَلِيًّـا بَايَعَ أَبَا بَكْر فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ . أ.هـ

قلت «**محمد**» : ويعني هذا أن عليًّا بايع مرتين مرة أول الأمـر ومـرة أخـرى

---

(١) وهذا محمول على مثل الحال الذي كان الأمر عليه زمن عمر رضي الله عنه ، وإلا فالإجماع منعقد على صحة إمارة المتغَلِّب، والسلطة التغلبية ليس فيها مشاورة، وقد بايع ابن عمر عبد الملك ابن مروان وقد تأمَّر من غير مشورة، بل كان أبوه مروان، ثم هو كانا خارجَين على عبد الله بن الزبير رضي الله عنه .

(٢) يعني بسرعة وذلك كما ذُكر أنها كانت خشية أن يفترق المسلمين وجسد رسول الله ﷺ بين أظهرهم لم يدفن بعد ، وحصل بوادر شقاق في سقيفة بني ساعدة ، وقد شرحها ابن حبان في «صحيحه» (٢/ ١٥٢) فقال : يريد أن بيعة أبي بكر كان ابتداؤها من غير ملأ، والشيء الذي يكون من غير ملأ يقال له (الفلتة) ، وقد يتوقع فيما لم يجتمع عليه الملأ الشر .

(٣) قوله : (وقى الله شرها) : يريد الشر المتوقع في الفلتات لا أن بيعة أبي بكر كان فيها شرّ .

(٤) صحيح : أخرجه ابن حبان (٤١٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وهو سياق طويل فيه قصة السقيفة ، وانظر: صحيح البخاري (٦٨٣٠) ، ومسلم (١٦٩١) .

بعد وفاة فاطمة .

ولم أقف عليه عند ابن حبان الآن لكن ينقضه لفظ الصحيح «وَلَمْ يَكُنْ يُبَايِع تِلْكَ الأَشْهُر»[(١)] .

وَجَمَعَ البَعْض بِأَنَّهُ بَايَعَهُ بَيْعَة ثَانِيَة مُؤَكِّدَة لِلأُولَى لإِزَالَةِ مَا كَانَ وَقَعَ بِسَبَبِ الْمِيرَاثِ وحُمِل قَوْل لَمْ يُبَايِع عَلِيٌّ فِي تِلْكَ الأَشْهُر عَلَى إِرَادَة الْمُلازَمَةِ لَهُ وَالْحُضُور عِنْدَهُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ فِي اِنْقِطَاع مِثْلِهِ عَنْ مِثْلِهِ مَا يُوهِمُ مَنْ لا يَعْرِف بَاطِن الأَمْر أَنَّهُ بِسَبَبِ عَدَمِ الرِّضَا بِخِلافَتِهِ فَأَطْلَقَ مَنْ أَطْلَقَ ذَلِكَ ، وَبِسَبَبِ ذَلِكَ أَظْهَر عَلِيٌّ الْمُبَايَعَةَ الَّتِي بَعْدَ مَوْتِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلامُ لإِزَالَةِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ .

والحاصل من الكلام

أن عليًّا بايع أبا بكر وهو راضٍ ، واستقرَّ أمر المسلمين قاطبة على أبي بكر ومنهم عليّ رضي الله عنهما .

ومن قال غير ذلك في شأن عليّ رضي الله عنه فقد جفا عليًّا وخالفه وخالف أمره وأساء إليه إساءة في ذكر أمور تلزم عليّ يعلمها المنتبه[(٢)] .

---

(١) وهي في صحيح البخاري (٤٢٤٠) .

(٢) **قال الحافظ** رحمه الله : وأما ما وقع في مسند أبي بكر للمروزي (٣٨)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٩٧٧٤) ، والبيهقي (٦/ ٣٠٠) عن معمر قال : قال رجل للزهري رحمه الله: فلم يبايعه عليّ بن أبي طالب ستة أشهر ، قال ولا أحد من بني هاشم حتى بايع عليّ ، وفي الفتح (٧/ ٦١٣) حتى ماتت فاطمة ، وعزاه لمسلم ، ولم أجدها فيه إنما فيه أصله دون قول الزهري أي دون الزيادة .
=

وهذا سؤال :

ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال له عن عمر: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ» ، وقال له عن عثمان : «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ»[(١)] مع أن كلاً منهما قد ابتلي ببلوى قتله ، فلماذا خص عثمان بهذا مع أن ختامهما رضي الله عنهما واحد ؟

الجواب :

لأن عثمان في قتله ابتلي بما لم يبتلى به عمر رضي الله عنهما ؛ لأن الذي قتل عمر هو أبو لؤلؤة المجوسي كما في الصحيحين، ولم يركع لله عز وجل ركعة ولذلك حمد عمر ربه.

أما الذين قتلوا عثمان كانوا ممن يدعي الإسلام في ظاهرهم ، وقد جاء صريحًا في حديث زيد بن أسلم عند البيهقي في «الدلائل» من حديث زيد بن أرقم به، وزاد : «بعد بلاء شديد»، لكن الحافظ نقل في «الفتح» عنه أنه قال «إسناده ضعيف» .

وعلى أي حال فإن جُرح ذوي القربى أشد مرارة على النفس من غيرهم .

=

وهذا لا يثبت له سند أصلاً – مع تعلق الروافض الكذّابين بمثله كعادتهم –

وقد قال البيهقي ، وعنه الحافظ في «الفتح» (٦١٣/٧) :

«وَقَوْلُ الزُّهْرِيِّ فِي قُعُودِ عَلِيٍّ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه حَتَّى تُوُفِّيَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها مُنْقَطِعٌ وَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه فِي مُبَايَعَتِهِ إِيَّاهُ حِينَ بُويِعَ بَيْعَةَ الْعَامَّةِ بَعْدَ السَّقِيفَةِ أَصَحُّ وَلَعَلَّ الزُّهْرِيَّ أَرَادَ قُعُودَهُ عَنْهَا بَعْدَ الْبَيْعَةِ ثُمَّ نُهُوضَهُ إِلَيْهَا ثَانِيًا وَقِيَامَهُ بِوَاجِبَاتِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ» اهـ.

(١) البخاري (٣٦٧٤) ، ومسلم (٢٤٠٣) .

ومن الزيادة في بلوى عثمان أنه كان يشعر بعظم الفتنة التي تصيب الناس إذا قتلوا خليفة مثل عثمان مع أنه مبشر بالجنة، وصاحب فضائل لم ينكرها من شم رائحة التوفيق للفهم، ولم يستطع أن يتمكن من الاستخلاف كما فعل عمر، وبالفعل انسل من يومها سيف الفتنة في الأمة وكان من آثارها المقاتلة العظيمة التي كانت بين طائفتين مسلمتين طائفة عليّ وطائفة معاوية ومن معهما.

ومن الزيادة في بلوى عثمان رضي الله عنه أن عمر قتله فرد أما عثمان فقد تألب عليه حثالة تافهون وأرادوا عروضًا دنيوية[1].

وغفلوا، بل وتناسوا قوله ﷺ لعثمان لما جهز جيش العسرة بنفقة لم ينفق مثلها أحد من الصحابة ، فأخذ النبي ﷺ يقلبها وهو يقول: **«ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم»**[2]. أي: بعد نفقته تلك ولا شك أن هذه تزكية لعثمان إلى أن يموت لا يضره خطأ فَعَلَه .

فقد أنكر البغاة أشياء هي مما قمشت وهمشت حبل الحاطب فيما حكاه عنهم أصحاب السير[3]، ولكن ابتداءًا عثمان كما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما في

(١) وسيأتي قصة مقتله قريبًا .

(٢) وهذا أخرجه الخلال في «السنة» (٤٠٢) بإسناد حسن .

(٣) وقد ذكروا في كتب «التاريخ» أن جماعة من رعاع الناس وغوغائهم وجهالهم أخذوا على عثمان مسائل ، وأنه قام ورد عليهم بما لم يبقِ بعده حجة لكن عين الهوى عمياء ، وسيأتي ذكره مسندًا قريبًا إن شاء الله .

جواب على مثلهم قال :

«جاءني رجل من الأنصار في خلافة عثمان فكلَّمني فإذا هو يأمرني في كلامه بأن أعيب على عثمان فتكلَّم كلامًا طويلاً وهو امرؤ في لسانه ثقل ولم يكن يقضي كلامه في سَريح فلما قضى كلامه قلت : إنا كنا نقول ورسول الله ﷺ حي أفضل أمة رسول الله ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وإنا والله ما نعلم عثمان قتل نفسًا بغير حق ولا جاء من الكبائر شيئًا ولكن هو هذا المال فإن أعطاكموه رضيتم وإن أعطاه أولى قرابته سخطتم إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم لا يتركون لهم أميرًا إلا قتلوه قال ففاضت عيناه بأربع من الدمع ثم قال : اللهم لا نريد ذلك[1].

وفي رواية للطبراني (١٢/ ٨٥) رقم (١٣١٣٢) وفي «مسند الشاميين» (١٧٦٤): إن أعطاكموه رضيتم وإن أعطي أولي قرابته سخطتم... الأثر .

فهذه شهادة الصحابي الجليل ابن عمر لعثمان رضي الله عنه .

لكن اقتضت حكمة الله أن لا يخلو زمان من مثل هؤلاء الرعاع الحثالة أهل الفساد .

قليل فهم عقولهم وإن سمنت أبدانهم .

---

(١) أخرجه الخلال في «السنة» (٥٤٦ وما بعدها) ، وأحمد في «الفضائل» (٦٤) ، والطبراني في «مسند الشاميين» (٣١٥٥) ، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ١٥٩ - ١٦٠) وله طرق عنه أسانيدها صحيحة كالشمس .

يبصر أحدهم القذاة – وقد لا تكون قذاة – في عين غيره وينسى الجزع في عينه هو .

قد أخذوا مآخذ على أمير المؤمنين الصحابي الجليل عثمان ﷺ الذي أمرنا النبي ﷺ باقتفاء سننه[١] ؛ وشهد له بالرشد والصواب.

وقد أورد أصحاب السير[٢] قول عثمان: ماذا تنقمون علينا؟

قالوا: أتممت الصلاة في السفر وكانت لا تُتَم .

قال: ألا وإني قدمت بلدًا فيه أهلي فأتممت.

وذكر وجهًا آخر أخرجه البيهقي[٣]أنه قال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ السُّنَّةَ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُنَّةُ صَاحِبَيْهِ وَلَكِنَّهُ حَدَثَ الْعَامَ مِنَ النَّاسِ فَخِفْتُ أَنْ

(١) فقال ﷺ :«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ »وهو حديث حسن. وعثمان ﷺ منهم.

(٢) وإن كان لنا تحفُّظ على هذه الأخبار، فكثير منها لا يصح سندها، بل لا يكاد يفرح بأسانيد فيها أصلاً، لكن يتوالى كُتَّاب السير في تدوينها ، ويبدو أن لها أصل كما يدل عليه الصحيح منها، لكن لا يصح بهذه السياقات إلا ما سأورده قريبًا .

إنما نقلها الطبري في «تاريخه» (٦٥١) ، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ٣١٣) .

وأنا لست براضٍ عن تدوينها، لكن دونها العلماء ، فأردت أن أثبت أنها إن صحت أسانيدها فليس فيها مآخذ على عثمان ﷺ حكيتها بتصرف في بعض الألفاظ غير مخالف المعنى .

(٣) في «الكبرى» (٣/ ١٤٤) بإسناد فيه يعقوب بن حميد بن كاسب وهو ضعيف – على الراجح – لكن عند الطحاوي في «شرح العاني» (١/ ٤٢٥) ، وعبد الرزاق (٤٢٧٧) ما يقوي الأثر كما قال الحافظ في «الفتح» (٥/ ٥٧١) ط المعرفة قال : «هذه طرق يقوي بعضها بعضًا» .

يَسْتَنُّوا[(١)].

قلت «محمد» :

وهذا اجتهاد من عثمان رضي الله عنه وهو مأجور عليه بأجر أو أجرين .

وقد أخرج الطحاوي في «شرح المعاني» (١/ ٤٢٧) بإسناد صحيح عن ابن شهاب قال : قلت لعروة ما كان يحمل عائشة رضي الله عنها على أن تصلى في السفر أربعا فقال : تأولت ما تأول عثمان في إتمام الصلاة بمنى [(٢)].

---

(١) قال البيهقي : وَالأَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ رَآهُ رُخْصَةً فَرَأَى الإِتْمَامَ جَائِزًا كَمَا رَأَتْهُ عَائِشَةُ وَقَدْ رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعَ اخْتِيَارِهِمُ الْقَصْرَ.

قلت «محمد» : وهو رأي ابن مسعود كما سيأتي .

(٢) ومعنى يستنوا : أي يظنوا أن فرض الصلاة اثنين اثنين وليس أربع ، والصحابة كانوا يرون أن الخلاف شر ولذلك تابعه أمير المؤمنين لفقههم بالشرع والواقع ، فقد أخرج البيهقي (٣/ ١٤٤) بإسناد رجاله ثقات ، وهو صحيح لولا عنعنة أبي إسحاق السبيعي عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : كُنَّا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ بِجَمْعٍ فَلَمَّا دَخَلَ مَسْجِدَ مِنًى سَأَلَ : كَمْ صَلَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالُوا: أَرْبَعًا فَصَلَّى أَرْبَعًا قَالَ فَقُلْنَا لَهُ : أَلَمْ تُحَدِّثْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، وَأَبَا بَكْرٍ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ : بَلَى وَأَنَا أُحَدِّثُكُمُوهُ الآنَ ، وَلَكِنْ عُثْمَانُ كَانَ إِمَامًا فَأُخَالِفُهُ وَالْخِلاَفُ شَرٌّ.

فرضي الله عنك إمام بالمصالح والمفاسد وسد الذرائع .

وله طريق آخر أخرجه أبو داود (١٩٦٠) وفي إسناده إبهام لمشايخ له ...

وقد أخرج ابن أبي شيبة (٣/ ٦٧٨) بإسنادٍ صحيح عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ ، قَالَ : «صَلَّى عُثْمَانَ بِمِنًى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ رَكْعَتَيْنِ ، وَمَعَ عُمَرَ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ تَفَرَّقَتْ بِكُمَ الطُّرُقُ ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ لِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَيْنِ

=

ولا يخفى على عثمان مثل هذه السنة التي ينبهه هؤلاء الرعاع عليها ؟! وقد كان هو يصليها مع من قال : خذوا عني مناسككم ﷺ .

وإذا كان عثمان رضي الله عنه يريد ما ذكره وهو تعليم الجهال وإيصال العلم إليهم بالعمل ؛ لأنه أبلغ حتى يسألوا ويتعلموا وسدًّا لذريعة اعتقاد الخطأ ، كان ما أخذوه عليه حجة له لا عليه .. فتنبه .

ولا يعلم أحدًا من الصحابة امتنع من الصلاة خلفه، أفكان هؤلاء مبتدعون مخالفون للهدي حتى يُبينها لهم مثل هؤلاء الخالفين ؟!

وقد وافقه الصحابة في دفاعه فقالوا إقرارًا له لما قال لهم أو كذلك ؟ فقالوا: «اللهم نعم»[(١)].

حجتهم الثانية

قالوا : أكثرت الحمى لنفسك أي المرعى .

فقال : والله ما حميت إلا ما حُمىِ قبلي

والله ما حموا شيئًا لأحد ، ما حموا إلا ما غلب عليه أهل المدينة ، ثم لم يمنعوا من رعيه أحدًا ، واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين

=

مُتَقَبَّلَتَيْنِ . قَالَ الأَعْمَش : فَحَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ صَلَّى بَعْدُ أَرْبَعًا ، فَقِيلَ لَهُ : عِبْتَ عَلَى عُثْمَانَ ، ثُمَّ تُصَلِي أَرْبَعًا ، قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : الْخِلاَفُ شَر» .

(١) والخبر بذلك في «تارخ دمشق» (٢٩/ ٣١٣) .

من يليها وبين أحد تنازع ثم ما منعوا ولا نحن منها أحدًا إلا من شاق درهمًا .

وما لي من بعير غير راحلتين ، وما لي من شاة .

وإني قد وليتُ وإني لأكثر العرب بعيرًا وشاة .

فما لي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجتي أكذلك ؟ قالوا : اللهم نعم.

حجتهم الثالثة : قالوا : كان القرآن كتبًا فتركتها إلا واحدًا(١)

وهؤلاء لجهلهم يكيلون بمكيالين

فمرة ينكرون عليه مدعين أنه خالف أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وهنا هم الذين أنكروا عليه صنيعه الذي وافق فيه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما .

فالذي جمع القرآن أولاً وألَّفه إلى بعضه بعد أن كان مفرقًا هو أبو بكر رضي الله عنه بإشارة عمر رضي الله عنه

ففي صحيح البخاري (٤٦٧٩) عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ : أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ ، فَقَالَ أَبو بَكْرٍ : إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي ، فَقَالَ : إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ ، إِلاَّ أَنْ تَجْمَعُوهُ ،

---

(١) أي كان القرآن في صحف منتشرة في اللخاف– واللخاف هي حجارة بيض رقاق – والخشب والحجارة فأمرت أن يكون مصحف واحدٍ ويحرق الباقي .

وهذا لمن تأمل حجة لعثمان رضي الله عنه ، ورفعة لشأنه ليست عليه لأنه عمل مصلحة له إن شاء الله أجرها إلى يوم القيامة .

وَإِنِّي لأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : قُلْتُ لِعُمَرَ : كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللهُ لِذَلِكَ صَدْرِي ، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ ... الحديث وفيه أن زيد جمعه .

فالذي جمعه الجمعة الأولى من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما خليفتا رسول الله ﷺ[1].

والذي جمعه الجمعة الثانية هو عثمان، وأسوته في ذلك الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما، وإجماع الصحابة على صحة الفعل وزيد ابن ثابت أيضًا كان مترددًا .

وقال : كَيْفَ تَفْعَلاَنِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَاجِعُنِي فِي ذَلِكَ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأْيَا .

كما في رواية الصحيح [2] واتفق الناس جميعًا قبل هؤلاء الروافض مع

---

(١) وقد أخرج ابن أبي شيبة ، وأبو عبيد في «الفضائل» ص(١٥٥) ، وابن سعد في «طبقاته» (٣/ ١٤٤) وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (٥١٣) ، وابن أبي داود في «المصاحف» (١٤ بتحقيقي) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٦٧) وفي المعرفة (١/ ٣٢) والذهبي في «السير» (١٤/ ٢٢) وغيرهم بإسنادٍ حسن عن عبد خير عن علي رضي الله عنه قال : «يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ» وفي رواية :
«أعظم الناس في المصاحف أجرًا أبو بكر فإنه أول من جمع بين اللوحين» .

(٢) وراجع رواية البخاري (٤٦٧٩) وتحقيقي «للمصاحف» لابن أبي داود ص(٥٢) فما بعدها .

عثمان رضي الله عنه على جمع المصاحف(١).

وأما قصة الجَمعة الثانية للقرآن فهي في صحيح البخاري(٢) أيضًا وهي من مناقب عثمان رضي الله عنه :

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرِبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلاَفَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فَأَرْسَلَ

---

(١) فراجع تبويب ابن أبي داود في «المصاحف» فما بعدها وذكره أدلة ذلك مسنده وقد قال علي رضي الله عنه في تعليقه على فعل عثمان هذا : «لو لم يصنعه هو لصنعته» أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (٤٠) بإسنادٍ صححه الألوسي في «مقدمة تفسيره» (١/ ٢٤) والحافظ في «الفتح» (٩/ ١٨) والسيوطي في «الإتقان» (١/ ١٧٠) وفي إسناده شيء .

وأخرجه ابن شبَّة في «تاريخ المدينة» (١/ ١٠٠٤) من طريق مصعب بن سعد قال : سمعت رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون «لقد أحسن» .

وقد قال علي رضي الله عنه : «يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرًا [أو قولوا له خيرًا] أي في جمع المصاحف وإحراق بعضها فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعًا.

أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (٧٦) بإسنادٍ فيه انقطاع، ولكن معناه صحيح

فما ورد بإسنادٍ صحيح أن صحابيًا واحدًا اعترض ولم يرض بما صنعه عثمان رضي الله عنه، وقد فعله رضي الله عنه على ملأ منهم جميعًا .

ولا يسع الجميع السكوت على باطل أو بدعة تتعلق بكتاب الله سبحانه وتعالى، والله أعلم .

(٢) برقم (٤٩٨٧) .

عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاثَةِ : إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ .

وأورد أصحاب السير أنه قال رضي الله عنه **في ردِّه عليهم** : «ألا وأن القرآن واحد جاء من عند واحد وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء ، أفكذلك ؟ قالوا : نعم»[١].

حجتهم الرابعة :

قالوا في احتجاحهم على عثمان رضي الله عنه **وإنكارهم عليه: استعملت الأحداث**[٢]

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣١٣) .

(٢) أي: استعملت في الولاة صغار السن وجعلتهم قادة

وحجتهم هذه داحضة من وجوه : منها أن للإمام أن يفعل هذا وقد أمَّر النبي ﷺ أسامة بن زيد وكان صغيرًا، كما في صحيح البخاري، وسيأتي تخريجه، وسيشير إليه عثمان رضي الله عنه في جوابه عليهم ويأتي ذكر سياقه .

وجوَّز لعمر بن أبي سلمة أن يكون إمام قومه وكان حدثًا ابن ست أو سبع سنين وحديثه في صحيح البخاري (٤٣٠٢) .

=

فقال ردًا عليهم :

لم أستعمل إلا مجتمعًا محتملاً مرضيًا، وقد ولى من قبلي أحدث منه، وقيل في ذلك لرسول الله ﷺ أشد مما قيل لي في استعماله أسامة(١)

أكذاك ؟ قالوا : نعم.

حجتهم الخامسة : **قالوا** :

إنه أعطي ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه

قال : وإني إنما نفلته خُمس ما أفاء الله عليه من الخمس

وقد نقل مثل ذلك عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولما زعم الجند أنهم يكرهون

=

وكان عمر يدخل مثل ابن عباس على الأشياخ وكان صغيرًا وهذا في صحيح البخاري (٤٩٧٠) فما دام كفيء يُختار، وفي صحيح البخاري(٦١) ومسلم (٢٨١١) إدخال ابن عمر رضي الله عنه وهو صغير مع كبار الصحابة رضي الله عنهم يوم سألهم ﷺ عن الشجرة التي لا تسقط ورقها .

وفي صحيح مسلم (٨١٧) إقرار عمر تأمير ابن أبزي – وهو مولى من الموالي – أميرًا مستعملاً على أهل الوادي لكونه كان قارئًا للقرآن .

فمبدأ عدم تأمير الأحداث مطلقًا فيه نظر فقد يكون في تأمير الصغير حِكَم، إذا كان مؤهَّلاً.

(١) ففي صحيح البخاري (٣٧٣٠) ومسلم (٢٤٢٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **«أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ»** .

ذلك رَدَدته عليهم أكذاك ؟ فقالوا : نعم[١].

حجتهم السادسة :

قالوا : إنك تحب أهل بيتك وتعطيهم

فقال : فأما حُبي لأهل بيتي فإني لم أمِل معهم على جور بل أحمل الحقوق عليهم ، وأما إعطاؤهم فإني إنما أعطيهم من مالي ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ، ولا لأحدٍ من الناس ولقد كنت أعطي العطية والرغيبة من صلب مالي أزمان رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنا يومئذٍ شحيح حريص، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتي وفني عمري ووزعت الذي لي في أهلي قال

(١) وهذه مسألة جائزة للأمير أو للحاكم كما يجوز للحاكم أن يحمي حمى لمصلحة، وفي الصحيح أن النبي ﷺ أعطى رهطًا وسعد جالس فيهم فترك رسول الله ﷺ منهم من لم يعطه وهو أعجبهم إلى سعد رضي الله عنه ، قال: فقلت : يا رسول الله مالك عن فلان ... الحديث وفيه أن النبي ﷺ قال : «إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ» أخرجه البخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠) ، فهذا دليل على جواز عطية الأمير لبعض الرعية دون بعض ، فهذا يستدل به لعثمان رضي الله عنه وقد أعطى النبي ﷺ في فتح حنين المؤلفة قلوبهم وخطب الأنصار لما أحس أنهم يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس، والخطبة مشهورة وهي في صحيح البخاري (٤٣٣٠) ، ومسلم (١٠٦١)

وقد قسم النبي ﷺ بذُهَيبة في تربتها بين أربعة نفر الأقرع بن حابس الحنظلي وعيينة بن حصن الفزاري ، وعلقمة بن عُلاثة العامري ثم أحد بن كِلاب ، وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نهبان : وقام رجل – كهؤلاء الذي خرجوا على عثمان فَقَالَ : «اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ ! فَقَالَ : **«مَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ... الحديث»** أخرجه البخاري (٣٣٤٤) ، ومسلم (١٠٦٤) وهذا فيه دليل على جواز مثل ذلك من ولى أمر المسلمين، فتنبه !!

الملحدون ما قالوا ؟!

قلت «محمد»: ويبدو أن حالهم كما قال ابن عمر «والله ما نعلم عثمان فعل شيئًا بغير حق ولا جاء من الكبائر شيئًا ولكن هو هذا المال إن أعطاكموه رضيتم ، وإن أعطى أولي قرابته سخطتم[(١)].

وهل لما تعهد النبي ﷺ بالدفع عن عمه العباس الزكاة التي امتنع من أدائها وقال : **«وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَهِيَ عَلَيَّ وَمِثْلُهَا مَعَهَا»** ، ثُمَّ قَالَ : **«يَا عُمَرُ أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ؟»**[(٢)] كان قد أخطأ رسول الله ﷺ بالعطاء .

قال أبو نعيم الأصبهاني في «تثبيت الإمامة»[(٣)]:

عثمان أعلم ممن أنكر عليه ، وللأئمة إذا رأوا المصلحة للرعية في شيء أن يفعلوه ، ولا يجعل إنكار من جهل المصلحة حجة على من عرفها ، ولا يخلو زمان من قوم يجهلون وينكرون الحق من حيث لا يعرفون ، ولا يلزم عثمان رضي الله عنه فيما أمر به إنكار لما رأى من المصلحة ، فقد فرق رسول الله ﷺ غنائم حنين في المؤلفة قلوبهم يوم الجعرانة وترك الأنصار لما رأى من المصلحة حتى قال قائلهم : تُقسِّم غنائمنا في الناس وسيوفنا تقطر من دمائهم[(٤)]. فكان الذي

(١) صحيح أخرجه الخلال في «السنة» (٥٤٦ ، ٥٤٩) وغيره بإسنادٍ صحيح .

(٢) والذي أخرجه مسلم (٩٨٣) .

(٣) «تثبيت الإمامة» ص(١٤٨) فما بعدها ط دار الإمام مسلم .

(٤) وقد أعطى النبي ﷺ قريشًا وترك الأنصار وقال حدثاؤهم نفس المقالة، ورد عليهم ﷺ، والقصة بهذا في صحيح البخاري (٣١٤٧) ، ومسلم (١٠٥٩) .

دعاهم إلى الإنكار على ما فعل رسول الله ﷺ قلة معرفتهم بما رأى رسول الله ﷺ من المصلحة فيما قسم . وكان ذلك أعظم من إنكار من أنكر على عثمان رضي الله عنه ؛ لأن مال المؤلفة من الغنيمة فلا يلزم عثمان رضي الله عنه من إنكار من أنكر عليه شيئًا إلا ما لزم رسول الله ﷺ ، حين رأى المصلحة فيما فعل اقتداء بنبيه.أ.هـ

وقد كان عثمان رضي الله عنه يسلِّم تسليمًا كاملاً لما في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ

قد أخرج الإمام أحمد في مسنده (١/ ٧٢) بإسناد صحيح عن عثمان أنه قال: «إِنْ وَجَدْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَضَعُوا رِجْلِي فِي الْقَيْدِ فَضَعُوهَا»، فرضى الله تعالى عنه، ياله من إمام لله درّه[(١)] .

والذي يظهر أن الثوَّار قد زوروا كتبًا كذبًا وزورًا على أنها مرسلة من الصحابة يؤلبون الناس لقتال عثمان رضي الله عنه الخليفة الراشد

دليل هذا ما أخرجه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَ : قالَتْ حِينَ قُتِلَ عُثْمَان: تَرَكْتُمُوهُ كَالثَّوْبِ النَّقِيِّ مِنَ الدَّنَسِ ، ثُمَّ قَرَّبْتُمُوهُ فَذَبَحْتُمُوهُ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ ، هلا كَانَ هَذَا قَبْلَ هَذَا [(٢)]، قَالَ : فَقَالَ لَهَا

---

(١) قال ابن منظور في«اللسان»(٤/ ٢٧٩): « وَقَالَ أَهل اللُّغَةِ فِي قَوْلِهِمْ لله دَرُّه؛ الأَصل فِيهِ أَن الرَّجُلَ إِذا كَثُرَ خَيْرُهُ وَعَطَاؤُهُ وإِنالته النَّاسَ قِيلَ: لله درُّه أَي عَطَاؤُهُ وَمَا يُؤْخَذُ مِنْهُ، فَشَبَّهُوا عَطَاءَهُ بِدَرِّ النَّاقَةِ ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ حَتَّى صَارُوا يَقُولُونَهُ لِكُلِّ مُتَعَجِّبٍ مِنْهُ »

(٢) كأنها تقول لهم: هلا أوصلتموه لهذ الخير بقتلكم له قبل؟ وهي تقول هذا من باب التبكيت لهم.

مَسْرُوقٌ: هَذا عَمَلك أَنْتِ كَتَبْت إِلَى أُنَاس تَأْمُرِينَهُمْ بِالْخُرُوجِ ، قَالَ : فَقَالَتْ عَائِشَةُ : لاَ وَالَّذِي آمَنَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ وَكَفَرَ بِهِ الْكَافِرُونَ ، مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ حَتَّى جَلَسْتُ مَجْلِسِي هَذَا ، قَالَ الأَعْمَشُ : فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ كُتِبَ عَلَى لِسَانِهَا[١] .

وهذا هو الأليق بالعفيفة المبرّأة من السماء ، والتي كان ينزل الوحي على رسول الله ﷺ في لحافها[٢] تحلف بيمين لم يحلف به أحد قبلها ولا أحد بعدها ما كتب لهم شيئًا .

قال ابن كثير رحمه الله :

وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج - قبحهم الله - زوَّروا كتبًا على لسان الصحابة إلى الآفاق يُحرِّضونهم على قتال عثمان[٣] .

وهذا سياق لمناظرة عثمان رضي الله عنه للثوار البغاة بإسناد رجاله معدلون

أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الفضائل» (٧٦٥) عن عبيد الله بن معاذ أبي عمرو العنبري قال حدثنا المعتمر - وهو ابن سليمان التيمي - قال :

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٦٣) ، وابن سعد في «طبقاته» (٣/ ٨٢) ، وخليفة بن خياط في «تاريخه» ص (٣٩) عن أبي معاوية عن الأعمش عن خيثمة عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها به ، وأخرجه ابن سعد (٣/ ١٠١) مختصرًا بنفس الإسناد ، وصحح إسناده ابن كثير في «تاريخه» (٧/ ١٩٥) د مكتبة المعارف ، وأخرجه الخلال في «السنة» (٤٤٥) بإسناد آخر .

(٢) كما في صحيح البخاري (٣٧٧٥) .

(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٥) .

قال أبي نا أبو النضرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري قال : سَمِعَ عُثْمَان ، أَنَّ وَفْدَ أَهْلِ مِصْرَ قَدْ أَقْبَلُوا ، قَالَ : فَاسْتَقْبَلَهُمْ ، قَالَ : وَكَانَ فِي قَرْيَةٍ خَارِجًا له مِنَ الْمَدِينَةِ ، أَوْ كَمَا قَالَ قَالَ : فَلَمَّا سَمِعُوا بِهِ أَقْبَلُوا نَحْوَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، قَالَ : أُرَاهُ ، قَالَ : وَكَرِهَ أَنْ يَقْدُمُوا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ ، أَوْ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : فَأَتَوْهُ فَقَالُوا : ادْعُ لَنَا بِالْمُصْحَفِ ، فَدَعَا بِالْمُصْحَفِ فَقَالُوا : افْتَحِ السَّابِعَةَ ، قَالَ : وَكَانُوا يُسَمُّونَ سُورَةَ يُونُسَ السَّابِعَةَ ، قَالَ : فَقَرَأَهَا حَتَّى أَتَى عَلَى آخر هَذِهِ الآيَةِ : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ** ﴾ ، قَالَ : قَالُوا له : قف قَالُوا لَهُ : أَرَأَيْت مَا حَمَيْت مِنَ الْحِمَى آللَّهُ أَذِنَ لَكَ بِهِ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرِي ، قَالَ : فَقَالَ : أَمْضِهِ ، أُنْزِلَتْ فِي كَذَا وَكَذَا ، وَأَمَّا الْحِمَى فَإِنَّ عُمَرَ حَمَى الْحِمَى قَبْلِي لإِبِلِ الصَّدَقَةِ ، فَزِدْت فِي الْحِمَى لِمَا زَادَ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ ، قَالَ : فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَهُ بِالآيَةِ فَيَقُولُ : أَمْضِهِ ، نَزَلَتْ فِي كَذَا وَكَذَا .

قَالَ : وَالَّذِي يَلِي كَلاَمُ عُثْمَانَ يَوْمَئِذٍ فِي سِنِّكَ ، قَال : يَقُولُ أَبُو نَضْرَةَ : يَقُولُ لِي ذَلِكَ أَبُو سَعِيدٍ ، قَالَ أَبُو نَضْرَةَ : وَأَنَا فِي سِنِّكَ يَوْمَئِذٍ ، قَالَ : وَلَمْ يَخْرُجْ وَجْهِي يَوْمَئِذٍ ، لاَ أَدْرِي لَعَلَّهُ ، قَالَ قَدْ مَرَّةً أُخْرَى : وَأَنَا يَوْمَئِذٍ ابن ثَلاَثِينَ سَنَةً .

قَالَ : وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ ، أَنْ لاَ يَشُقُّوا عَصًا وَلاَ يُفَارِقُوا جَمَاعَةً مَا أَقَامَ لَهُمْ بِشَرْطِهِمْ ، أَوْ كَمَا أَخَذُوا عَلَيْهِ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُمْ : مَا تُرِيدُونَ فَقَالُوا : نُرِيدُ أَنْ لاَ يَأْخُذَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَطَاءً ، فَإِنَّمَا هَذَا الْمَالُ لِمَنْ قَاتَلَ عَلَيْهِ وَلِهَذِهِ الشُّيُوخِ

مِنْ أَصْحَابِ ﷺ ، قَالَ : فَرَضُوا ، وَأَقْبَلُوا مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ رَاضِينَ ، قَال : فَقَامَ فَخَطَبَ ، قَالَ : أَلاَ مَنْ كَانَ لَهُ زَرْعٌ فَلْيَلْحَقْ بِزَرْعِهِ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ ضَرْعٌ فَلْيَحْتَلِبْ ، أَلاَ إِنَّهُ لاَ مَالَ لَكُمْ عِنْدَنَا ، إِنَّمَا هَذَا الْمَالُ لِمَنْ قَاتَلَ عَلَيْهِ ، وَلِهَذِهِ الشُّيُوخِ مِنْ أَصْحَابِ ﷺ قَالَ : فَغَضِبَ النَّاسُ وَقَالُوا : مَكْرُ بَنِي أُمَيَّةَ .

قَالَ : ثُمَّ رَجَعَ الْوَفْدُ الْمِصْرِيُّونَ رَاضِينَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي الطَّرِيقِ إِذْ بِرَاكِبٍ يَتَعَرَّضُ لَهُمْ ، ثُمَّ يُفَارِقُهُمْ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ يُفَارِقُهُمْ وَيَسُبُّهُمْ ، قَالَ : فَقَالُوا لَهُ : ما لك ! إِنَّ لَكَ لأَمْرًا مَا شَأْنك ، قَالَ : أَنَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَامِلِهِ بِمِصْرَ ، قَال : فَفَتَّشُوهُ فَإِذَا هم بِالكِتَابِ عَلَى لِسَانِ عُثْمَانَ ، عَلَيْهِ خَاتَمُهُ إِلَى عَامِلِ مِصْرَ أَنْ يصلبهم أو يَقْتُلَهُمْ ، أَوْ يَقْطَعَ أَيْدِيهمْ وَأَرْجُلَهُمْ .

قَالَ : فَأَقْبَلُوا حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ، قَالَ : فَأَتَوْا عَلِيًّا فقَالُوا : أَلَمْ تَرَ أَنَّه كَتَبَ فِينَا بِكَذَا وَكَذَا ، فمرّ مَعَنا إِلَيْهِ ، قَالَ : لاَ وَاللهِ ، لاَ أَقُومُ مَعَكُمْ ، قَالُوا : فَلِمَ كَتَبْت إِلَيْنا ؟، قَالَ : وَاللهِ مَا كَتَبْت إِلَيْكُمْ كِتَابًا قطُّ ، قَالَ : فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَلِهَذَا تُقَاتِلُونَ ، أَوْ لِهَذَا تَغْضَبُونَ ، قَالَ : وَانْطَلَقَ عَلِيٌّ فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى قَرْيَةٍ ، وَانْطَلَقُوا حَتَّى دَخَلُوا عَلَى عُثْمَانَ فَقَالُوا : كَتَبْت فِينَا بِكَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ : إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَان ، أَنْ تُقِيمُوا عَلَيَّ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ يَمِينًا بِاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ مَا كَتَبْت وَلاَ أَمْلَيْت ولا علمْت ، قَالَ : وقَالَ : قَدْ تَعْلَمُونَ ، أَنَّ الْكِتَابَ يُكْتَبُ عَلَى لِسَانِ الرَّجُلِ وَيُنْقشُ الْخَاتَمَ عَلَى الْخَاتَمِ .

قَالَ : فَحَصَرُوهُ فِي الْقَصْرِ ، قَالَ : فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ذَات يوم ، فَقَالَ :

السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ ، قَالَ : فَمَا أُسْمِعَ أَحَدًا رَدَّ السَّلاَمَ إِلاَّ أَنْ يَرُدَّ رَجُلٌ فِي نَفْسِهِ ، قَالَ : فَقَالَ : أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ ، هَلْ عَلِمْتُمْ أَنِّي اشْتَرَيْت رُومَةً من مَالِي يستعذب بِهَا ، قَالَ : فَجَعَلْتُ رِشَاي فِيهَا كَرِشَاءِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقِيلَ : نَعَمْ ، قَالَ: فَعَلاَمَ تَمْنَعُونِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أُفْطِرَ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ .

قَالَ : أَنْشُدُكُمْ اللهِ هَلْ عَلِمْتُمْ أَنِّي اشْتَرَيْت كَذَا وَكَذَا مِنَ الأَرْضِ فَزِدْته فِي الْمَسْجِدِ ، قِيلَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ مُنِعَ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ قبلي ، قَالَ : وَأَنْشُدُكُمْ بِاللهِ هَلْ سَمِعْتُمْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَذْكَرَ شَيْئًا فِي شَأْنِهِ ، وَذَكَرَ أُرَى كِتَابَةَ الْمُفَصَّلِ .

قَالَ : فَفَشَا النَّهْي ، قَالَ : وَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ : مَهْلاً ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، قال : وَفَشَا النَّهْيُ ، قَالَ : وَقَامَ الأَشْتَرُ ، قَالَ : فَلاَ أَدْرِي أَيَوْمَئِذٍ أَمْ يَوْم آخرَ ، قَالَ : فَلَعَلَّهُ قَدْ مَكرَ بِهِ وَبِكُمْ ، قَالَ : فَوَطِيهُ النَّاسُ حَتَّى أُلْقِيَ كَذَا وَكَذَا .

قَالَ : ثُمَّ إِنَّهُ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مَرَّةً أُخْرَى فَوَعَظَهُمْ وَذَكَّرَهُمْ ، فَلَمْ تَأْخُذْ فِيهِم الْمَوْعِظَةُ ، قَالَ : وَكَانَ النَّاسُ تَأْخُذُ فِيهِمَ الْمَوْعِظَةُ أَوَّلَ مَا يَسْمَعُونَهَا ، فَإِذَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِمْ لَمْ تَأْخُذْ فِيهِم أو كَمَا قَالَ .

قَالَ : وَرَأَى فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ النَّبِيّ ﷺ يَقُولُ : أَفْطِرْ عِنْدَنَا الليلة ، قَالَ : ثُمَّ إِنَّه فَتَحَ الْبَابَ وَوَضَعَ الْمُصْحَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ : فَزَعمَ الْحَسَنُ ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ دَخلَ عَلَيْهِ فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ ، فَقَالَ عُثْمَان : لَقَدْ أَخَذْت مِنِّي مَأْخَذًا ، أَوْ

قَعَدْت مِنِّي مَقْعَدًا مَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ لِيَقْعُدَهُ ، أَوْ لِيَأْخُذَهُ ، قَالَ : فَخَرَجَ وَتَرَكَهُ .

قَالَ : وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ : فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ : بَيْنِي وَبَيْنَكَ كِتَابُ اللهِ ، قَالَ : فَخَرَجَ وَتَرَكَهُ ،

قَالَ : ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ آخَرُ ، فَقَالَ : بَيْنِي وَبَيْنَكَ كِتَابُ اللهِ وَالْمُصْحَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ : فيهوى إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ فَاتَّقَاهُ بِيَدِهِ فَقَطَعَهَا فَلاَ أَدْرِي أَبَانَهَا ، أَوْ قَطَعَهَا فَلَمْ يُبِنْهَا ، فقَالَ : أَمَا وَاللهِ ، إِنَّهَا لأَوَّلُ كَفٍّ قَطُّ خَطَّت الْمُفَصَّلَ .

قَالَ : وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْمَوْتُ الأَسْوَدُ قَالَ : فَخَنَقَهُ وَخَنَقَهُ ، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ قَبْلَ أَنْ يُضربَ بالسَّيفِ ، فَقَالَ : وَاللهِ مَا رَأَيْت شَيْئًا قَطُّ هُوَ أَلْيَنُ مِنْ حَلْقِهِ ، وَاللهِ لَقَدْ خَنَقْته حَتَّى رَأَيْت نَفَسَهُ مِثْلَ نَفَسِ الْجَانِّ يَتَرَدَّد فِي جَسَدِهِ .

قَالَ : وَفِي غَيْرِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ[١] : فَدَخَلَ عَلَيْهِ التّوجبيُّ فَأَشْعَرَهُ مِشْقَصًا[٢]، قَالَ : فَانْتَضَحَ الدَّمُ عَلَى هَذِهِ الآيَةِ : ﴿ **فَسَيَكْفِيكَهُمَ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ وَإِنَّهَا فِي الْمُصْحَفِ مَا حُكَّتْ .

قَالَ : وَأَخَذَتْ ابنة الْفُرَافِصَةِ[٣] فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ حُلِيَّهَا فَوَضَعَتْهُ فِي

---

(١) ولم أقف على إسناده .

(٢) المشقص: نصل السهمإذا كان طويلاً غير عريض.

(٣) هي نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان رضي الله عنهما .

حِجْرِهَا ، وَذَاكَ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ ، قَالَ : فَلَمَّا أَشْعَرَ ، وَقُتِلَ تَفَاجّتْ[(١)] عَلَيْهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : قَاتَلَهَا اللَّهُ ، مَا أَعْظَمَ عَجِيزَتَهَا ، قالت : فَعَرَفْت أَنَّ أَعْدَاءَ اللهِ لَمْ يُرِيدُوا إِلاَّ الدُّنْيَا[(٢)] .

تسليم عثمان رضي الله عنه بالقتل

ولأن عثمان بُشّر وأخبر بما قدره اللّه سبحانه وتعالى من قتله

وأنه لا يغني حذر من قدر

فأبى أن ينصره أحد أو يقاتل دونه ، أو يراق دم أحد من المسلمين بينه وبين هؤلاء ، وهو يعلم أن قدر اللّه سابق مهما حصل فسلّم له ورضي به

وقد ساره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وأمره أن لا يخلع نفسه على خلاف ما يأمره هؤلاء الخبثاء – قبّحهم اللّه –

أخرج الإمام أحمد بإسنادٍ ثابت من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : **«ادْعُوا لِي بَعْضَ أَصْحَابِي»** قُلْتُ : أَبُو بَكْرٍ ؟ قَالَ : **«لا»** ، قُلْتُ :

---

(١) وعند ابن جرير الطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٧١) بنفس السند والمتن «ناحت» والإسناد صحيح ، وأبو سعيد مولى أبي أسيد ترجمت له تحت حديث (١٢٧٠) في كتابي «الفوائد النيرة في تخريج التذكرة» وذكرت تعديله هناك .

(٢) وللخبر طرق بنحوه عند ابن سعد في «طبقاته» ترجمة عثمان (٣/ ٧٤) ، وغيره .
وتداول نحو هذا الخبر كتبة التاريخ والسير كابن جرير في «تاريخه» ، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ٣٨٤) .

عُمَرُ ؟ قَالَ : «لا» ، قُلْتُ : ابْنُ عَمِّكَ عَلِيٌّ ؟ قَالَ : «لا» ، قَالَتْ : قُلْتُ عُثْمَانُ ؟ قَالَ : «نَعَمْ» ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : «تَنَحَّيْ جَعَلَ يُسَارُّهُ وَلَوْنُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ وَحُصِرَ فِيهَا قُلْنَا :يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلا تُقَاتِلُ ؟ قَالَ : لا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ[1] .

وهذه شهادة من رسول الله ﷺ أن عثمان سيُقتل مظلومًا

أخرج الإمام أحمد بإسنادٍ رجاله ثقات عَنْ أَبِي قِلابَةَ عَنْ أَبِي الأَشْعَثِ قَالَ: قَامَتْ خُطَبَاءُ بِإِيلِيَاءَ فِي إِمَارَةِ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه فَتَكَلَّمُوا وَكَانَ آخِرَ مَنْ تَكَلَّمَ مُرَّةُ بْنُ كَعْبٍ ، فَقَالَ : لَوْلا حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُول اللَّهِ ﷺ مَا قُمْتُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ فِتْنَةً فَقَرَّبَهَا فَمَرَّ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ فَقَالَ : هَذَا يَوْمَئِذٍ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى ، فَقُلْتُ : هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَقْبَلْتُ بِوَجْهِهِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : «هَذَا فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ رضي الله عنه»[2].

وقد شهد لعثمان رضي الله عنه رسول الله ﷺ بأنه الأمين رضي الله عنه

أخرج الإمام أحمد بإسنادٍ حسن[3] من طريق أبي حبيبة أَنَّهُ دَخَلَ الدَّارَ وَعُثْمَانُ مَحْصُورٌ فِيهَا ، وَأَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَسْتَأْذِنُ عُثْمَانَ فِي الْكَلامِ

---

(١) وقد خرجته في «الفوائد النيرة» وقد أخرجه أحمد (٦/ ١٥) وغيره .

(٢) إسناده صحيح أخرجه أحمد (٤/ ٢٣٦) بإسنادٍ صوبه الدارقطني في «العلل» ٥ ح ورقه ٦ ب – والحديث صححه الشافعي فيما حكاه أبو نعيم في«الحلية» (٩/ ١١٤) وله طرق أخرى .

(٣) وقال ابن كثير في «تاريخه» (٧/ ٣٦٨) : «إسناده جيد حسن» ، وقد أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٤ – ٣٤٥) وراجع تحقيقي له في «البداية والنهاية» .

فَأَذِنَ لَهُ ، فَقَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّكُمْ تَلْقَوْنَ بَعْدِي فِتْنَةً وَاخْتِلافًا – أَوْ قَالَ اخْتِلافًا وَفِتْنَةً –**» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنْ النَّاسِ : فَمَنْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : «**عَلَيْكُمْ بِالأَمِينِ وَأَصْحَابِهِ**» – وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى عُثْمَانَ بِذَلِكَ.

وفي رواية:

قال ﷺ : «**اتَّبِعُوا هَذَا وَأَصْحَابَهُ**» قَالَ[1] : فَأَسْرَعْتُ حَتَّى عَيِيتُ فَلَحِقْتُ الرَّجُلَ ، فَقُلْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : «**هَذَا**» فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ[2] .

وعثمان لم يخلع نفسه لأمور :

الأمر الأول : أن النبي ﷺ نهاه عن خلعه ، ولئلا تكون سنة ، كلما أنكروا على أميرهم شيئًا خلعوه

ففي سنن الترمذي[3] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «**يَا عُثْمَانُ إِنَّهُ لَعَلَّ اللَّهَ يُقَمِّصُكَ قَمِيصًا فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلاَ تَخْلَعْهُ لَهُمْ**».

وفي رواية[4]: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ حَدَّثَهُ قَالَ : كَتَبَ مَعِي مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ قَالَ : فَقَدِمْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَدَفَعْتُ إِلَيْهَا كِتَابَ

---

(١) مرة البهزي راوى الحديث .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٣) بإسنادٍ لا بأس به إن شاء الله وله طريق آخر بنحوه أخرجه الترمذي (٤٧٠٤) وآخر فراجع تحقيقي للبداية والنهاية (٧/ ٣٦٩) .

(٣) برقم (٣٧٠٥) .

(٤) في مسند الإمام أحمد (٦/ ١٤٩) وإسنادها حسن .

مُعَاوِيَةَ فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ أَلا أُحَدِّثُكَ بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ : بَلَى قَالَتْ : فَإِنِّي كُنْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ يَوْمًا مِنْ ذَاكَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : **«لَوْ كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ يُحَدِّثُنَا»** ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا أَبْعَثُ لَكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَسَكَتَ ثُمَّ قَالَ : **«لَوْ كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ يُحَدِّثُنَا»** ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ : أَلا أُرْسِلُ لَكَ إِلَى عُمَرَ فَسَكَتَ ثُمَّ قَالَ : **«لا»** ثُمَّ دَعَا رَجُلا فَسَارَّهُ بِشَيْءٍ فَمَا كَانَ إِلا أَنْ أَقْبَلَ عُثْمَانُ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَحَدِيثِهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُ : **«يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَعَلَّهُ أَنْ يُقَمِّصَكَ قَمِيصًا فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلا تَخْلَعْهُ ثَلاثَ مِرَارٍ»** قَالَ : فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَأَيْنَ كُنْتِ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ ، فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ وَاللَّهِ لَقَدْ أُنْسِيتُهُ حَتَّى مَا ظَنَنْتُ أَنِّي سَمِعْتُهُ .

وفي رواية[1] : «أُنْسِيتُهُ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ قَطُّ».

الأمر الثاني الذي لأجله لم يخلع نفسه رؤيا رآها

أنه رضي الله عنه رأى رؤيا فيها أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما قالوا له : «تُفْطِرُ عندنا اللَّيلَةَ» فدعا بِمُصْحَفٍ فَنَشَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقُتِلَ وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ[2] .

---

(١) عند ابن حبان (٦٩١٥) ، وللحديث مصادر أخرى فانظر «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٦٢) (٧/ ٥١٤) ، و«مسند الشاميين» للطبراني (٣/ ١٢٩) ، وراجع كتابي «الفوائد النيرة» ، وتحقيقي للبداية والنهاية ط دار ابن رجب .

(٢) وهذا الخبر ثابت بشواهد له كثيرة وتقدم ذكره في سياق مناظرة عثمان للثوار البغاة ، وانظر شواهد له عند أحمد في «المسند» (١/ ٧٣) ، وفي «فضائل الصحابة» (٨٠٩ ، ٨١١) ، و«زوائد الزهد» (١٢٨) ، وابن سعد في «طبقاته» (٣/ ٧٤) .

=

حَيْثُ هَذَا قدر الله .

الأمر الثالث :

إنكار الأفاضل من الصحابة عليه كابن عمر لئلا تكون الخلافة لعباً بعد ذلك كلما كره قوم خليفتهم خلعوه، وهذه وجهة نظر قوية فيها حكمة من عبد الله بن عمر ذاك العالم الرباني، فإنه قال له: أمخلد أنت في الدنيا ؟ ، قال: لا، قال: هل يزيدون على أن يقتلوك؟، قال:لا ، قال : هل يملكون لك جنة أو نار؟ ، قال :لا ، قال: فلا تخلع قميص الله عليك فتكون سنة كلما كره قوم خليفتَهم خلعوه أو قتلوه(١).

وقد اتفق المسلمون على إمامة عثمان رضي الله عنه ومبايعته

فحين طعن عمر أوصى إلى أصحاب الشورى عَلِيّ بن أَبِي طَالِب وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْر وَطَلْحَة وَسَعْد وَعَبْد الرَّحْمَنِ وَقَالَ : يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَلَيْسَ

=

ومن شواهده حديث نائلة بنت الفرافصة، راجع حديثها في مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٨١) ، و«مستدرك الحاكم» (٣/ ١١٠) ، وابن عساكر في «تاريخ» (٣٩/ ٣٥٧) ، و«علل الدارقطني» (٣/ ٦٦) ، وعند ابن أبي شيبة (٦/ ١٨١) شاهد عن ابن عمر

(١) أخرجه خليفة بن خياط في «تاريخه» ص (٣٧) ثنا كهمس بن المنهال ، وابن عساكر في «تاريخ» (٣٩/ ٣٥٧) عن إبراهيم بن طهان قالا : أخبرنا سعيد بن أبي عروبة عن يعلى بن حكيم عن نافع قال : دخل ابن عمر على عثمان وعنده المغيرة بن الأخنس فقال : انظر ما يقول هؤلاء يقولون : اخلعها ولا تقتل نفسك فقال : ابن عمر إذا خلعتها أمخلد أنت في الدنيا ؟... الأثر ، ورجاله معدَّلون لا يقل أحد منهم عن رتبة من يحسن حديثه ، لكن سعيد كثير التدليس ، وقد عنعن ، والخطب في الآثار أسهل ، والله أعلم .

لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ - كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ - فلمّا دفن اجْتمعَ هَؤلاَءِ الرهطُ

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : اجْعَلُوا أَمْـرَكُمْ إِلَـى ثَلاَثَـةٍ مِـنْكُمْ ، فَقَـالَ الزُّبَيْـرُ : قَـدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ ، فَقَالَ طَلْحَةُ : قَدْ جَعَلْـتُ أَمْـرِي إِلَـى عُثْمَـانَ ، وَقَـالَ سَعْدٌ : قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الـرَّحْمَنِ بْـنِ عَـوْفٍ ، فَقَـالَ عَبْـدُ الـرَّحْمَنِ : أَيُّكُمَا تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ فَنَجْعَلُهُ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ عَلَيْـهِ وَالإِسْـلاَمُ لَيَنْظُـرَنَّ أَفْضَـلَهُمْ فِي نَفْسِهِ ، فَأُسْكِتَ الشَّيْخَان ، فَقَـالَ عَبْـدُ الـرَّحْمَنِ : أَفَتَجْعَلُونَـهُ إِلَـيَّ ، وَاللَّـهُ عَلَيَّ أَنْ لاَ آلُوَ عَنْ أَفْضَلِكُمْ قَالاَ : نَعَمْ ، فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ لَكَ قَرَابَةٌ مِـنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْقَدَمُ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْـتَ ، فَاللَّـهُ عَلَيْـكَ لَـئِنْ أَمَّرْتُـكَ لَتَعْدِلَنَّ ، وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتُطِيعَنَّ ، ثُمَّ خَلاَ بِالآخَرِ فَقَالَ : لَهُ مِثْـلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ قَالَ : ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ ، فَبَايَعَهُ ، فَبَـايَعَ لَـهُ عَلِـيٌّ ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ[1].

قال أحمد : ما كان في القوم أوكد بيعة من عثمان كانت بإجماعهم[2].

وهذا يعني أن الخارجين على عثمان بغاة ظلمة مخـالفون لقولـه ﷺ مـن وجـه آخر، ومخالفون للإجماع

ففي حديث عبادة بن الصامت ﭬ قـال : بَايَعْنَـا رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ عَلَـى

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٣٧٠٠) .

(٢) أخرجه الخلال (٤٠٥) بإسناده عن الإمام أحمد ، وقد حكاه ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» ص (٤٨٢) عن عامة أهل السنة .

السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا ، وَعُسْرِنَا ، وَيُسْرِنَا ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا ، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، قال: **إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**[1].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[2].

وقال ﷺ : «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِى عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[3].

والحقيقة أن جزاء هؤلاء البغاة الخارجين على هذا الأمير – وهو الخليفة المجمع عليه – أن يُقتلوا فتُضرب أعناقهم ؛ لأنهم أرادوا أن يشقوا عصا المسلمين وهم مجتمعون

هذا كان ينبغي بمجرد خروجهم على الخليفة ، لكن ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً .

دليل ذلك حديث عَرْفَجَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ**[4] **فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهْىَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ**»[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦) .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٧٠٥٣) ، ومسلم (١٨٤٩) .

(٣) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٨٤٩) .

(٤) والمراد بالهنات: الفتن والأمور الحادثة.

(٥) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٨٥٢) .

وفي رواية في صحيح مسلم أيضًا: **«مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ»**

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا»**[(١)].

وفي رواية مسلم من حديث عبد الله بم عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: **«وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا[(٢)] فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ»**[(٣)].

ويا ويح من قتل رجلاً بشَّره النبي ﷺ بأنه يشفع يوم القيامة في مثل حي ربيعة أو مضر

ففي حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: **«يدخل بشفاعة رجل من أمتي الجنة مثل أحد الحيين ربيعة أو مضر»**، قال: قيل: يا رسول الله، وما ربيعة من مضر؟ قال: **«إنما أقول ما أقول»**، قال: فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان رضي الله عنه[(٤)].

ولله دَرّ أبو سلمة التبوذكي موسى بن إسماعيل حين قال: «كان عثمان

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٥٣).

(٢) ولا يشترط أن يبايع كل رجل في الأمة بل يكفي بيعة أهل الحلّ والعقد يبايعونه، فتلزم البيعة عامتهم.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٤) **وهو صحيح** لشواهده التي ذكرتها في تخريجه في «الفوائد النيرة في تخريج التذكرة» برقم (٧٧٨).

خيَرهم يوم استخلفوه ، وكان يوم قُتل خيرًا منه يوم استخلفوه ، وكان في جمعه القرآن كأبي بكر في الردَّة»[(١)].

ويا ويح من قتل عثمان وقد نصَّ النبي ﷺ أنه قد قُتل شهيدًا!

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ»**[(٢)].

والذين قتلوا عثمان رضي الله عنه – نعوذ بالله من العمى – ذكر أصحاب السير أنهم ماتوا جميعًا قتلى كما قتلوه ، وعند الله تجتمع الخصوم

وإن كنتُ ، لم أقف في ذلك على خبر صحيح السند

وقد أوردوا خبرًا أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الفضائل» (٨١٧) ، وغيره بإسنادٍ عن عمرة بنت قيس العدوية قالت : خرجت مع عائشة سنة قتل عثمان إلى مكة فمررنا بالمدينة ورأينا المصحف الذي قتل وهو في حجره ، فكانت أول قطرة قطرت من دمه على هذه الآية ﴿ **فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ قالت عمرة : فما مات رجل منهم سويا[(٣)]

(١) أخرجه الخلال في «السنة» (٤٠٨) عن عبد الملك الميموني عن موسى بن إسماعيل ، وموسى من العلماء الثقات ، والإسناد صحيح إلى موسى .

(٢) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢٤١٧) .

(٣) وأخرجه أحمد في «الزهد» ص (١٢٧) عن طريق أبي عامر العدوي حوثرة بن أشرس قال نا جعفر بن كيسان أبو معروف عن عمرة به بنفس إسناد «الفضائل» . وحوثرة هذا يحسن حديثه ، ولكن عمرة بنت قيس المدار عليها والظاهر أنها مجهولة .

وفي مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣٦١، ٧/ ٤٤٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْـنُ إِدْرِيـسَ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ نَافِعٍ أَنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ : جَهْجَـاهٌ تَنَـاوَلَ عَصًـا كَانَـتْ فِي يَدِ عُثْمَانَ ، فَكَسَرَهَا بِرُكْبَتِهِ ، فَرُمِيَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ بِأَكِلَةٍ.

لكن إسناده مرسل، نافع لم يدرك عثمان – فيما أعلم –

وأخرجه البخاري في «التاريخ الصغير» (١/ ٧٩) رقـم (٣١١) بإسـنادٍ فيـه ضعف أيضًا .

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ :

الذين قتلوه أو ألبوا عليه: ساقوه إلى عفو الله ورحمته.

والذين خذلوه خُذلوا وتنغص عيشهم. وكان الملـك بعـده في نائبـه معاويـة وبنيه ، ثم في وزيره مروان وثمانية من ذرّيّته.

استطالوا حياته وملّوه مع فضله وسوابقه ، فتملك عليهم من هـو مـن بـني عمّه بضعاً وثمانين سنة ، فالحكم لله العليّ الكبير[1] .

يا ويحهم

قتلوا الشهيد الحيي ، صاحب الهجرتين ، حـافر بئـر رومـا ، ومجهـز جـيش العسرة ، الذي كانت تستحي منه الملائكة !!! طهر اللهم عقولنا .

وما عابوه به هو عين الفضيلة والرشد والصواب .

---

(١) حكاه عنه الحافظ ابن كثير في «تاريخه» (٧/ ٣٥٥) .

نعوذ بالله من العمى والانتكاسة في الفهم والبصيرة وفقد الوعي ، ومن الحور بعد الكور .

ولم يشرك في دم عثمان رضي الله عنه أحد من الأفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما يذكر في كتب السير أكثره ، بل جميعه كذب وبهتان لا دليل عليه ، وقد علق على هذا ابن كثير رحمه الله فقال :

أما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضي بقتله؛ فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضي بقتل عثمان رضي الله عنه ، بل كلهم كرهه ، ومقته ، وسبَّ من فعله ، ولكن بعضهم كان يَوَدّ لو خلع نفسه من الأمر ، كعمار بن ياسر ، ومحمد بن أبي بكر ، وعمرو بن الحمق وغيرهم[1].

وذكر رحمه الله :

أن الصحابة لم يكونوا يتوقَّعون أن يصل الأمر إلى هذا الحد ، ومن حاول الدفع منعه عثمان ، وقد قيل بأنهم كانوا قريبًا من ألفي مقاتل من الأبطال ، وأنهم اغتنموا – قبحهم الله – غيبة أكثر الصحابة في الحج والثغور ليقضي الله أمرًا كان مفعولا ، وهو القدر .

ليُقتل بذلك أمير البررة وقتيل الفجرة .

وهذا ابن عمر رضي الله عنهما مرة أخرى يقوم يدافع عن عثمان بن عفان رضي الله عنه الخليفة المهدي

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٥٤)

فعن عثمان بن موهب قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مَنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ الْقَوْمُ؟، قَالَ: هَؤُلاَءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟، قَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ[1]، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ»**، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرُّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: **«هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ»**، فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: **«هَذِهِ لِعُثْمَانَ»**. فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ[2].

وهذا للمفترين من طوائف البدع المفرطين في بغض عثمان وعلي رضي الله عنهما، والذين كرهوا العدل والإنصاف فيهما

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٩٨).

وفي صحيح البخاري[١] عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ عُثْمَانَ ، فَذَكَرَ عَنْ مَحَاسِنِ عَمَلِهِ ، قَالَ : لَعَلَّ ذَاكَ يَسُوؤُكَ ؟ ، قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ : فَأَرْغَمَ اللَّهُ بِأَنْفِكَ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ عَلِيٍّ ، فَذَكَرَ مَحَاسِنَ عَمَلِهِ قَالَ : هُوَ ذَاكَ ، بَيْتُهُ أَوْسَطُ بُيُوتِ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : لَعَلَّ ذَاكَ يَسُوؤُكَ ، قَالَ : أَجَلْ ، قَالَ : فَأَرْغَمَ اللَّهُ بِأَنْفِكَ ، انْطَلِقْ فَاجْهَدْ عَلَيَّ جَهْدَكَ .

أَيْ اُبْلُغْ عَلَى غَايَتك فِي حَقِّي ، فَإِنَّ الَّذِي قُلْته لَك الْحَقّ ، وَقَائِل الْحَقّ لا يُبَالِي بِمَا قِيلَ فِي حَقّه مِنْ الْبَاطِل . كما قال الحافظ .

وهذا علي بن أبي طالب يدافع عن عثمان رضي الله عنهما

أخرج بن أبي داود في كتاب المصاحف بإسناد صححه الأئمة عن العيزار بن جرول سمعت سويد بن غَفلة قال: قال علي : أيها الناس إياكم والغلو في عثمان تقولون : حرق المصاحف ، والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ ، ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل[٢].

وقد تقدم بيعة علي رضي الله عنه له وأنه كان أول من بايع له كما في صحيح البخاري[٣].

(١) برقم (٣٧٠٤) .

(٢) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (٣٩ ، ٧٦ ، ٧٨) بتحقيقي ، وصححه الحافظ ابن حجر في «الفتح» ، والسيوطي في «الإتقان» ، والألوسي في مقدمة تفسيره «روح المعاني» ، فراجع تحقيقي له هناك .

(٣) برقم (٣٧٠٠) .

فلو كانت بيعته لعثمان ﵁ على خلاف الحق لكان هذا قدحًا فيه، لطونه لم يوف بما عاهد عليه عبد الرحمن بن عوف حيث قال له:« فَاللَّهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ » [(١)] .

ولو كانت صحيحة انتقض قول المفرطين في بغض عثمان ، وقد مدحه علي ﵁ كما رأيت وتقدم أن إجماع الصحابة بما فيهم عثمان ﵁ [(٢)]!!

---

(١) وهذا في صحيح البخاري(٣٧٠٠).

(٢) حكاه الإمام أحمد بن حنبل فيما رواه عنه الخلال في «السنة» (٤٠٥) .



أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب
وخلافته
وطرف مما يتعلق بذلك

تمهيد

على بن أبي طالب ﵁ له فضائل عدة وكذلك معاوية ﵁ ، وإن كانت فضائل علي ﵁ أكثر وأعظم لكن لا يُتخذ هذا ذريعة للتنقيص من قدر معاوية ﵁

ولذلك فنحن نذكر فضائل كل منهما

حتى يتبين أن مذهب أهل السنة والجماعة والإنصاف هو أن نعذر معاوية ﵁ فيما أخطأ فيه حيث أن له أجرًا واحدًا .

وأما علي ﵁؛ فكان على الحق والهدى بمقتضى شهادة رسول الله ﷺ نعم كان علي ﵁ أحق بالأمر من معاوية ، ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية ﵁ بغاة تكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة ، وغيرهم ، لأنهم وإن كانوا بغاة في نفس الأمر ، فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال ، وليس كلُ مجتهد مصيبًا ، بل المصيب له أجران والمخطئ له أجر[1] .

وقد أشرنا في موطن آخر تسمية على بن أبي طالب لهم : «هم المؤمنين» وقوله عنهم : «إخواننا قد بغوا علينا»[2] .

---

(١) أشار إليه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٣٠) .

(٢) انظر كتابنا «التوضيحات الجلية».

أولا : فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أقضى الصحابة بشهادة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه

قَالَ : «أَقْرَؤُنَا أُبَيٌّ ، وَأَقْضَانَا عَلِيٌّ»[(١)].

ومن زهده لله دره مع فقره رضي الله عنه

ما أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» بإسناد صحيح عن مجمع بن سمعان التيمي قال : خرج علي بن أبي طالب بسيفه إلى السوق ، فقال : من يشتري مني سيفي هذا ؟ فلو كان عندي أربعة دراهم أشتري بها إزارًا ما بعته[(٢)].

علي بن أبي طالب ومنزلته عند النبي ﷺ

فَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ : قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ : **«أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي»**[(٣)].

ولا متعلق للروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة بهذا الحديث أن عليًا كان أولى بالخلافة؛ إذ معناه أنت متصل بي ، ونازل مني منزلة هارون من

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٤٨١) .

(٢) أخرجه الفسوي (٢/ ٦٨٣) بإسنادٍ صحيح وفي إسناده مجمع وثقة ابن معين كما في «الجرح والتعديل» (٨/ ٢٦٩) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤٤١٦) ، ومسلم (٢٤٠٤) .

موسى إلا أن اتصاله ليس من جهة النبوة ، فبقي الاتصال من جهة الخلافة لأنها تلي النبوة في المرتبة، ثم إنها إما أن تكون في حياته أو بعد مماته فخرج بعد مماته؛ لأن هارون مات قبل موسى عليه السلام، فتبين أن يكون في حياته عند مسيره إلى غزوة تبوك ، لأن هذا القول من النبي ﷺ كان عند مخرجه إلى غزوة تبوك، كما في صحيح البخاري (١٤١٦) : «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا ، فَقَالَ : أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ ، قَالَ ﷺ : **«أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»** .

وقد خلَّف عليًا رضي الله عنه على أهله وأمره بالإقامة فيهم [١].

أشار إلى ذلك البدر العيني في «عمدة القاريء»

فلم يقصد النبي ﷺ أن يُخَلِّفه على جميع الأمة .

وقد دخل النبي ﷺ مع علي رضي الله عنه في فراشه بينه وبين فاطمة ابنة رسول الله ﷺ واختار له ما اختار لابنته التي كانت منه بمنزلة بحيث يؤذيه ما يؤذيها من إيثار الآخرة على الدنيا

فعن علي بن أبي طالب أَنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ ، فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِىَ بِسَبْيٍ ، فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تُوَافِقْهُ ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لَهُ ، فَأَتَانَا وَقَدْ دَخَلْنَا

(١) وقد قال موسى لأخيه هارون : ﴿ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٢] .

مَضَاجِعَنَا ، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ فَقَالَ : **«عَلَى مَكَانِكُمَا»** حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ : **«أَلاَ أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ ، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ ، وَاحْمَدَا ثَلاثًا وَثَلاَثِينَ ، وَسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاَثِينَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ»**(١) .

ومن أقوال عمار بن ياسر في قتاله في موقعة الجمل

قَالَ : ائْتُونِي بِشَرْبَةِ لَبَنٍ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : **«آخِرُ شَرْبَةٍ تَشْرَبُهَا مِنْ الدُّنْيَا شَرْبَةُ لَبَنٍ»**(٢) .

وفي رواية :

أنه قال في اليوم الذي قتل فيه وهو ينادي أُزلفت الجنان ، وزُوِّجت الحور العين ، اليوم نلقى حبيبنا محمدًا ﷺ ، عهد إلي رسول الله ﷺ أن آخر زادك

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٧٠٥) ، ومسلم (٢٧٢٧) .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣١٩) وغيره، وإسناده منقطع، وله طريق آخر عند عبد الرزاق (٢٠٤٢٦) كنت قد تبع الأخوان طلال الطرابيلي ومجدي بن عبد الهادي اللذين شاركا معنا في تحقيق «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٢٢٩) الإمام ابن كثير في قوله : «إسناد صحيح على شرط الشيخين» ، وتبين لي بعد طبع الكتاب أن الإسناد منقطع بين معمر والحسن، وسبب ذلك وقوع تصحيف في «البداية والنهاية» أسقط المبهم بين معمر والحسن فالحمد لله ، لكن له شاهد عند أبي يعلى (١٦٢٦) من طريق خالد بن عبد الله الواسطي عن عطاء بن السائب عن مسيرة بن يعقوب بن أبي جميلة وأبي البختري أن عمارًا ...

وله إسنادٌ آخر عند الحاكم (٣/ ٣٨٩) يدل على أن الحديث ثابت .

وراجع تحريري لطرق الحديث في القسم الذي حققته في «البداية والنهاية» (٨/ ٤٥) .

من الدنيا ضياح من لبن[١].

الفتنة التي كانت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما قد اعتزلها أكثر أصحاب النبي ﷺ

أخرج الإمام أحمد بإسنادٍ صحيح عن محمد بن سيرين: أنه قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الألوف – وفي رواية عشرة آلاف – فلم يحضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين[٢].

وقد أخرج ابن أبي شيبة بإسنادٍ قوي عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: لَمْ يَشْهَدَ الْجَمَلَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ إِلاَّ عَلِيٌّ وَعَمَّارٌ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَإِنْ جَاؤُوا بِخَامِسٍ فَأَنَا كَذَّابٌ[٣].

ومراده من البدريين وإلا فقد كان من الفريق الآخر معاوية وعمرو بن

---

(١) ثابت كما تقدم.

(٢) وقد قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٢٣٦ -٢٣٧) «هذا إسناد من أصح الأسانيد على وجه الأرض» وهو كما قال رحمه الله، فقد أخرجه أحمد كما في «السنة» للخلال (٧٢٨) عن إسماعيل قال ثنا أيوب عن محمد بن سيرين قال: هاجت الفتنة ... فذكره وأخرجه أحمد في «العلل» (٤٧٨٧) من نفس الطريق، وكذلك عمر بن شبة في «تاريخ المدينة المنورة».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٣٧) حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن وهو الغداني البصري عن الشعبي به وإسناده صحيح
رجاله ثقات إلا منصور وهو أقرب إلى التوثيق
وأخرجه الخلال في «السنة» (٧٢٩) من طريق سفيان ثنا منصور ... فذكره.

العاص وولده – ولم يكن يقاتل معهم – وأبو موسى الأشعري وغيرهم والله الموفق .

وقال عبد الله بن أحمد: ثنا أبي حدثنا أمية بن خالد قال : قيل لشعبة : إن أبا شيبة حدثنا عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه قال : شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلاً ، فقال : كذب ، والله لقد ذاكرتُ الحكم بذلك وذكرنا في بيته فما وجدنا شهد صفين من أهل بدر سوى خزيمة بن ثابت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ :

هذا النفي يدل على قلَّة من حضرها، وقد: قيل إنه حضرها سهل بن حنيف، وأبو أيوب وكلام ابن سيرين مقارب، فما يكاد يُذكر مائة واحد[١].

وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه في قتاله لمعاوية ومن ومعه كان على الحق

دليل ذلك قوله ﷺ : **«وَيْحَ عَمَّارٍ ، تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»**[٢].

وكان عمار مع طائفة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وفي صحيح مسلم من حديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **«تَكُونُ فِي أُمَّتِي**

(١) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ١١٩) ط مؤسسة قرطبة وقد حكى عنه ابن كثير في «البداية» (٨/ ٣٠) أنه قال في كتاب «الرد على الرافضة» – وهو منهاج السنة النبوية – : «أما إن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم» .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٤٧) ، وهو في صحيح مسلم (٢٩١٧) عن أم سلمة .

فِرْقَتَانِ[١] فَتَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمَا مَارِقَةٌ يَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلاَهُمْ بِالْحَقِّ»[٢].

وفي رواية : «**تَفْتَرِقُ أُمَّتِي فِرْقَتَيْنِ فَتَمْرُقُ بَيْنَهُمَا مَارِقَةٌ فَيَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ**»[٣].

والمقصود بالمارقة : مارقة الخوارج .

والذي قاتلهم هو علي بن أبي طالب ﷺ وطائفته .

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

هذا الحديث من دلائل النبوة ؛ لأنه قد وقع الأمر طبق ما أخبر به الرسول ﷺ وفيه الحكم بإسلام الطائفتين ، أهل الشام وأهل العراق[٤] ، لا كما تزعمه فرقة الرافضة أهل الجهل والجور من تكفيرهم أهل الشام ، وفيه أن عليًا أدنى الطائفتين إلى الحق وهذا مذهب أهل السنة والجماعة ؛ أن علياً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً في قتاله له ، وقد أخطأ وهو مأجور إن شاء الله ، ولكنَّ علياً هو الإمام المصيب إن شاء الله تعالى فله أجران كما ثبت في صحيح

---

(١) أي فرقة علي ومن معه وفرقة معاوية ومن معه رضي الله عنهما .

(٢) صحيح أخرجه مسلم (١٠٦٥) .

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٧٩) بإسنادٍ على شرط مسلم .

(٤) فإنه ﷺ حكم بالإسلام لكل واحدة منهما بضمهما بقوله : «أمتي» ، ويدل على ذلك أيضًا قوله ﷺ عن الحسن : «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**» أخرجه البخاري (٢٧٠٤) .

البخاري [١] من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْر**»[٢].

وقال الحافظ في «الفتح» رحمه الله :

فِي قَوْله صلى الله عليه وسلم : «**تَمْرُق مَارِقَة عِنْد فُرْقَة مِنْ الْمُسْلِمِينَ تَقْتُلهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ**»[٣]

وَقَوْله صلى الله عليه وسلم : «**تَقْتُل عَمَّارًا الْفِئَة الْبَاغِيَة**»[٤] دَلالَة وَاضِحَة عَلَى أَنَّ عَلِيًّا وَمَنْ مَعَهُ كَانُوا عَلَى الْحَقّ ، وَأَنَّ مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانُوا مُخْطِئِينَ فِي تَأْوِيلهمْ ، وَاَللَّه أَعْلَم[٥].

ولما كان علي رضي الله عنه رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ[٦]؛ كان لا يبغضه بسبب نصرته للإسلام والمسلمين إلا منافق ، ولا يحبه أحد لأجل ذلك إلا مؤمن لأن ذلك علامة على حبه للإسلام وبغضه له.

ففي صحيح مسلم عن على رضي الله عنه قال : «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ

---

(١) برقم (٧٣٥٢) .

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٨/ ٦٠) .

(٣) الذي أخرجه مسلم برقم (١٠٦٥) ، (١٥٠) .

(٤) في الصحيحين وقد تقدم .

(٥) «فتح الباري» (٦/ ٧٥١) .

(٦) كما في صحيح البخاري (٣٧٠٢) ، ومسلم (٢٤٠٧) .

إِنَّـهُ لَعَهْـدُ النَّبِـيِّ الأُمِّـيِّ ﷺ إِلَـيَّ أَنْ لاَ يُحِبَّنِـي إِلاَّ مُـؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضَـنِي إِلاَّ مُنَافِقٌ»[(١)].

ولم يخزيه الله أبدًا كما قال ﷺ[(٢)].

وبما أن عمار كان في صفوف علي رضي الله عنه وهو الثابت على الإيمان على لسان رسولنا العدنان ﷺ وقد اختار صفَّ علي رضي الله عنه

وقد قال ﷺ في شأن عمار : «**مَا خُيِّرَ عَمَّارٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلا اخْتَارَ أَرْشَدَهُمَا**»[(٣)].

وقال ﷺ : «**إِنَّهُ مَنْ يُعَادِ عَمَّارًا يُعَادِهِ اللَّهُ عز وجل وَمَنْ يُبْغِضْهُ يُبْغِضْهُ اللَّـهُ عز وجل وَمَنْ يَسُبَّهُ يَسُبَّهُ اللَّهُ عز وجل**»[(٤)].

وقد اختار عمار صفوف عليّ رضي الله عنه فقد قال رسول الله ﷺ : «**مُلِئَ عَمَّارٌ إِيمَانًا إِلَى مُشَاشِهِ**»[(٥)].

---

(١) رواه مسلم (٧٨) وقد علَّقت على انتقاد الدارقطني له في «التتبع» في كتابي «التوضيحات الجلية في بيان أهل السنة» .

(٢) كما في مسند الإمام أحمد (١/ ٣٣٠) بإسنادٍ حسن وهو قوله ﷺ عن علي رضي الله عنه : «لأَبْعَثَنَّ رَجُلاً لا يُخْزِيهِ اللَّهُ أَبَدًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... الحديث» .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٩٩) ، وأحمد (٦/ ١١٣) بإسنادٍ صحيح من حديث عائشة نفسها .

(٤) فقد أخرج النسائي «في الكبرى» (٥/ ٧٤) ، رقم (٨٢٧٠) ، وأحمد (٤/ ٩٠) بإسناد صحيح عن الأشتر قال : كَانَ بَيْنَ عَمَّار وَبَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ كَلَامٌ فَشَكَاهُ عَمَّارٌ إِلَى رَسُولِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّهُ مَنْ يُعَادِ عَمَّارًا... فذكره .

(٥) **إسناده قوي :** أخرجه النسائي (٨٢١٥) .

وهُوَ الطَّيِّبُ الْمُطَيَّبُ[١] ﷺ .

ويا لها من منزلة شرف لعلي ﷺ أن يقاتل على تأويل القرآن – وذلك أصعب وأشد حيث يحتاج إلى تحرى وعلم وحكمة– كما قاتل رسول الله ﷺ

ففي مسند الإمام أحمد بإسنادٍ حسن من حديث أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ عَلَيْنَا مِنْ بَعْضِ بُيُوتِ نِسَائِهِ ، قَالَ : فَقُمْنَا مَعَهُ ، فَانْقَطَعَتْ نَعْلُهُ ، فَتَخَلَّفَ عَلَيْهَا عَلِيٌّ ﷺ يَخْصِفُهَا ، فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَضَيْنَا مَعَهُ ، ثُمَّ قَامَ يَنْتَظِرُهُ ، وَقُمْنَا مَعَهُ ، فَقَالَ : «**إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ هَذَا الْقُرْآنِ ، كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ**» فَاسْتَشْرَفْنَا ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ﷺ ، فَقَالَ : لاَ ، وَلَكِنَّهُ خَاصِفُ النَّعْلِ ، قَالَ : فَجِئْنَا نُبَشِّرُهُ ، قَالَ : وَكَأَنَّهُ قَدْ سَمِعَهُ[٢] .

وهذه منقبة لعلي ﷺ لأن قتال البغاة في قوله ﷻ : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي ﴾ [الحجرات : ٩] **يحتاج إلى علم و تأمل وفهم ودقة نظر ومعرفة هل هؤلاء بغاة يستحقون القتال أم هم مسلمون مقاتلتهم خطر وعلى هذا فعلي ﷺ قد جمع بين القتال على تنزيل القرآن – أي قتال المشركين – وقتال المتأولين من طائفة معاوية ﷺ وكذلك الخوارج – الذين يتأوَّلون القرآن.**

---

(١) كما في سنن ابن ماجة (١٤٧) ، وابن حبان (٧٠٧٦) بإسنادٍ ثابت .

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٨٢) وهو صحيح لغيره فله طريق آخر عند النسائي في «الكبرى» (٨٥٤١).

أما قتاله الخوارج أهل حروراء[1]، **فابتداءًا** الخوارج بغاة خارجون على

(١) وقد ذهب بعض العلماء إلى تكفير الخوارج مستدلاً بقوله ﷺ عنهم : «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**» والمتوقف في تكفيرهم يفسر الدين في الحديث بالطاعة، فلا يكون فيه حجة، وإليه جنح الخطابي رحمه الله فيما حكاه عنه الحافظ في «الفتح»(٦/ ٧٥٠)، لكن في صحيح البخاري (٣٦١١) ، ومسلم (١٠٦٤) رواية : «يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ» وهي صريحة إلا أن فُسِّر الإسلام هنا بتعاليم الإسلام التي فيها الاعتراض على فعلهم

وحديث لا يحل دم امريء بإحدى ثلاث ومنها «التارك لدينه» لمن يقول بتكفيرهم ثم إن عليًا رضي الله عنه لم يكفرهم

وقد نقل شيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٥/ ٢٤١) إجماع الصحابة على عدم تكفير الخوارج

وحكى الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٣٦٠) شرح حديث (٦٩٣٣) عن الخطابي قال : «أَجْمَعَ عُلَمَاء الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ الْخَوَارِج مَعَ ضَلالَتهمْ فِرْقَة مِنْ فِرَق الْمُسْلِمِينَ ، وَأَجَازُوا مُنَاكَحَتهمْ وَأَكْل ذَبَائِحهمْ ، وَأَنَّهُمْ لا يُكَفَّرُونَ مَا دَامُوا مُتَمَسِّكِينَ بِأَصْلِ الإِسْلام» وراجع كلام العلماء حول تكفيرهم في الموطن الأخير ففيه المزيد .

تنبيه مهم :

قد ورد فيما يتعلق بسلامة نية الزبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهم في موقعة الجمل وأنهم ما أرادوا غير الإصلاح .

ففي خبر أبي حرب بن أبي الأسود الديلي قال : شهدتُ عليًا والزبير رضي الله عنهما لما رجع الزبير على دابته يشقّ الصفوف فعرض له ابنه عبد الله ، فقال : مالك ، فقال : ذكر لي علي رضي الله عنه حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ يقول : «**لتقاتلنه وأنت ظالم** له » فلا أقاتله قال : وللقتال جئت ؟ إنما جئت لتصلح بين الناس ويصلح الله هذا الأمر بك ، قال : قد حلفت أن لا أقاتل قال فأعتق غلامك جرجس وقف حتى تصلح بين الناس قال فأعتق غلامه جرجس ووقف فاختلف أمر الناس فذهب على فرسه

وهذا الحديث أخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٦ وما بعدها) والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤١٥) والمزي في «تهذيبه» (١٦/ ٧١ - ٧٢) بأسانيد تحتمل التقوية وقد قوى الألباني في (الصحيحة» (٢٦٥٩)، =

=

أصله وتردد في تصحيح أصل القصة، ودَاخَله الشك في تصحيحها؛ لأنها من رواية عبد الله بن محمد بن سوار الهاشمي عن منحاب

والحاصل: أنه صحح أصل الحديث لطرقه دون قصة ابن الزبير ولم يصح الحديث بقصته ، فإن تصحيح الحديث بقصته وهم ، لأنه إن صح فالحديث فبدون قصة عبد الله بن الزبير مع أبيه على نزاع في التصحيح

وأجاب الألباني عن قول العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٠٠) عن الحديث «الأسانيد في هذا لينة» بإجابة محتملة

لكن لم ينفرد العقيلي بهذا بل قال ابن همَّات الدمشقي في «التنكيت والإفادة» ص(٨٨٠) عن الحديث : «لم يثبت ولم يصححه أهل الحديث»

والمقصود أن الروايات وأصحاب السير ذكرو رجوع الزبير رضي الله عنه عن القتال مع علي رضي الله عنه والله أعلم ، لكن سياق ترجمة وحياة الزبير رضي الله عنه لا يستفاد منها إلا أنه ما خرج إلا للإصلاح جزمًا سواء صح إسناد هذا الخبر أم لا

قال ابن كثير في «البداية» (٨/ ١٦) : «وقد قيل إنه إنما رجع عن القتال لما رأى عمارًا مع علي ، وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار : **«تَقْتُلك الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»** فخشي أن يقتل عمارًا في هذا اليوم ، وعندي أن الحديث إن كان صحيحًا – يعني مناشدته لعلي – فما رجَّعه سواه، ويَبعد أن يُكَفِّر عن يمينه ثم يحضر بعد ذلك ويقاتل عليًا رضي الله عنه» .

وورد عن علي رضي الله عنه عند ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤١) عن المحاربي عن ليث قال حدثني حبيب بن أبي ثابت أن عليًا رضي الله عنه قال يوم الجمل : «اللهم ليس هذا ما أردت اللهم ليس هذا ما أردت»

وأخرج (٧/ ٥٤٤) عن عاصم عن أبي صالح قال : قال علي يوم الجمل : «وددت أني كنت متُّ قبل هذا بعشرين سنة» ، وله طريق آخر بنحوه (٧/ ٥٤٥) رقم (٣٧٨٢١) ، وآخر (٧/ ٥٤٦) برقم (٣٧٨٢٤)

=

خليفة رسول الله ﷺ يغالون في العبادة لكن فيهم بُعد عن هدي رسول الله ﷺ

يُغالون في تكفير أهل الإسلام – وإن كانت لهم صلاة وصيام وعبادة يُضْرَب بها المثل وقد رددنا عليهم في تأويلهم لبعض الآيات فيما تقدم، وذكرنا قول ابن عباس: «كفر دون كفر» في الرد عليهم، وسيأتي قريبًا سياق المناظرة.

وكان لهم سابق قول مع رسول الله ﷺ

فأخرج مسلم من حديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ : بَعَثَ عَلِىٌّ رضي الله عنه وَهُوَ بِالْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ : الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِىُّ ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عُلاَثَةَ الْعَامِرِىُّ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلاَبٍ وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِىُّ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِى نَبْهَانَ قَالَ : فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ فَقَالُوا أَتُعْطِى صَنَادِيدَ نَجْدٍ وَتَدَعُنَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لأَتَأَلَّفَهُمْ»** فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ نَاتِئُ الْجَبِينِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ ، فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ !، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«فَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِنْ عَصَيْتُهُ أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَلاَ**

=

وأخرج نعيم بن حماد في «الفتن» ص(٤٧) ط دار الفكر ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن إبراهيم وخالد الحذاء عن الحسن قالا : قال علي رضي الله عنه : إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله تعالى : ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾ [الحجر : ٤٧] .

تَأْمَنُونِي؟»[(١)] قَالَ : ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ ، فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فِي قَتْلِهِ يرَوْنَ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ[(٢)] ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ**[(٣)] **يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»**[(٤)].

تنبيه: علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يقع في عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك كما تزعم الناصبة – أخزاهم الله – بل كان بينهما خير ومودة ، فهي التي روت في عمار ما تقدم عن رسول الله ﷺ : **«مَا خُيِّرَ عَمَّارٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَرْشَدَهُمَا»**[(٥)].

مع أن عمارًا كان يقاتل في صفوف عليّ قتالاً شرسًا .

هو الذي قال عنها : «وَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَكِنَّ

---

(١) وفي رواية البخاري : يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ ، فَقَالَ : «وَيْلَكَ ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِل» .

(٢) وفي رواية البخاري أنه عمر بن الخطاب ويحتمل أن يكون كل منهما استأذن في قتله كما مال إليه الحافظ في «الفتح» (٦/ ٧٥٠) .

(٣) وفي رواية البخاري في حديث علي رضي الله عنه (٣٦١١) في وصفهم سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان أي : صغار السن ضعفاء العقول .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٣٦١٠) ، ومسلم (١٠٦٤) واللفظ له .

(٥) أخرجه الترمذي (٣٧٩٩) بإسناد صحيح .

اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلاكُمْ لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ»[١].

وقد أخرج البخاري[٢] من طريق الزُّهْرِيِّ قَالَ : قَالَ لِي الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : أَبَلَغَكَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ فِيمَنْ قَذَفَ عَائِشَةَ ، قُلْتُ : لاَ ، وَلَكِنْ قَدْ أَخْبَرَنِي رَجُلاَنِ مِنْ قَوْمِكِ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ لَهُمَا : كَانَ عَلِيٌّ مُسَلِّمًا[٣] فِي شَأْنِهَا.

وقال يَعْقُوب بْن شَيْبَة فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيّ الْحَلْوَانِيّ عَنْ الشَّافِعِيّ قَالَ : حَدَّثَنَا عَمِّي قَالَ : «دَخَلَ سُلَيْمَان بْن يَسَار عَلَى هِشَام بْن عَبْد الْمَلِك فَقَالَ لَهُ : يَا سُلَيْمَان الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : عَبْد اللَّه بْن أُبَيّ . قَالَ : كَذَبْت ، هُوَ عَلِيّ . قَالَ : أَمِير الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَم بِمَا يَقُول[٤] ، فَدَخَلَ الزُّهْرِيُّ فَقَالَ : يَا اِبْن شِهَابَ مَنْ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ؟ قَالَ : اِبْن أُبَيّ ، قَالَ :

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧١٠٠) .

(٢) برقم (٤١٤٢) .

(٣) مسلِّمًا : بالكسر يعني لم يدافع عنها ويتولى ذلك ، وروي بالفتح ، وروي «مسيئًا» ، وفي رواية : «إن عليًّا كان أساء في شأني والله يغفر له»

قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٥٣٩) : إِنَّمَا نَسَبَتْهُ إِلَى الإِسَاءَةِ لأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ كَمَا قَالَ أُسَامَة «أَهْلُك وَلا نَعْلَم إِلا خَيْرًا» بَلْ ضَيَّقَ عَلَى بَرِيرَةَ وَقَالَ : «لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْك ، وَالنِّسَاء سِوَاهَا كَثِير» وَنَحْو ذَلِكَ مِنْ الْكَلام .

(٤) أي أعلم بما يقول لا أعلم بالحال ؛ لأن سليمان بن يسار يعلم خطأ قوله ، ولم يكن ليتنازل عن رأيه وعلمه ويقينه لقول رجل يحاول تحريف النصوص لخدمة بدعته فتنبه !

كَذَبْت هُوَ عَلِيّ ، فَقَالَ : أَنَا أَكْذِب لا أَبَا لَك[١] ، وَاَللَّهِ لَوْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنَّ اللَّهَ أَحَلَّ الْكَذِبَ مَا كَذَبْت ، حَدَّثَنِي عُرْوَة وَسَعِيد وَعُبَيْد اللَّه وَعَلْقَمَة عَنْ عَائِشَة أَنَّ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْد اللَّه بْن أُبَيّ»[٢].

ولئن كانت عائشة رضي الله عنها نهت عن سبِّ حسان الذي وقع فيها[٣].

ولما قال : وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ ، قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : لَكِنَّكَ لَسْتَ كَذَلِكَ[٤].

فكيف لم تدعُ لعليٍّ رضي الله عنه بالغفران وتزكيه وهو لم يقع فيها بشيء أصلاً، وقد دعت لحسان الذي وقع فيها.

وإنما سقت هذا ؛ لأن بعض النواصب يزعمون – قبَّحهم الله – أن عائشة رضي الله عنها ذهبت في وقعة الجمل لشيء في نفسها من عليٍّ رضي الله عنه ، وهذا لا يقع من عوام المسلمين الذين لهم قلوب سليمة يحبون العفو فضلاً عن أن يقع من أم المؤمنين المبرأة الطيبة زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة ، وحبه ﷺ وهي من أعلم الصحابة رضي الله عنهم ؟!

---

(١) وهذه جرأة عظيمة من الزهري للخليفة ، وعدم محاباته فرحمه الله رحمة واسعة .

(٢) حكاه بإسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥٧) ، و«فتح القدير» (٤/ ٢٢) للشوكاني ، و«فتح الباري» (٧/ ٥٣٩) ط. دار الحديث ، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٣٩) وقد رواها ابن عساكر في «تاريخه» (٥٥/ ٣٧٠) مسنده .

(٣) كما في رواية البخاري (٤١٤٥) .

(٤) كما في رواية البخاري (٤١٤٦) .

بل كانت تعلم أنه أعلم منها بشيء فكانت تحيل الفتوى إليه فتقول للسائل: عليك بعليٍّ بن أبي طالب ، فإنه كان يسافر مع النبي ﷺ .

ففي صحيح مسلم وقد سَأَلَها شُرَيْحُ بنُ هَانئ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ فَقَالَتْ : عَلَيْكَ بِابْنِ أَبِى طَالِبٍ فَسَلْهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُسَافِرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[١].

كذا استأمنته على الدين والعلم.

فهل يمكن لمن هذا حالها أن تدخل بمخالفة لأهواء شخصية بينها وبين علي في حرب يضيع ضحيتها الآلاف من الفريقين؟! سبحانك هذا بهتان عظيم وجرأة عظيمة على أم المؤمنين رضي الله عنها .

وهذه مناظرة ابن عباس للخوارج – أصحاب العقول الضعيفة ، سفهاء الأحلام، حدثاء الأسنان – واحتجاجه فيما أنكروه على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

أخرج النسائي[٢] بإسناد حسن عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : لَمَّا خَرَجَتْ الْحَرُورِيَّةُ اعْتَزَلُوا فِي دَار، وَكَانُوا سِتَّةَ آلافٍ ، فَقُلْت لِعَلِيٍّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبْرِدْ بِالصَّلاةِ ، لَعَلِّي أُكَلِّمُ هَؤُلاءِ الْقَوْمَ ، قَالَ : إِنِّي أَخَافُهُمْ عَلَيْك ، قُلْتُ : كَلا ، فَلَبِسْتُ ثِيَابِي وَتَرَجَّلْتُ ، وَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ فِي دَار ، وَهُمْ يَأْكُلُون ، فَقَالُوا : مَرْحَبًا بِك يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَمَا جَاءَ بِك ؟ قُلْت لَهُم : أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ

(١) فراجع صحيح مسلم (٢٧٦) .
(٢) في «الكبرى» (٥/ ٦٥ – ٦٦) .

أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار، وَمِنْ عِنْدِ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَصِهْرِهِ، وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ ، فَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ مِنْكُمْ ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ لأُبَلِّغَكُمْ مَا يَقُولُونَ ، وَأُبَلِّغَهُمْ مَا تَقُولُونَ ، فَانْتَحَى لِي نَفَرٌ مِنْهُمْ ، قُلْتُ : هَاتُوا مَا نَقَمْتُمْ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَابْنِ عَمِّهِ ، قَالُوا: ثَلاثٌ ، قُلْت: مَا هُن؟

قَالُوا: إحْدَاهُنَّ أَنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أَمْرِ اللَّهِ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ** ﴾ مَا شَأْن الرجال والحُكم ؟ ، قُلْت : هَذِهِ وَاحِدَةٌ .

قَالُوا : وَأَمَّا الثَّانِيَةُ ، فَإِنَّهُ قَاتَلَ، وَلَمْ يَسْبِ سباهم ، وَلَمْ يَغْنَمْ ، إِنْ كَانُوا كُفَّارًا لَقَدْ حَلَّتْ لَنَا سَبيهم ، وَإِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مَا حَلَّ سبيهم ولاَ قِتَالهم ، قُلْتُ: هَذِهِ ثِنتَان فَمَا الثالثة ؟ وَذَكَرَ كَلِمةً معناها .

قَالُوا : مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ ، قُلْتُ : هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ غَيْرُ هَذَا؟ قَالُوا : حَسْبُنَا هَذَا ، قُلْتُ لَهُمْ: أَرَأَيْتكمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤه ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا يَرُدُّ قَوْلَكُمْ ، تَرْجِعُونَ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قُلْتُ : أَمَّا قَوْلُكُمْ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أَمْرِ اللَّهِ ، فَإِنِّي أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِ الله أَنْ قَدْ صَيَّرَ حُكْمَهُ إِلَى الرِّجَالِ فِي ثَمَنِ رُبْعِ دِرْهَمٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ** ﴾ [المائدة : ٩٥] وَكَانَ مِن حُكْمِ الله أنْ صَيَّره إِلَى الرِّجَال يَحْكُمُونَ فِيه ، وَلَو شَاءَ يَحْكُمُ فِيهِ ، فَجَاز مِن حُكْمِ الرِّجَالِ ، أُنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ! أَحُكْمُ الرِّجَالِ فِي صلاحِ ذَاتِ البَيْنِ ، وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ أَفْضل ، أَمْ فِي أَرْنَبٍ ؟ فَقَالُوا : بَلَى ، بَل هذا أفضل .

وفِي المرأة وزوجها : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا** ﴾ [النساء : ٣٥] فنَشدتُكُم باللهِ حُكْمُ الرِّجَالِ فِي صَلاحِ ذَاتِ بَيْنهم وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ أَفْضل مِنْ حُكْمِهم فِي بضعِ امرأة ؟ أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ[١].

قُلْتُ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : إِنَّهُ قَاتَلَ ، وَلَمْ يَسْبِ، وَلَمْ يَغْنَمْ، أَفتَسْبُونَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ، تَسْتَحِلُّوا مِنْهَا مَا تَسْتَحِلُّونَ مِنْ غَيْرِهَا وَهِيَ أُمُّكُمْ ؟ ، فَإِنْ قُلْتم : إِنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْهَا مَا نَسْتَحِلُّ مِنْ غَيْرِهَا فَقَدْ كَفَرْتُمْ ، وَإِنْ قُلْتُمْ : لَيْسَتْ بِأُمِّنَا فَقَدْ كَفَرْتُمْ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾ [الأحزاب:٦] ، فَأَنْتُمْ بَيْنَ ضَلالَتَيْنِ، فَأْتُوا مِنْهُمَا بِمَخْرَجٍ ، أَفَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ الأُخْرَى؟ قَالُوا : نَعَمْ [٢].

وَأَمَّا مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَنَا آتيكم بِمَا ترضون ، إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ[٣] صَالَحَ الْمُشْرِكِين فَقَالَ لعليّ : «**اُكْتُبْ يَا عَلِيّ! هَذَا ما صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه**»" ، قَالُوا : لَوْ نَعْلَمُ أَنَّك رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَاتَلْنَاك ،

---

(١) وفي الجملة يقول رسول الله ﷺ : «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْر» أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ، ومسلم (١٧١٦) ففيه إقرار لحكم الرجال وتحكيمهم والأدلة في ذلك كثيرة .

(٢) ولم يطل ابن عباس رضي الله عنه في ذلك حيث لم يقل إن القتال هنا قتال على البغي الذي نشأ عن تأويل والذي قال الله تعالى فيه : ﴿ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات : ٩ ، ١٠] .

(٣) والحديث بذلك في الصحيحين .

فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ : «**امحُ يَا عَلِيُّ! الله إنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ الله امحُ يَا عَلِيُّ ، وَاُكْتُبْ : هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّه**» ، والله لرَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ ، وَقَدْ مَحَا نَفْسَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ مَحْوُهُ نفسه ذَلِكَ مَحَاه مِنْ النُّبُوَّةِ ، أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَلْفَانِ ، وَخَرَجَ سَائِرُهُمْ، فَقُتِلُوا عَلَى ضَلالَتِهِمْ ، قَتَلَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ.

وهذا احتجاج عليّ رضي الله عنه في قتله للخوارج ، وأنه كان مُصيبًا للحق في قتلهم، وفي قتاله لمعاوية

قال رضي الله عنه : «إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

وقد شهد أبو سعيد الخدري لعلي بالإصابة في قتلهم

فإنه روى حديث الخوارج، ونقل عن النبي ﷺ : «**آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ**[2] **يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ**» . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَشْهَدُ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٦١١) ، ومسلم (١٠٦٦) .

(٢) أي : تضطرب .

أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَوُجِدَ فَأُتِيَ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الَّذِي نَعَتَ[1].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٦١٠) ، ومسلم (١٠٦٤) . وهذا فيه ردّ على عائشة رضي الله عنها حينما قالت حين علمت أن عليًّا ذكر هذا الرجل المخدَّج حِينَ قَامَ عَلَيْهِ كَمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْعِرَاقِ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَتْ : هَلْ سَمِعْتَ مِنْهُ أَنَّهُ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ لا قَالَتْ : أَجَلْ صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَرْحَمُ اللَّهُ عَلِيًّا رضي الله عنه إِنَّهُ كَانَ مِنْ كَلامِهِ لا يَرَى شَيْئًا يُعْجِبُهُ إِلا قَالَ صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَذْهَبُ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ وَيَزِيدُونَ عَلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ.

أخرجه أحمد (١/ ٨٦ – ٨٧) بإسناد حسن ، وصححه ابن كثير في «تاريخه» (٨/ ٦٢) ، وإن فهم من كلامها إنكار الحديث – مع كون ذلك ليس بصريح منها – فها قد رواه أبو سعيد الخدري مع علي رضي الله عنه .

وفي الحديث شهادة أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وسيأتي استحلاف عبيدة السلماني لعلي رضي الله عنه وحلف أنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بل قد رواه غير واحدٍ من الصحابة كما سيأتي .

والواقع أن عائشة رضي الله عنها لم تتهم عليًّا بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا واضح .

بل أخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (١/ ١٦٠) بإسناد حسن عن عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عَلِيٍّ رضي الله عنه إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابُ السَّفَرِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه وَهُوَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَشُغِلَ عَنْهُ فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : إِنِّي دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَعِنْدَهُ عَائِشَةُ رضي الله عنها فَقَالَ لِي : **«كَيْفَ أَنْتَ وَقَوْمَ كَذَا وَكَذَا»** ، فَقُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ثُمَّ عَادَ فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : فَقَالَ : **«قَوْمٌ يَخْرُجُونَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ فِيهِمْ رَجُلٌ مُخْدَجُ الْيَدِ كَأَنَّ يَدَهُ ثَدْيُ حَبَشِيَّةٍ... الحديث .**

وقد جوّد إسناده الحافظ ابن كثير في «تاريخه» (٨/ ٧٦) ، وقال (٨/ ٧٩) عقب سياق وصف الخوارج وصفة ذي الثدى الذي هو علامة عليهم :

=

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني بعد أن قاتلهم علي بن أبي طالب قال : الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَقَامَ عَلِيٌّ رضي الله عنه بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ قَالَ : أَخِّرُوهُمْ فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الأَرْضَ فَكَبَّرَ ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ اللَّهُ وَبَلَّغَ رَسُولُهُ - قَالَ - فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ

=

«هذه طرق متواترة عن علي ، إذ قد روى من طرق متعددة عن جماعة متباينة ، لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، فأصل القصة محفوظ»

ثم قال :

ومن وصفهم أنهم يعجب الناس من عبادتهم وتعجبهم أنفسهم كما في مسند أحمد (٣/ ١٨٩) بإسناد صحيح، وفي صحيح البخاري(٥٠٥٨) ومسلم(١٠٦٤) قوله ﷺ:« **تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِم**».

وقد روى حديثهم هذا ابن مسعود كما في الإمام أحمد (١/ ٤٠٤) بإسناد حسن وحديثه في هذا أقوى ؛ لأنه مات قبل ظهور الخوارج بنحو خمس سنين .

وهو مرويٌّ عن أنس عند أحمد (٣/ ١٨٩) أيضًا بإسنادٍ صحيح ، وعند أحمد (٣/ ٢٢٤) في وصفهم أنهم يحسنون القول ويسيئون الفعل ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء .

وسيماهم التحليق ، وفي رواية : «محلقة رؤوسهم»انظر صحيح البخاري (٦٩٣٤) ، ومسلم (١٠٦٨) ، وأحمد (٣/ ٤٨٦) .

ولم يكن بين عائشة وعليّ رضي الله عنهما إلا كما يكون بين المرأة وأحمائها كما ورد عنها - إن صح الخبر - وإلا فقد أخرج قولها هذا الإمام البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٣٤ - ٤٣٥) بإسنادٍ فيه من لم أعرفه .

وإلا فقد تقدم تَرَحُّمها عليه بعد موته بعد ، وإحسان الظن بالمسلمين واجب ، فكيف بمن رضى الله عنهم ، بل كيف إحسان الظن بأمهات المؤمنين ، فكيف بأفضلهن وأعلمهن في كثير من الأمور المبرأة من السماء ؟!

السَّلْمَانِيُّ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَسَمِعْتَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِي وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ.حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلاَثًا وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ[1].

وفي رواية عند البزار بإسنادٍ حسن أن عليًا رضي الله عنه لما رآه سجد

وقد أخرج البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٣٣) ، والخطيب في «تاريخه» (١٤/ ٣٦٢) من حديث علي رضي الله عنه القصة وفيها سجود علي رضي الله عنه لما رأى المُخدَّج .

وقد ورد في قول عبد الله بن شداد لعائشة رضي الله عنها :

وَاللَّهِ مَا بَعَثَ إِلَيْهِمْ حَتَّى قَطَعُوا السَّبِيلَ وَسَفَكُوا الدَّمَ وَاسْتَحَلُّوا أَهْلَ الذِّمَّةِ[2].

وكانوا يبحثون عن الحق متجرِّدين لله عز وجل ، من أخطأ منهم فعن اجتهاد ظنًا منه أن ذلك الحق فقاتل عليه .

فللّه درهم وهم يأخذون بأيدي أنفسهم للبر والتقوى .

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي وائل عن سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين : اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ ، رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ لَرَدَدْتُهُ ، وَمَا وَضَعْنَا أَسْيَافَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا لأَمْرٍ يُفْظِعُنَا إِلاَّ أَسْهَلْنَ بِنَا

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٠٦٦) .

(٢) وهو في مسند أحمد (١/ ٨٦ – ٨٧) بإسناد حسن، وأما إنكارها حكاية المخدج أو ذي الثدى – إن سلمنا جدلاً – فلربما كانت نسيت الحديث، وقول من علم حجة على قول م لم يعلم، والله أعلم

إِلَى أَمْرٍ ، نَعْرِفُهُ غَيْرِ أَمْرِنَا هَذَا [١].

وبالجملة

فكل سباب أو شتم أو طعن أو دعاء وقع بين الصحابة .

فإما أنه مطعون في نسبته إليهم من جهة السند ، أو ليس على ظاهره ، وله معنى مؤول بقرائن في بقية الأحاديث ، ولا متعلق به للشيعة والروافض أخزاهم الله

وهذة أمثلة :

ابتداءًا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ فَسَبَّهُ خَالِدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«لاَ تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ»**.

وفي صحته نظر، ولو صح؛ فليس صريحًا في أن ذلك من الشتم الذي يجلب لصاحبه الفسوق به فإن السباب يختلف باختلاف أحوال الناس ورفعة قدرهم.

وإن كان رواه مسلم في صحيحه (٢٥٤١) في الشواهد ، وقد رواه في الأصول (٢٥٤٠) من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد ، وبعضهم يقول عن أبي هريرة – والصواب الأول أي عن أبي سعيد – وليس فيه السباب بينهما.

وقد رواه أبو معاوية وشعبة ووكيع وغيرهم عن الأعمش ، ولم يذكروا

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣١٨١) ، ومسلم (٢٧٨٥) .

قصة السباب .

وقد روى البخاري الحديث برقم (٣٦٧٣) ولم يذكر قصة السباب .

وقال مسلم عقب الرواية التي فيها السب من طريق جرير عن الأعمش :

«وليس في حديث شعبة ووكيع ذكر عبد الرحمن بن عوف وخالد» أ.هـ

وعلى هذا فالأكثر والأضبط لم يذكروا السباب الذي وقع بين خالد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، وأشير إلى أن الشواهد التي في صحيح مسلم ليست على شرطه.

وسياق الحديث دال على أنه كان رجل من جفاة الأعراب ، وقد قال به بعض العلماء كما في «فتح الباري» .

فكل يسب على حسب أدبه وأخلاقه وأحواله ، فليس ساب المجرم الأفاك الأثيم ، كسب رفيع القدر في الناس .

وقد كان يكون بينهم كما يكون بين الناس مع فارق سابق فضلهم وشرف صحبتهم وعلو قدرهم مما ورد في كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلو صح هذا لم يكن فيه ما يقدح ، والله أعلم.

فقد ورد في حديث سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رضي الله عنه قَالَ : اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا ، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: **«إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ»** ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ : تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَقَالَ : أَتُرَى بِي بَأْسٌ أَمَجْنُونٌ

أَنَا؟ اذْهَبْ . أخرجه البخاري (٦٠٤٨) ، ومسلم (٢٦١٠) .

فلم يكن السباب الذي وقع بينهم – في حالة صحة السند – من نوع السب الذي يقصد به القدح في دين الذي سُبّ وعدالته ، وإنما هو سب محمول على غير ذلك من وصفه بالبخل أو الجبن أو قلَّة معرفته بالسياسة ، أو قلة العلم أو عدم الزهد ، ونحو ذلك .

وهذا النوع هو الذي حُكي عن جمهور العلماء(١) أن فاعله يستحق التعزير والتأديب ، ولا يكفر بذلك ، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم(٢).

وهل سباب أبي بكر لولده حينما تأخر عن الأضياف ، وقصر في حقّ ضيافتهم وشتمه بقوله : «يَا غُنْثَرُ فَجَدَّعَ وَسَب»(٣)

(١) وقد عزاه لجمهور العلماء النووي في «شرح مسلم» حديث (٢٥٤١) ، والحافظ في «فتح الباري» (٧/ ٤٣) عن القاضي عياض .

وإن كان بعض المالكية يطلقون أن سابّ الصحابة يقتل ، وخص بعض الشافعية ذلك بالشيخين، وكذا من كفَّر من صرح النبي ﷺ بإيمانه أو بتبشيره بالجنة إذا تواتر الخبر بذلك عنه ، لما تضمن من تكذيب رسول الله ﷺ .

(٢) انظر «الصارم المسلول» لشيخ الإسلام ابن تيمية ص (٥٨٦) .

(٣) غُنثر بمعنى : يا ثقيل يا وَخِم ، أو يا جاهل أو نحو ذلك .

ومعنى فجدَّع : أي دعا بالجدع وهو قطع الأنف وغيره من الأعضاء .

فمعني السباب هنا أي : الدعاء والشتم بما ذُكر .

وحديثه في الصحيحين[١].

وهل سبٌّ عبد الله بن عمر لولده بلال لما سمعه يحدث عن النبي ﷺ : **«لاَ تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا»** ، فَقَالَ بِلاَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَقَالَ أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَقُولُ وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ[٢]كان من السباب المعروف عند الفساق ؟!

ولعل ما حصل منهما كان في حالة الغضب بسبب التقصير أو المخالفة الشرعية، والله أعلم .

فالسبّ هنا محمول على الدعاء الذي لم يقصد الداعي قوله على ما ورد في حديث: «ثكلتك أمك».

ومنه قول ابن عمر في نفس الحديث في «مسند أحمد» (٢/ ١٤٣) بإسناد صحيح لما قال له : وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ يَتَّخِذْنَهُ دَغَلا لِحَوَائِجِهِنَّ فَقَالَ : فَعَلَ اللَّهُ بِكَ وَفَعَلَ أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَقُولُ لا نَدَعُهُنَّ[٣].

* وقد دعا النبي ﷺ على صفية أم المؤمنين رضي الله عنها بقوله : **«عَقْرَى حَلْقَى»**.

ومعنى عقرى : أي عقرها الله ، ومعنى حلقى : حلقها الله يعني عقر الله جسدها وأصابها بوجع في حلقها .

---

(١) البخاري (٦٠٢) ، ومسلم (٢٠٥٧) .

(٢) انظر صحيح مسلم (٤٤٢) .

(٣) وذلك في صحيح البخاري (١٧٧٢) ، ومسلم (١٢١١) .

ولم يُرد ﷺ أو يقصد وقوع الدعاء عليها ، وكيف يقصده ﷺ وهو يقول : **«لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»** (١) .

* **ومن ذلك:** ما ورد أن عائشة رضي الله عنها سبت زينب بنت جحش لما أتت زينب رسول الله ﷺ وَقَالَتْ : إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِى قُحَافَةَ فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا ، حَتَّى تَنَاوَلَتْ عَائِشَةَ ، وَهْيَ قَاعِدَةٌ ، فَسَبَّتْهَا حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ ؟ قَالَ : فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ ، حَتَّى أَسْكَتَتْهَا ، قَالَتْ : فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَائِشَةَ ، وَقَالَ : **«إِنَّهَا بِنْتُ أَبِى بَكْرٍ»** لكن هذا إسناد ليس بمتصل .

وقد أخرج البخاري أصل الحديث برقم (٢٥٨١) ثم أورد هذا القدر بعد المتصل وأشار إليه فقال : «الْكَلاَمُ الأَخِيرُ قِصَّةُ فَاطِمَةَ يُذْكَرُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ رَجُلٍ عَنِ الزُّهْرِىِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ...» .

وفي رواية مسلم (٢٤٤٢) قول عائشة رضي الله عنها : ثُمَّ وَقَعَتْ بِي فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا ؟ - قَالَتْ - فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لاَ يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ - قَالَتْ - فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا حِينَ أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا - قَالَتْ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبَسَّمَ : **«إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِى بَكْرٍ»**.

---

(١) وذلك في صحيح مسلم (٣٠٠٩) .

وليس في هذا سبٌّ ، وإنما يمكن أن يكون فيه مغالبة في الكلام حتى تُسكتها.

ويؤيده رواية مسلم : فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا أَنْ أَثْخَنْتُهَا غَلَبَةً» أي غلبتها في الكلام .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ **وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** ﴾ أي: غلبني في الخطاب .

وأما ما في مسند أحمد (٦/ ١٣٠) ، وأبو داود (٤٢٥٢) أن النبي ﷺ قال لها: «**سُبِّيهَا فَسَبَّتْهَا حَتَّى غَلَبَتْهَا...**» ، ففي إسناده علي بن زيد وهو ضعيف ، وأم محمد امرأة مجهولة ، وضعفه الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٥٩٠) بعلي بن زيد.

وعند النسائي في «الكبرى» (٨٩١٤) ، وابن ماجة (١٩٨١) ، وأحمد (٦/ ٩٣) من طريق البهي عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : دَخَلَت عَلَي زَيْنَب بِنْت جَحْش فَسَبَّتْنِي ، فَرَدَعَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَأَبَتْ " فَقَالَ لِي : «**سُبِّيهَا**» ، فَسَبَبْتُهَا حَتَّى جَفَّ رِيقُهَا فِي فَمِهَا فَرَأَيْت وَجْهَهُ يَتَهَلَّلُ .

والبهي لا يقبل منه مثل هذا ، وإن كان عدله ابن سعد، لكن قال أبو حاتم فيه : «لا يحتج بالبهي وهو مضطرب الحديث» ، وهذا أقوى هنا من قول ابن سعد : «كان ثقة معروفًا بالحديث» .

وقد حسنه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٥/ ١٢٢) وفي معناه نكارة، إذ كيف يأمر ﷺ أم المؤمنين أن تسبّ أختها وهو القائل : «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» ، وقال لمن اغتابت أخرى : «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ**

لَمَزَجَتْهُ» ؟!

وأما ما ورد عن معاوية بن أبي سفيان من أنه قال لسعد :

مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ ، فَقَالَ : أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلاثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَنْ أَسُبَّهُ لأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ : خَلَّفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ خَلَّفْتَنِى مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نُبُوَّةَ بَعْدِي»** ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ : **«لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»** ، قَالَ : فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فَقَالَ : **«ادْعُوا لِي عَلِيًّا»** ، فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ** ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ : **«اللَّهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلِي»**.

وهذا الحديث في النفس من تصحيحه شيء[1] .

---

(١) وقد انفرد بهذا السياق بكير بن مسمار ، وقد ضعفه ابن حزم ، وقال البخاري : فيه نظر ، وقال الذهبي : فيه شيء .

وإن قال النسائي : ليس به بأس ، وقال ابن عدي : مستقيم الحديث .

فقد روى هذا الحديث عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه بهذا السياق .

ورواه سعيد بن المسيب – في المحفوظ عنه – عند مسلم ، والزهري عند الطبراني في «الكبير» كلاهما عن عامر به ، ولم يذكروا القصة بين معاوية وسعد .

=

وعلى فرض صحته ، فليس فيه متعلق للشيعة

فلَيْس فِيه أنَّ معاوية أَمَرَ سَعْدًا بِسَبِّهِ ، وَإِنَّمَا سَأَلَهُ عَنْ السَّبَب الْمَانِع لَهُ مِنْ السَّبّ ، كَأَنَّهُ يَقُول : هَلْ اِمْتَنَعْت تَوَرُّعًا ، أَوْ خَوْفًا ، أَوْ غَيْر ذَلِكَ .

فَإِنْ كَانَ تَوَرُّعًا وَإِجْلالا لَهُ عَنْ السَّبَب فَأَنْتَ مُصِيب مُحْسِن ، وَإِنْ كَانَ غَيْر ذَلِكَ فَلَهُ جَوَاب آخَر ، لَعَلَّ سَعْدًا قَدْ كَانَ فِي طَائِفَة يَسُبُّونَ فَلَمْ يَسُبَّ مَعَهُمْ ، وَعَجَزَ عَنْ الإِنْكَار ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ ، فَسَأَلَهُ هَذَا السُّؤَال .

قَالُوا : وَيَحْتَمِلُ تَأْوِيلا آخَر أَنَّ مَعْنَاهُ مَا مَنَعَك أَنْ تُخَطِّئَهُ فِي رَأْيه وَاجْتِهَاده، وَتُظْهِرَ لِلنَّاسِ حُسْن رَأْيِنَا وَاجْتِهَادنَا ، وَأَنَّهُ أَخْطَأَ ؟ .

وقد أشار النووي إلى ذلك في «شرح مسلم»

=

ورواها مصعب بن سعد عن أبيه ، ولم يذكر هذا ، وذلك في صحيح البخاري (٤٤١٦) .

ورواها إبراهيم بن سعد عن أبيه ، ولم يذكر ذلك.

كما في صحيح البخاري (٣٧٠٦) .

وخالف بكير بن مسمار هذا جماعة ، ولم يذكروا كلهم هذه الزيادة بالقصة، وقد استغربها البزار حينما أخرجها في «المسند» (٣/ ٣٢٥) وقال :

«هذا الحديث بهذا اللفظ لا نعلم رواه إلا بكير بن مسمار عن عامر بن سعد عن أبيه» .

وقد استغرب الرواية الإمام الترمذي .

فيبعد أن ينفرد مثل بكير بن مسمار بمثل هذا اللفظ ويكون صحيحًا .

والبخاري لم يذكرهذا اللفظ مع أنه روى أصل الحديث ، ومسلم رواها في الشواهد ، والشواهد ليست على شرطه .

ووجه آخر: كيف يأمر معاوية سعدًا بسبِّ من هو أفضل منه وأعظم فضلاً، وهو نفسه معاوية كان يعترف بأنه ليس من فضلاء الصحابة، كما قال شيخ الإسلام في «المنهاج» (٦/ ١١٨)؟! .

ثم كيف كيف يأمر سعدًا أن يسبّ رجل هو يكنِّيه بأبي تراب؟! .

وهل الذي يريد سب إنسان ويحث على سبِّه ويأمر به يكنيه بأحب الكنى إليه؟! .

وفي حديث سهل ابن سعد «...وَمَا كَانَ لَهُ – أي لعلي – اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ – أي أبو تراب –» [(١)].

وفي رواية قال علي ﷺ: «إِنْ كَانَتْ أَحَبَّ أَسْمَاءِ عَلِيٍّ ﷺ إِلَيْهِ لأَبُو تُرَابٍ ، وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ أَنْ يُدْعَى بِهَا، وَمَا سَمَّاهُ أَبُو تُرَابٍ إِلاَّ النَّبِيُّ ﷺ... الحديث» [(٢)].

وقد عُلم أن الذي يريد السب لشخص لا يأتيه بأحب الأسماء إليه ، بل بأقبح الأسماء ، وانظر إلى الصحابة وقد كانوا يقولون لأبي جهل : أبا الحكم ، فلما أرادوا سبه والتنقيص من شأنه قالوا : أبو جهل .

أقبح الكنى ، وأكره الأسماء له .

وشيء آخر كيف يأمر معاوية كاتب الوحي لرسول الله ﷺ بسبِّ رجلٍ يؤذي سبَّه رسول الله ﷺ؟!

---

(١) كما في صحيح البخاري (٣٧٠٣) .

(٢) كما في صحيح البخاري (٦٢٠٤) .

فقد أخرجه النسائي (٥/ ١٣٣) بإسناد صحيح من حديث أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ، فَقَالَتْ : أَيُسَبُّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيكُمْ ، قُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْ مَعَاذَ اللَّهِ ، قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي**».

والذي كان يسب عليًّا هم دهماء العامة الذين لا يخلو منهم زمان ، والحال أدعى لنشر مثل هذا كما أشرنا .

وكذلك ما وقع في رواية البخاري (٤٠٣٣) : «فَاسْتَبَّ عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ» هو مفسر في الرواية الأخرى في صحيح البخاري ، ومسلم (١٧٥٧) بأن العباس قال له : «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنِى وَبَيْنَ هَذَا الْكَاذِبِ الآثِمِ الْغَادِرِ الْخَائِنِ»

فإن العباس أراد ردعه عما يعتقد أنه مخطيء فيه، وأن هذه الأوصاف يتصف بها لو كان يفعل ما يفعله عن عمد ، أو أنه قاله على جهة الإدلال على ابن أخيه ؛ لأنه بمنزلة ابنه ولم يقصد حقيقة الكلام وهو نظير ما قاله عمر للعباس وعلي في رواية مسلم (١٧٥٧) وهو يحدث عن أبي بكر قال : «فَرَأَيْتُمَاهُ كَاذِبًا آثِمًا غَادِرًا خَائِنًا وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُ لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ» .

ومن ذلك قول عمر لمولاه هنيًّا الذي استعمله على الحمى : «أَفَتَارِكُهُمْ – يعني أولاد من هلكت ماشيتهم – أَنَا لاَ أَبَا لَكَ» الذي أخرجه البخاري (٣٠٥٩) .

وقوله أيضًا لمعاذ لما حدثه عن الفتن وأن بين عمر وبينها بابًا قال معاذ :

«بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ. قَالَ عُمَرُ أَكَسْرًا لاَ أَبَا لَكَ» الذي أخرجه البخاري ، ومسلم (١٤٤) وهو في الصحيح (٣٥٨٦) بغير هذا اللفظ .

«فكان الإنسان إذا وقع في شدة عاونه أبوه ، فإذا قيل لا أبا لك فمعناه ليس لك أب جِدٌّ في الأمر جد من ليس له معاون» كما أشار الحافظ في «الفتح».

والعرب يقولون : لا أَبا لك للشيءِ إذا هَمّ ، وقاتَلَهُ اللهُ ، ولا يريدون به الذمّ ، وَوَيْلَ أُمِّهِ للأمر إذا تَمّ ، وأشار إليه القرطبي في «المفهم» شرح مسلم .

ومن ذلك ما أخرج ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٩٠) وأحمد (٢/ ٢٠٦) مما حصل في حديث حَنْظَلَةَ بْنِ خُوَيْلِدٍ الْعَنْبَرِيِّ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ مُعَاوِيَةَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلان يَخْتَصِمَان فِي رَأْسِ عَمَّار ، يَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لِيَطِبْ بِهِ أَحَدُكُمَا نَفْسًا لِصَاحِبِهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : **«تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»** ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَلا تُغْنِي عَنَّا مَجْنُونَكَ يَا عَمْرُو فَمَا بَالُكَ مَعَنَا ؟ قَالَ : إِنَّ أَبِي شَكَانِي إِلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«أَطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا وَلا تَعْصِهِ فَأَنَا مَعَكُمْ وَلَسْتُ أُقَاتِلُ»** .

فهذا معنيٌّ به أن لك أن تتكلم ؛ لأن قولك هذا يشق عصا الجيش الذي معني، فينبغي أن تمنع الكلام كما يمنع المجنون ويمكن أن تكون الكلمة خرجت من معاوية للعبد الصالح عبد الله بن عمرو بغير قصد؛ للانفعال والخوف الشديد على جيشه بسبب كلمة عبد الله بن عمرو ونحوه ما حصل من عمر بن

الخطاب لحاطب بن أبي بلتعة .

ومثل قول كثير منهم «كذب فلان» ، أي أخطأ، ذلك كقول بعضهم لبعض «إنك منافق».

أي: أنك تعمل عمل المنافقين، وكذلك تعيير بعضهم لبعض، وقول النبي ﷺ للمُعَيِّر: **«إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»** أي أن ما حصل منك – يا أبا ذر إنما هو من صفات الجاهلية – .

والمقصود: أن كل سباب أو دعاء كان بين الصحابة ثبت صحة سنده ، فهو محمول على السب الذي لا يُفسق مَن فعله أو على معنى غير الظاهر المتبادر إلى الذهن الذي لا يقصد به حقيقة السباب.

ولا أطيل في ذلك لئلا نخرج عما أردناه، والمقام ليس مقام بسط ذلك وكل حديث فيه مثل ذلك أورد العلماء – رحمهم الله وطيب ثراهم – في شرحه ما يزيل اللبس في ذلك والحمد لله رب العالمين .

وبالجملة :

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد ذكر الكلام على ما أُخذ على بعض الصحابة ، والجواب عنه بعد ما أخذ على عثمان رضي الله عنه :

«والباقي ليس بعيب بل هو من الحسنات ، وهكذا عامة ما يُعاب به على

سائر الصحابة هو إما حسنة أو معفو عنه»[١].

والروافض والخوارج – أخزاهم الله – يشتمون أبا موسى الأشعري

ففي صحيح البخاري مِن حَدِيثِ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا مُوسَى وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ ، قَالَ : وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلَافٍ ، قَالَ : وَالْيَمَنُ مِخْلَافَانِ ، ثُمَّ قَالَ : «**يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا ، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا**» ، فَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ كَانَ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَحْدَثَ بِهِ عَهْدًا ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَسَارَ مُعَاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَى... الحديث[٢]

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ[٣] :

اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ أَبَا مُوسَى كَانَ عَالِمًا فَطِنًا حَاذِقًا ، وَلَوْلا ذَلِكَ لَمْ يُوَلِّهِ النَّبِيّ ﷺ الإِمَارَة ، وَلَوْ كَانَ فَوَّضَ الْحُكْم لِغَيْرِهِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى تَوْصِيَته بِمَا وَصَّاهُ بِهِ ، وَلِذَلِكَ اِعْتَمَدَ عَلَيْهِ عُمَر ثُمَّ عُثْمَان ثُمَّ عَلِيّ ، وَأَمَّا الْخَوَارِج وَالرَّوَافِض فَطَعَنُوا فِيهِ وَنَسَبُوهُ إِلَى الْغَفْلَة وَعَدَم الْفِطْنَة لِمَا صَدَرَ مِنْهُ فِي التَّحْكِيم بِصِفِّينَ .

قَالَ اِبْن الْعَرَبِيّ وَغَيْره[١] :

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ١١٩) .

(٢) البخاري (٤٣٤٢) .

(٣) في «فتح الباري» (٨/ ٧٧) .

وَالْحَقّ أَنَّهُ لَمْ يَصْدُر مِنْهُ مَا يَقْتَضِي وَصْفه بِذَلِكَ، وَغَايَة مَا وَقَعَ مِنْهُ أَنَّ اِجْتِهَاده أَدَّاهُ إِلَى أَنْ يَجْعَل الأَمْر شُورَى بَيْن مَنْ بَقِيَ مِنْ أَكَابِر الصَّحَابَة مِنْ أَهْل بَدْر وَنَحْوهمْ لِمَا شَاهَدَ مِنْ الاخْتِلاف الشَّدِيد بَيْن الطَّائِفَتَيْنِ بِصِفِّينَ ، وَآلَ الأَمْر إِلَى مَا آلَ إِلَيْهِ(٢).

ولم يكن بين عليّ وبين عائشة رضي الله عنها شيء في النفس ، وهذه تزكيتها لعلي في بعض مسائل العلم والأمانة

=

(١) فيما حكاه عنه الحافظ في «الفتح» (٨/ ٧٧) .

(٢) هذا إذا صحت قصة التحكيم هذه ، وإلا فهي من كذب الروافض ووضعهم ، لا حقيقة لها .
وقد قال ابن العربي في العواصم ص (١٧٦) ط. دار الجبل:
«هذا كله كذب صراح، ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة، ووضعته التاريخية للملوك، فتوارثته أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع». أ.هـ
وإني لأعجب من وهم هؤلاء الغالطين وتجاهلهم ، فإن معاوية لم يكن خليفة حتى يخلع نفسه ، ولم يكن ادّعى الخلافة يومئذٍ أصلاً حتى يحتاج عمرو بن العاص إلى خلعه .
بل الحاصل – إن سلِمت الرواية – وما أظنها – في سياقها أن أبا موسى وعمرًا اتفقا على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين الموجودين على قيد الحياة من أعيان الذين تُوفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، واتفاق الحكمين على ذلك لا يتناول معاوية أصلاً؛ لأنه لم يكن خليفة، ولم يقاتل على الخلافة ولا يوجد نص أنه طلبها – لاسيما وهو يعلم شهرة قوله ﷺ المعروف عنده: **«إِنَّا لاَ نُوَلِّى هَذَا الأَمر مَنْ سَأَلَهُ ، وَلاَ مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ»** وهو خبر ثابت مشهور ، ولذلك لم يُنكر عليه أي أحد من الصحابة ويحتج عليه بهذا الحديث ؛ لأنه لم يطلب الخلافة أصلاً .
وإنما كان معاوية يطالب بإقامة الحدّ الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان ، وعلي يريد تأخير ذلك حتى يستتب الأمر حتى قضى الله أمرًا كان مفعولاً.
وقد أشار إلى نحو ما ذكرنا الإمام ابن العربي في «العواصم» .

عَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ قَالَ : أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ ، فَقَالَتْ : عَلَيْكَ بِابْنِ أَبِى طَالِبٍ فَسَلْهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُسَافِرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ ، فَقَالَ : جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ .

وفي رواية قالت : ائْتِ عَلِيًّا فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنِّى(١).

وعدم تسميتها لعلي رضي الله عنه وهو يحمل رسول الله ﷺ في مرضه مع العباس(٢) ليس فيها أنه كان بينها وبينه شيء

ولو ثبت شيء في نفسها – جدلاً – فليس فيه قدح فيها ولا فيه .

وإلا فأنا أجزم بأن قول ابن عباس عن سبب عدم تسميتها للرجل الآخر الذي كان يحمل النبي ﷺ قال ابن عباس : «ولكن عائشة لا تطيب لها نفسًا بخير» غير ثابت(٣) وقد قدمت تحقيق المسألة .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٦) .

قال النووي : فِي هَذَا الْحَدِيث مِنْ الأَدَب مَا قَالَهُ الْعُلَمَاء : إِنَّهُ يُسْتَحَبّ لِلْمُحَدِّثِ وَلِلْمُعَلِّمِ وَالْمُفْتِي إِذَا طُلِبَ مِنْهُ مَا يَعْلَمهُ عِنْد أَجَل مِنْهُ أَنْ يُرْشِد إِلَيْهِ ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفهُ قَالَ اِسْأَلْ عَنْهُ فُلانًا .

(٢) كما في رواية صحيح مسلم (٤١٨) في حديثها عن الرجلين الذين كان النبي ﷺ يستند عليهما أثناء مرضه فذكرت العباس ولم تذكر الآخر .

(٣) وردت زيادة في هذا الحديث :

رواها عبد الرزاق في «المصنف» (٩٧٥٤) ، وعنه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٢٨) عن معمر عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة أخبرته قالت : أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له قالت : فخرج ويد له على =

=

الفضل بن عباس ويد أخرى على يد رجل آخر وهو يخط برجليه في الأرض ، فقال عبيد الله : فحدثت به ابن عباس فقال : أتدري من الرجل الذي لم تسمّ عائشة ؟ هو علي بن أبي طالب ولكن عائشة لا تطيب له نفسًا بخير .

فتعلق بهذا الروافض قالوا – قبحهم الله –: كان بين عائشة بأنه كان بين عائشة وعلي عدم صفاء وعداوة وهذا هو الذي حملها على أن تخرج يوم الجمل ، ولم تكن أرادت الصلح أو الخير.

وهذا وهم منهم

فإن لفظة : «ولكن عائشة ... الخ» لا متعلق لهم بها.

فإنها غير ثابتة عن ابن عباس من ناحية السند ، وإن كانت على شرط الصحيح .

فقد رواها عبدالرزاق – من رواية القطيعي عنه – أحمد (٦/ ٣٤) عن عبد الأعلى، كلاهما (عبدالرزاق – في وجه عنه – وعبد الأعلى) عن معمر به بذكر اللفظ المذكور .

لكن رواه محمد بن رافع، وعبد بن حميد عند مسلم في «صحيحه» (٤١٨) كلاهما عن عبد الرزاق عن معمر به ، ولم يذكرا هذه اللفظة ، فالمحفوظ عن عبد الرزاق بدون إثبات قول ابن عباس .

وخالفهما هشام بن يوسف عند البخاري (٢٥٨٨) ، وابن المبارك – في الوجه المحفوظ عنه – عند النسائي (٧٠٨١) ، والبخاري (٥٧١٤) ، وابن سعد في «طبقاته» (٢/ ١٧٩) كلاهما (ابن المبارك وهشام بن يوسف) عن معمر وعند ابن سعد قرن يونس بمعمر كذا رواه معمر ويونس عن الزهري به ، ولم يذكرا قول ابن عباس .

وأثبت أصحاب معمر هشام وابن المبارك ، كما جزم العلماء بذلك .

وقد رواه عن الزهري – شيخ معمر – جماعة آخرون ، ولم يذكروا في روايتهم قول ابن عباس : «ولكن عائشة لم تطيب لها نفسًا .... الخ»

عقيل بن خالد عند البخاري (٤٤٤٢) ، ومسلم (٤١٨) ، وشعيب بن أبي حمزة عند البخاري (١٩٨) ، ومحمد بن إسحاق – في الراجح عنه – عند أبي يعلى (٤٥٦١) .

كل هؤلاء (عقيل وشعيب وابن إسحاق) لم يذكروا في روايتهم عن الزهري قول ابن عباس ، وانظر «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ١٧٨-١٧٩)

=

=

ومحصل الكلام:
أن أكثر الرواة رووا الحديث عن الزهري به ، ولم يذكروا قول ابن عباس «ولكن عائشة ..... الخ» وحتى من رويت عنه على الوجه الذي فيه اللفظ المذكور ؛ فإن الراجح المحفوظ عنه رواية من لم يذكرها .
وإن ثبت عن ابن عباس في «الصحيح» أنه جزم بأن الذي لم تذكره عائشة هو علي بن أبي طالب ، لكن لم يثبت أنه قال : إن عائشة لم تذكره لأنها «لم تطب له نفسًا بخير» ؛ فالحكم عليها بالإعلال أقوى . والله أعلم .
وقد وقع الاختلاف في اسم الذي كان يتكئ عليه النبي ﷺ
فقد وقع في رواية مسلم عن عائشة «فخرج بين الفضل بن العباس ورجل» ، وفي أخرى «رجلين أحدهما أسامة» ، وعند الدارقطني « أسامة والعباس» ، وعند ابن حبان « بريرة ونوبة» واختلف هل هو عبد أم أَمَة ؟ ؛ فجزم سيف في «الفتوح» بأنه عبد ، وعند ابن سعد من وجه آخر «الفضل وثوبان»
وقد أشار إلى هذا الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٧٦) ومن قبله النووي، وقال في «شرح مسلم» (٢/ ٣٧٨) : وطريق الجمع بين هذا كله أنهم كانوا يتناوبون الأخذ بيده الكريمة ﷺ تارة هذا وتارة ذاك وذاك، ويتنافسون في ذلك ... .
وكان العباس رضي الله عنه أكثرهم ملازمة للأخذ بيده الكريمة المباركة ﷺ، أو أنه أدام الأخذ بيده ، وإنما يتناوب الباقون في اليد الأخرى ، وأكرموا العباس باختصاصه بيد واستمرارها له لما له من السن والعمومة وغيرهما ، ولهذا ذكرته عائشة رضي الله عنها مُسَمًّى وأبهمت الرجل الآخر إذ لم يكن أحد الثلاثة الباقين ملازما في جميع الطريق، ولا معظمه بخلاف العباس. والله أعلم. أ.هـ.
وقد أراد الحافظ إعلال هذه الرواية وهي قول ابن عباس : «ولكن عائشة لم تطب ...» ، فبعد أن أورد الروايات .
قال في «الفتح» (٢/ ١٩٢) :
«لم يقف الكرماني على هذه الزيادة فعبَّر عنها بعبارة شنيعة وفي هذا ردَّ على من تنطَّع فقال : لا يجوز أن يظن ذلك بعائشة .

=

=

ورد على من زعم أنها أبهمت الثاني لكونه لم يتعين في جميع المسافة، إذ كان تارة يتوكأ على الفضل وتارة على أسامة وتارة على عليّ .

وفي جميع ذلك الرجل الآخر هو العباس واختص بذلك إكراما له

وهذا توهم ممن قاله والواقع خلافه؛ لأن ابن عباس في جميع الروايات الصحيحة جازم بأن المبهم عليّ فهو المعتمد»

قلت «**محمد**» : أما رواية عبد الرزاق بقول ابن عباس فقد تقدم الكلام عليها وبيان أنها غير ثابتة، وأما رواية ابن إسحاق في – الوجه الذي فيه قول ابن عباس – فهي منكرة والطريق إليها غير ثابت من ناحية السند

فقد أخرجها الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٢٦) من طريق على بن مجاهد وسلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن الزهري به، وشيخ الطبري هو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف ، فلا تعتمد هذه الرواية فهي غير ثابتة عن ابن إسحاق ، وتقدم أن المحفوظ عن ابن إسحاق الرواية بدون ذكر قول ابن عباس «ولكن عائشة لم تطب ...» .

وأما قول الكرماني رحمه الله «وفي جميع ذلك الرجل ...» إلى أن قال : «لأن ابن عباس في جميع الروايات الصحيحة جزم بأن المبهم علي رضي الله عنه» فهو المعتمد

لكن ليس فيه أن عائشة ما ذكرته لأنها لم ترد به خيراً

وإنما الذي فيه أن الذي لم تذكره عائشة هو علي ؛ فما الدليل على أنها لم تذكره لهذه العلة التي ذكرها وهي أنها لم ترد به خيراً ، أو تحقيرًا له ، أو أنه كان بينها وبينه عداوة .

وفي عمدة القاري قال الكرماني : لم ما سَمَّته ؟

ثم قال : «ما سمته تحقيراً أو عداوةً حاشاها من ذلك» .

قال الحافظ في «الفتح» (٢/ ١٩٣) :

ودعوى وجود العباس في كل مرة والذي يتبدل غيره مردودة بدليل رواية عاصم التي قدمت الإشارة إليها ، وغيرها صريح في أن العباس لم يكن في مرة ولا في مرتين منها .

قلت :

=

=

وقد ساق هو – رحمه الله – الخلاف في الذي كان يتوكأ النبي ﷺ عليه، فرواية «فخرج بين الفضل بن عباس ورجل آخر» ، ورواية «رجلين أحدهما أسامة» ليس فيها تعيين غير العباس ، أما رواية الدارقطني «أسامة والفضل» ؛ فلم أقف عليها عند الدارقطني، ولكن أوردها السهيلي في «الروض الأنف» (٤/ ٤٣٢) ثم قال : وفي مراسيل الحسن البصري أن رسول الله ﷺ مرض عشرة أيام وصلى أبو بكر بالناس تسعة أيام منها ، ثم خرج رسول الله في اليوم العاشر منها يهادي بين رجلين أسامة والفضل بن عباس حتى صلى خلف أبي بكر. رواه الدارقطني .

أما رواية عاصم التي أُشير إليها؛ فهي عند ابن حبان (٢١١٨) من طريق عاصم عن شقيق عن مسروق عن عائشة في ذكر القصة .

وفيها «... ثم إن رسول الله ﷺ وجد خِفَّة من نفسه فخرج بين بريرة ونوبة» وهو نوبة بن بنت أمية بن عبد شمس مولى رسول الله ﷺ ، واختلف هل هو عبد أو أمة ، وإسناده حسن لأجل عاصم بن أبي النجود الكوفي ، فإنه حسن الحديث .

ولكن أخرج بن خزيمة (١٦٢٤) من طريق نعيم بن أبي هند عن نبيط بن شريط عن سالم بن عبيد الله به، وفيه «جيئوني بإنسان أعتمد عليه فجاؤوا ببريرة و رجل آخر فاعتمد عليهما ثم خرج إلى الصلاة» وإسناده صحيح .

ورواية الترمذي في «الشمائل» (٣٧٨) ، وابن ماجة (١٢٩٢) في باب ما جاء في صلاة رسول الله ﷺ في مرضه من نفس طريق ابن خزيمة «انظروا لي من أتكئ عليه فجاءت بريرة ورجل آخر فاتكأ عليهما . . .» الحديث .

وهذا يمكن أن يحمل على أن الرجل الآخر هو العباس أو أن العباس تخلفَّ تلك المرة .

والعزو الذي لرواية ابن سعد بأن فيه الفضل وثوبان ؛ الذي وقفت عليه عنده (٢/ ١٧٩) «بين ابن عباس ، – تعني الفضل – وبين رجل آخر» وفيها أنَّ ابنَ عباس قال هو عليّ .

قال الحافظ (٨/ ١٧٦) :

جمعوا بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها بأن خروجه تعدد فيتعدد من اتكأ عليه وهو أولى من قول من قال تناوبوا في صلاة واحدة .

=

ولأن عليًّا هلكت فيه طائفة غالت في مدحه فجعلته إلهًا، وطائفة غالت في ذمة .

أما أهل الاعتدال أصحاب رسول الله ﷺ فلم يقدح فيه منهم أحدًا

فأخرج مسلم من حديث عَنْ أَبِى حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : اسْتُعْمِلَ عَلَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنْ آلِ مَرْوَانَ ، قَالَ : فَدَعَا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ فَأَمَرَهُ أَنْ يَشْتِمَ عَلِيًّا ، قَالَ : فَأَبَى سَهْلٌ ، فَقَالَ لَهُ : أَمَّا إِذْ أَبَيْتَ فَقُلْ لَعَنَ اللَّهُ أَبَا التُّرَابِ ، فَقَالَ

=

وقال (٢/ ١٩٠) :

وقع في رواية عاصم المذكورة «فوجد خفة من نفسه فخرج بين بريرة ونوبة» ويجمع كما قال النووي: بأنه خرج من البيت إلى المسجد بين هذين ومن ثم إلى مقام الصلاة بين العباس وعلى ، أو يحمل على التعدُّد ويدل عليه ما في رواية الدارقطني أنه خرج بين أسامة بن زيد والفضل بن العباس .

وأما ما في رواية مسلم أنه خرج بين الفضل بن العباس وعلى فذاك في حال مجيئه إلى بيت عائشة أ.هـ

والمقصود أن كلام النووي السالف في «شرح مسلم» (٢/ ٣٧٨) كلام متجه إن صح الخبر، ولا ينتقص لكون العباس قد تخلَّف عن رسول الله ﷺ في حمله مرة .

هذا إن صح الخبر، وإلا فإن قول ابن عباس «ولكن عائشة لم تطب له بخير» غير ثابت ولكن ثبت أن الرجل الذي لم تذكره عائشة هو علي بن أبي طالب رضي الله عنهما كما جزم به ابن عباس في رواية الصحيح .

ولو فرضنا – جدلاً– صحة الرواية وأنها كان في قلبها عدم محبة لعلي؛ فالقلوب بيد الله والإنسان غير مُكلَّف بمحبة فلان ما دام لم يبغضه لأجل نصرة الدين، وعلى فرض عدم المحبة فلا دليل على أنها خرجت يوم الجمل لأجل ذلك حاشاها بل لا يُظن ذلك بمن هي دونها بمراحل ، فكيف بالمُبرَّأة من فوق سبع سموات زوجة الطيب المطيب ﷺ، والطيبون للطيبات .

سَهْلٌ : مَا كَانَ لِعَلِيٍّ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَبِي التُّرَابِ وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ إِذَا دُعِيَ بِهَا ، فَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنَا عَنْ قِصَّتِهِ لِمَ سُمِّيَ أَبَا تُرَابٍ ، قَالَ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ فَقَالَ : **«أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ»** ، فَقَالَتْ : كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لإِنْسَان : **«انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟»** ، فَجَاءَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ فَأَصَابَهُ تُرَابٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ : **«قُمْ أَبَا التُّرَابِ قُمْ أَبَا التُّرَابِ»**[1].

عليٌّ رضي الله عنه قتل شهيدًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ»**[2].

وقد رفض عليّ رضي الله عنه ضلال الروافض وكذبهم – أخزاهم الله – من أن النبي ﷺ أوصى إليه

فَعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ رضي الله عنه فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : فَغَضِبَ وَقَالَ : مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٤١) ، ومسلم (٢٤٠٩) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٤١٧) .

يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسَ غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ ، قَالَ : فَقَالَ : مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : قَالَ : «**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ**»(١) .

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ :

فِيهِ إِبْطَال مَا تَزْعُمهُ الرَّافِضَة وَالشِّيعَة وَالإِمَامِيَّة مِنْ الْوَصِيَّة إِلَى عَلِيّ وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ اِخْتِرَاعَاتهم(٢) .

ويا ويح من قتل عليًا والحسين أو ولده رضي الله عنهما

لما نزل قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾ [آل عمران : ٦١] .

دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ «**اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي**»(٣) .

وفي صحيح مسلم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»(٤) .

وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لعلي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٩٧٨) .

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٧/ ١٥٧) .

(٣) كما في صحيح مسلم (٢٤٠٤) .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٤٠٨) .

«أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ»(١).

وإذا كان النبي ﷺ قد قال : **«مَنْ سَبَّ عَلِيًّا، فَقَدْ سَبَّنِي»**(٢).

وقال : **«مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي»**(٣).

فكيف بمن قتله نعوذ بالله من عمي البصيرة والقلب وخفَّة العقل وهذيانه؟!

ثم كيف بمن مدح قاتله كعمران بن حطان؟!

فعن سعيد بن وهب قال : نشد على الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال : **«مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ»**(٤).

وخذ هذا الحديث في مدح علي رضي الله عنه وتبرئته وبيان طهارة قلوب الصحابة كيف أثر كلام النبي ﷺ في قلوبهم فينتقل في لحظة من بغض علي إلى حبه

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٢٥١) .

(٢) ففي سنن النسائي (٥/ ١٣٣) بإسناد صحيح عن أبي عبد الله الجدلي قال : دخلت على أم سلمة ، فقالت لي : أيسب رسول الله ﷺ فيكم ؟ قلت : سبحان الله – أو معاذ الله – قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«مَنْ سَبَّ عَلِيًّا، فَقَدْ سَبَّنِي»** .

(٣) فقد أخرج أبو يعلى وأحمد في «الفضائل» (١٠٧٨) بإسنادٍ حسن عن سعد بن أبي وقاص قال : كنت جالسًا في المسجد أنا ورجلين معي فنلنا من علي رضي الله عنه ، فأقبل رسول الله ﷺ غضبان يعرَف في وجهه الغضب فتعوَّذت بالله من غضبه فقال : **«ما لكم وما لي ؟ من آذى عليا فقد آذاني»** .

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٦) وهو صحيح عن سعيد بن وهب .

رضي الله عنهم أجمعين لقول سمعه من رسول الله ﷺ

أخرج الإمام أحمد[١] بإسنادٍ حسن من حديث بريدة رضي الله عنه قال : أَبْغَضْتُ عَلِيًّا بُغْضًا لَمْ يُبْغَضْهُ أَحَدٌ قَطُّ ، قَالَ : وَأَحْبَبْتُ رَجُلاً مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ أُحِبَّهُ إِلا عَلَى بُغْضِهِ عَلِيًّا ، قَالَ : فَبُعِثَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى خَيْلٍ ، فَصَحِبْتُهُ مَا أَصْحَبُهُ إِلا عَلَى بُغْضِهِ عَلِيًّا ، قَالَ : فَأَصَبْنَا سَبْيًا ، قَالَ : فَكَتَبَ إِلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ : ابْعَثْ إِلَيْنَا مَنْ يُخَمِّسُهُ ، قَالَ : فَبَعَثَ إِلَيْنَا عَلِيًّا وَفِي السَّبْيِ وَصِيفَةٌ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ السَّبْيِ فَخَمَّسَ وَقَسَمَ ، فَخَرَجَ رَأْسُهُ مُغَطًّى ، فَقُلْنَا : يَا أَبَا الْحَسَنِ مَا هَذَا ؟ قَالَ : أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْوَصِيفَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي السَّبْيِ ؟ فَإِنِّي قَسَمْتُ وَخَمَّسْتُ فَصَارَتْ فِي الْخُمُسِ ، ثُمَّ صَارَتْ فِي أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ صَارَتْ فِي آلِ عَلِيٍّ ، وَوَقَعْتُ بِهَا ، قَالَ : فَكَتَبَ الرَّجُلُ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : ابْعَثْنِي – فَبَعَثَنِي مُصَدِّقًا قَالَ : فَجَعَلْتُ أَقْرَأُ الْكِتَابَ وَأَقُولُ : صَدَقَ ، قَالَ : فَأَمْسَكَ يَدِي وَالْكِتَابَ وَقَالَ : **«أَتُبْغِضُ عَلِيًّا ؟»** قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ،قَالَ : **«فَلا تَبْغَضْهُ ، وَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّهُ فَازْدَدْ لَهُ حُبًّا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَنَصِيبُ آلِ عَلِيٍّ فِي الْخُمُسِ أَفْضَلُ مِنْ وَصِيفَةٍ»** قَالَ : فَمَا كَانَ مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ بَعْدَ قَوْلِ رَسُولِ

(١) في «المسند» (٥/ ٣٥٠ – ٣٥١) وله طرق أخرى أشار إليها الحافظ في «الفتح» (٨/ ٨٣) وقال بعدها : وهذه طرق يقوى بعضها بعضًا وفي صحيح البخاري (٤٣٥٠) من حديث بريدة بنحو القصة مختصرًا .

اللَّهِ ﷺ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَلِيٍّ[(١)].

وقد حكى الحافظ في «الفتح» : عن أَبِي ذَرّ الْهَرَوِيُّ قَالَ : إِنَّمَا أَبْغَض الصَّحَابِيّ عَلِيًّا لأَنَّهُ رَآهُ أَخَذَ مِنْ الْمَغْنَم ، فَظَنَّ أَنَّهُ غَلَّ ، فَلَمَّا أَعْلَمَهُ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ أَخَذَ أَقَلّ مِنْ حَقّه أَحَبَّهُ.

وتعقبه الحافظ فقال :

وَهُوَ تَأْوِيل حَسَن ، لَكِنْ يُبْعِدهُ صَدْر الْحَدِيث الَّذِي أَخْرَجَهُ أَحْمَد [(٢)] فَلَعَلَّ سَبَب الْبُغْض كَانَ لِمَعْنًى آخَر وَزَالَ بِنَهْيِ النَّبِيّ ﷺ لَهُمْ عَنْ بُغْضه أ .هـ[(٣)].

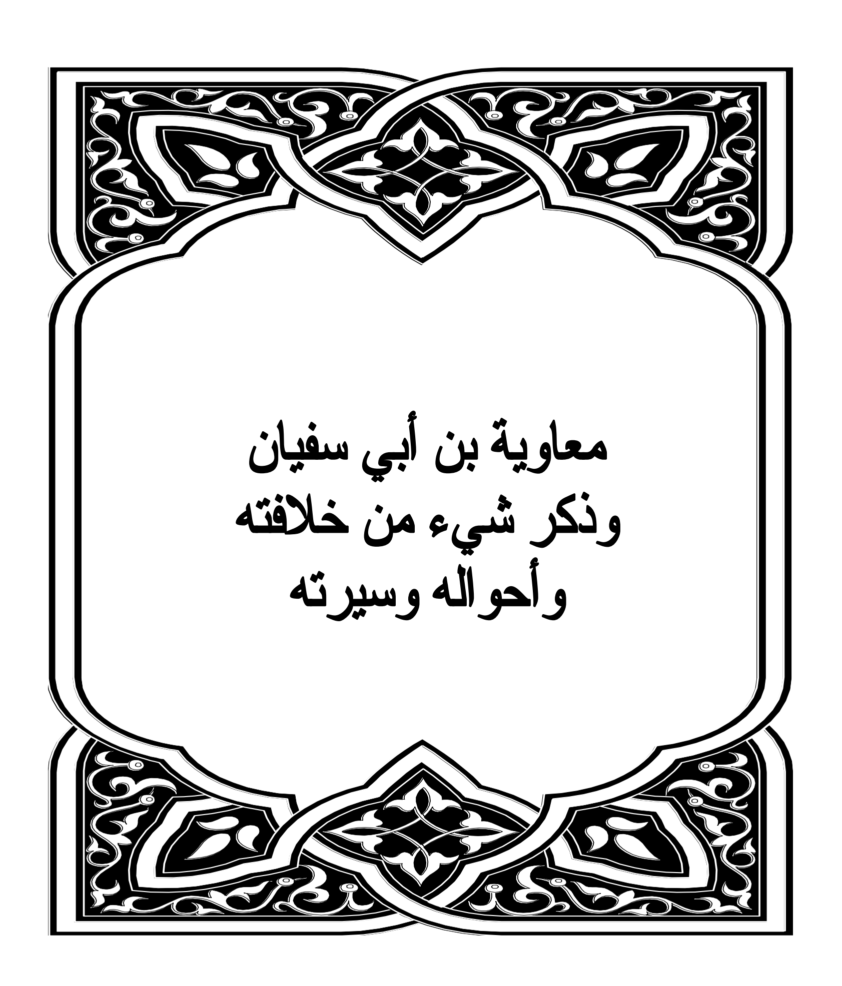
قلت : وهو كلام رايق متَّزن .

---

(١) وقد أجبت عما يستشكل في هذا المتن من وقوع علي على الجارية بغير استبراء في كتابي «تبصير النساء» قسم الجهاد من طبعته الثالثة يسر الله إخراجها .

(٢) أي: لم أحبه إلا على بغضه لعليّ .

(٣) «فتح الباري» (٨/ ٨٣) .



معاوية بن أبي سفيان
وذكر شيء من خلافته
وأحواله وسيرته

ذكر فضائل معاوية رضي الله عنه

معاوية كاتب الوحي لرسول الله ﷺ

أخرج أحمد[(١)] بإسنادٍ حسن عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ : كُنْتُ غُلامًا أَسْعَى مَعَ الصِّبْيَانِ ، قَالَ : فَالْتَفَتُّ فَإِذَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ خَلْفِي مُقْبِلاً فَقُلْتُ : مَا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إلا إِلَيَّ ، قَالَ : فَسَعَيْتُ حَتَّى أَخْتَبِئَ وَرَاءَ بَابِ دَارٍ ، قَالَ : فَلَمْ أَشْعُرْ حَتَّى

(١) في «المسند» (١/ ٢٩١ / ٣٣٥) من طريقين عن أبي عوانة قال : أخبرنا أبو حمزة قال : سمعت ابن عباس فذكره .

وقد أورد له الذهبي في «السير» (٣/ ١٢٣) طرقًا رجالها ثقات عن عبد الله بن عمر وقال : كان معاوية كاتب الوحي لرسول الله ﷺ .

وقد روى الحديث مسلم (٢٦٠٤) من طريق شعبة عن أبي حمزة القصاب به، لكنه لم يذكر فيه أنه كان يكتب .

وقد حكى الحافظ في «البداية» (٨/ ٢٦٦) عن ابن عساكر قال :

«أصح ما روي في فضل معاوية حديث أبي حمزة عن ابن عباس ، أنه كان كاتب الوحي منذ أسلم».

وقد ورد في حديث أن النبي ﷺ قال : «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا وَاهْدِ بِهِ» .

أخرجه الترمذي (٣٨٤٢) وغيره وقد قواه ابن كثير في «البداية» (٨/ ٢٩٦) وغيره، وذكر له طرقًا كثيرة، وإن كان احتمال التقوية وارد ، وقد قوى الحديث وقبله جماعة من العلماء كالجوزقاني، وابن حجر الهيثمي فقد قال : «حديث حسن» ، وقال الذهبي في «تلخيص العلل» ص(٢٢٥): «سند قوي»، وغير هؤلاء قد قواه .

وأما من قال من أهل العلم بأنه لا يصح حديث في فضل معاوية؛ فقول فيه نظر يُرَدّ عليه بالأحاديث الثابتة التي سنوردها وثم آثار ثابتة، ثم إن هذا القول وارد عن اسحاق بن راهويه ، وفي صحة نسبة هذا القول له نظر ، ثم إنه مُتَعَقَّب بقول غيره ، واحتمال التقوية غير بعيد كما قلت، والحديث يحتاج أن يفرد في رسالة مستقلة وفق الله الجميع لما يحبه ويرضى .

تَنَاوَلَنِي ، قَالَ : فَأَخَذَ بِقَفَايَ فَحَطَأَنِي حَطْأَةً ، قَالَ : «**اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ**» وَكَانَ كَاتِبَهُ... الحديث.

وكفى شرفًا أن معاوية رضي الله عنه كان مؤتمن للكتابة للنبي الأمي ﷺ الذي لا يقرأ ولا يكتب وهذه تزكية من النبي ﷺ لمعاوية رضي الله عنه

وفي صحيح مسلم من حديث ابْن عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ الْمُسْلِمُونَ لاَ يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِى سُفْيَانَ وَلاَ يُقَاعِدُونَهُ ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! ثَلاَثٌ أَعْطِنِيهِنَّ ، قَالَ : «**نَعَمْ**» ، قَالَ : عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِى سُفْيَانَ أُزَوِّجُكَهَا ، قَالَ : «**نَعَمْ**» [1]، قَالَ : وَمُعَاوِيَةُ تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ ، قَالَ : «**نَعَمْ**»، قَالَ : وَتُؤَمِّرُنِي حَتَّى أُقَاتِلَ الْكُفَّارَ كَمَا كُنْتُ أُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : «**نَعَمْ**»[2].

فيقال لشيعة الضلال :

أخطأ النبي ﷺ ووهم لأنه وسَّد هذه الأمور إلى غير أهلها أم ماذا ؟!

وأما ما يذكر من قيام أمير المؤمنين لما دخل عليه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ووثب إليه عمر وضربه بالدِّرَّة ومعاوية يقول : الله الله يا أمير المؤمنين،

---

(١) وكذلك كان يقال عن معاوية خال المؤمنين ذلك أن معاوية شقيق أم المؤمنين رملة أم حبيبة رضي الله عنها .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٠١) وأجبت على إشكال يتعلَّق بسنده في كتابي«شفاء صدور الموحدين» .

فيم فيم ؟ فلم يكلمه حتى رجع فجلس في مجلسه ، فقال له القوم : لم ضربت الفتى يا أمير المؤمنين ما في قومك مثله ؟ فقال : والله ما رأيت إلا خيرًا وما بلغني إلا خيرًا ولكني رأيته وأشار بيده إلى أعلى فأردت أن أضع منه .

فإسناد هذا لا يصح والمتن منكر.

أخرجه ابن سعد في «الجزء المتمم للطبقات» (٣٨/١٠) وابن عساكر في «تاريخه» (٥٩/ ١١٥) وعزاه له الحافظ في «الإصابة في ترجمة معاوية رضي الله عنه».

من طريق يحيى بن سعيد الأموي قال : دخل معاوية رضي الله عنه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ... فذكره .

ويحيى بن سعيد لم يسمع من عمر رضي الله عنه .

ثم قولهم : ما في قومك مثله بعيد أن يقولوا هذا ، وفي القوم مثل عثمان وعلي وطلحة وابن عمر وشيوخ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين ورد في فضلهم أكثر مما ورد في فضل معاوية بكثير ، بل الجميع يعلمون أن فضائل مثل هؤلاء أكثر فتنبه .

وكيف ينبغي لعمر رضي الله عنه أن يعاقب أو يُعذِّر أحدًا برؤية يراها هي في قلب المؤمن قد يخالفه فيها غيره ، أيحاسب عمر على ما في القلب وهو القائل: «نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا» كما في صحيح البخاري (٢٦٤١)، وهي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) في حديث كعب بن مالك، حيث استغفر للمنافقين ووكل سرائرهم إلى الله.

وهذه كفارة ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه

أخرج مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ ، فَجَاءَ رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ ، قَالَ : فَجَاءَ فَحَطَأَنِي حَطْأَةً وَقَالَ : **«اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ»**، قَالَ : فَجِئْتُ ، فَقُلْتُ : هُوَ يَأْكُلُ ، قَالَ : ثُمَّ قَالَ لِيَ : **«اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ»** ، قَالَ : فَجِئْتُ ، فَقُلْتُ : هُوَ يَأْكُلُ ، فَقَالَ : **«لاَ أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَه»**(١).

فهذه سُبَّة لمعاوية رضي الله عنه، ولكن في حديث أبي هريرة رضي الله عنه :

قال رسول الله ﷺ : **«اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً»**(٢).

ففي رواية عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ : **«أَوَمَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّى ؟»** قُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا»(٣).

وفي حديث أنس مرفوعًا : **«فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ تَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**(٤).

ففي هذا الحديث تقييد المدعو عليه بأن يكون ليس لذلك بأهل(٥).

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٠٤)، وراجع لزامًا ما بوب به النووي له.

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٠١) وهو في صحيح البخاري (٦٣٦١) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٠٠) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٠٣) .

(٥) «فتح الباري» (١١/ ٢٠٠) .

فلشيعة الضلال هل استجاب الله لدعوة نبيكم ؟![1] **أم هو عمي البصيرة والتعصب الأعمى الممقوت الذي يحملكم على سب معاوية** رضي الله عنه

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم **يحب أن يُعزَّ الله معاوية وأهل بيته فأعزهم الله وهذا واضح، وهل هذا إلا محبة لهم؟ ولماذا يحبهم** صلى الله عليه وسلم**؟ وهل حقق الله له ذلك؟**

ففي حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : جَاءَتْ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ خِبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ ، ثُمَّ مَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ ، قَالَ : **«وَأَيْضًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»** ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مِسِّيكٌ... الحديث[2].

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يعز الله أهل أبي سفيان والذين منهم معاوية .

والروافض يريدون التقبيح لمعاوية ووالده وأهله ويلصقون بهم الكذب.

وكان معاوية جيد السيرة، حَسن التجاوز، جميل العفو، كثير الستر رضي الله عنه[3]

فعن معاوية رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«إنك إن تتبّعتَ عورات الناس أفسدتَهم ، أو كِدتَ أن تُفسدَهم»** ، قال أبو الدرداء : كلمةٌ سَمِعَها

---

(١) وقال الحافظ في «البداية» (٨/ ٢٩٣) : «ركب مسلم من الحديث الأول – لا أشبع الله بطنه – وهذا الحديث «فأيما عبد سببته أو جلدته – فضيلة لمعاوية» أ .هـ

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٨٢٥) باب ذكر هند بنت عتبة رضي الله عنها .

(٣) ذكر نحوه ابن كثير في «تاريخه» (٨/ ٣٠١) تفسيرًا لقول أبي الدرداء .

معاويةُ نفعَهُ الله بها[(١)].

ولئن كان النبي ﷺ مدح الحسن ونعته بالسيادة لكونه تنازل عن الخلافة لمعاوية في قوله : «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّد ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»[(٢)] وقد تنازل بالخلافة لمعاوية .

* فلو فرض أن معاوية رضي الله عنه لم يكن لذلك أهل؛ فكيف يمدح النبي ﷺ سيد شباب أهل الجنة لتضيع الأمة بتنازله عن الخلافة لمن لم يكن لذلك أهلاً ؟

وكأن النبي ﷺ قد رضي عن خلافة معاوية بعد تنازل الحسن له بالخلافة كما سيأتي .

وقد نعت ﷺ الغزاة في زمن معاوية – وكانوا تحت إمرته بالملوك على الأسرة ولا شك إذا كان هذا حال الغزاة ، فكيف بأميرهم وموجههم

ففي الصحيحين من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ ، فَتُطْعِمُهُ ، وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَأَطْعَمَتْهُ ، ثُمَّ جَلَسَتْ تَفْلِي

---

(١) **صحيح** : أخرجه أبو داود (٤٨٨٨) بإسنادٍ صحيح .

وقد قال أبو الدرداء لأهل الشام : «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ بِصَلاةِ رَسُول اللَّه ﷺ مِنْ إِمَامِكُمْ هَذَا» يعني معاوية .

أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٩/ ٣٧٠) من طريق عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن أبي الدرداء، وعزاه شيخ الإسلام في «المنهاج» (٦/ ١١٨) للبغوي في «معجمه»، وابن بطة، ثم قال: «فهذه شهادة الصحابة بفقهه ودينه والشاهد بالفقه ابن عباس وبحسن الصلاة» .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٧٠٤) .

رَأْسَهُ[١] ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : **«نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ»** يَشُكُّ أَيَّهُمَا قَالَ قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَدَعَا لَهَا ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : **«نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ»** كَمَا قَالَ فِي الأُولَى ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ : **«أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ»** ، فَرَكِبَتْ أُمُّ حَرَامٍ بِنْتُ مِلْحَانَ الْبَحْرَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ[٢].

ومعاوية أمير الغزاة المغفور لهم الذين قد وجبت لهم الجنة

ففي حديث أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : **«أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا»** ، قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا فِيهِمْ ، قَالَ : **«أَنْتِ فِيهِمْ»** ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **«أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ[٣] مَغْفُورٌ لَهُمْ»**[٤].

وقد كان معاوية أمير الجيش بالاتفاق سنة ٥٢ من الهجرة[٥].

---

(١) وقد ذكرت في كتابي «تبصير النساء» الرد على شبهة المحرمية بينهما فليراجعها من شاء .

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٩) ، ومسلم (١٩١٢) .

(٣) وهي القسطنطينية، وقد حاصرها معاوية رضي الله عنه بجيشه .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٢٩٢٤) .

(٥) حكاه الحافظ في «الفتح» (٦/ ١٢٩) ، وبنحوه في «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٣٠١) .

قال المهلب : في هذا الحديث منقبة لمعاوية ؛ لأنه أول من غزا البحر[١] .

ولا شك أن هذا من النبي ﷺ إقرار لهذه الخلافة التي كان عليها معاوية

وإذا كان ملك الإسلام وأمير المؤمنين يكيد للإسلام وأهله – كما يدعي الشيعة الروافض الخبثاء – فهل يمكن أن يحفظ الدين دين المسلمين في خلافته ؟!

---

(١) حكاه عنه الحافظ في «الفتح» .

احتجاجات معاوية في عدم مبايعته لعلي رضي الله عنه

وما الذي احتج معاوية – كاتب وحي رب العالمين وخال المؤمنين ملك الإسلام – في إصراره على عدم مبايعة عليّ ؟

والجواب :

ذكر أصحاب السير أن معاوية قال : لا أبايع عليًّا حتى يُسلِّمني قتلة عثمان فإنه قتل مظلومًا، وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا** ﴾ [الإسراء : ٣٣][(١)].

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ما زلت موقنًا أن معاوية سيلي الملك والسلطان من هذه الآية[(٢)].

وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عن معاوية :

«هو أول ملوك الإسلام وخيارهم»[(٣)].

وقد ورد عنه أنه قال : والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«يا معاوية إن ملكت فأحسن»** ، ولكن إسناده ضعيف[(٤)].

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ١٨٢) .

(٢) ولكن أخرجه الطبراني في « الكبير» (١٠/ ٣٢٠) رقم (١٠٦١٣) بنحوه ، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٣٦) : «فيه من لم أعرفه» .

(٣) «البداية والنهاية» (٨/ ١٨٣) .

(٤) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢٨٠٣) وفي إسناده إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر وهو ضعيف وأخرجه أحمد (٤/ ١٠١) ، والأسانيد بهذا الحديث كلها غير سالمة .
=

لكن له شاهد من حديث معاوية أنه أخذ الإداوة فتبع رسول الله ﷺ، فنظر إليه فقال له : «**يا معاوية إن وليت أمرًا فاتق الله واعدل**» قال : فما زلت أظن أني مبتلى بعمل لقول رسول الله ﷺ [(١)].

وأصح من هذا احتجاجه بأن الطائفة المنصورة عند ظهور الإسلام بالشام[(٢)]

فعن عُمَيْر بْنِ هَانِئٍ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «**لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**» ، قَالَ عُمَيْرٌ : فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ : قَالَ مُعَاذٌ : وَهُمْ بِالشَّامِ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ وَهُمْ بِالشَّامِ[(٣)].

قال الحافظ بن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ :

فحث بهذا أهل الشام على مناجزة أهل العراق، وإن أهل الشام هم الطائفة المنصورة على من خالفها، وهذا مما كان يحتج به معاوية لأهل الشام في قتالهم أهل العراق[(٤)].

=

وقد ساق الذهبي في «السير» (٣/ ١٣١) طرقًا بنحو الخبر ، وقال : «ضعيفة تحتمل» ، وإلى هذا أومأ البيهقي .

(١) أخرجه أبو يعلى (٧٣٨٠) وفي إسناده ضعف .

(٢) وهذا وارد في عدة أحاديث صحيحة منها ما ذكرناه .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٣٦٤١) .

(٤) «البداية والنهاية» (٨/ ٣٠١) .

والحاصل :

أن ما حصل من معاوية كان على سبيل الاجتهاد والرأي ، فجرى بينه وبين علي قتال عظيم كما قدمنا ، وكان الحق والصواب مع علي ، ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفًا وخلفًا، وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بالإسلام للفريقين من الطرفين – أهل العراق وأهل الشام –[(١)] بل لا أعلم مخالفاً لأهل السنة في ذلك.

وهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنه يشهد لمعاوية

فعَنْ مُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَصَّرَ مِنْ شَعَرِهِ بِمِشْقَصٍ ، فَقُلْنَا : لابْنِ عَبَّاسٍ مَا بَلَغَنَا هَذَا إِلا عَنْ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ : مَا كَانَ مُعَاوِيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَّهَمًا[(٢)].

وفي صحيح البخاري[(٣)] عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : أَوْتَرَ مُعَاوِيَةُ بَعْدَ الْعِشَاءِ بِرَكْعَةٍ[(٤)] وَعِنْدَهُ مَوْلًى لاِبْنِ عَبَّاسٍ ، فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ : دَعْهُ ، فَإِنَّهُ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .

---

(١) المصدر السالف، ويستدل له بقول رسول الله ﷺ : **«تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق»** أخرجه مسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٩٤) بإسناد حسن .

(٣) برقم (٣٧٦٤) .

(٤) أي: أن الأفضل أن يتقدم الركعة شفع وأقله ركعتان .

وهذا أبو موسى يشهد لمعاوية رضي الله عنه بالخيرية

ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : «سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ : اسْتَقْبَلَ وَاللَّهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الْجِبَالِ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : إِنِّي لأَرَى كَتَائِبَ لاَ تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : وَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ أَيْ عَمْرُو إِنْ قَتَلَ هَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ ، وَهَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ ، مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ...الحديث»(١).

وكونه صحب النبي ﷺ منقبة بدلالة قوله ﷺ : «**وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**» وقد تقدم وهو صحيح ثابت .

مع ذكر الأدلة الكثيرة العامة في ذكر فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، فمعاوية رضي الله عنه داخل فيها.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٠٤) وتمامة عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ ، فَقَالَ : اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَاعْرِضَا عَلَيْهِ وَقُولاَ لَهُ وَاطْلُبَا إِلَيْهِ ، فَأَتَيَاهُ فَدَخَلاَ عَلَيْهِ فَتَكَلَّمَا وَقَالاَ لَهُ فَطَلَبَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : إِنَّا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا الْمَالِ وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا ، قَالاَ : فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ ، قَالَ : فَمَنْ لِي بِهَذَا ، قَالاَ : نَحْنُ لَكَ بِهِ فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا إِلاَّ قَالاَ : نَحْنُ لَكَ بِهِ فَصَالَحَهُ فَقَالَ الْحَسَنُ ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً ، وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ : «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**» الله أكبر كم نفع العلم أهلَه .

وفي رواية : قال معاوية : إِنَّكُمْ لَتُصَلُّونَ صَلاَةً لَقَدْ صَحِبْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَمَا رَأَيْنَاهُ يُصَلِّيهَا ، وَلَقَدْ نَهَى عَنْهُمَا ، يَعْنِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ[١].

وقد صح عن ابن عباس أنه قال : ما رأيت رجلا كان أخلق للملك من معاوية[٢].

وهذا ابن سيرين يشهد لمعاوية

فقد أخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال : كَانَ مُعَاوِيَةُ لا يُتَّهَمُ فِي الْحَدِيثِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ[٣].

وكان معاوية رضي الله عنه وقافًا عند أحاديث رسول الله ﷺ متواضعًا رضي الله عنه

فأخرج أحمد بإسناد صحيح عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ أَنَّ مُعَاوِيَةَ دَخَلَ بَيْتًا فِيهِ ابْنُ عَامِرٍ وَابْنُ الزُّبَيْرِ فَقَامَ ابْنُ عَامِرٍ وَجَلَسَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : اجْلِسْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الْعِبَادُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْتًا فِي النَّارِ**»[٤].

ومن أقواله على المنبر مشيرًا إلى حسن ختام المرء ، والله أعلم

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٧٦٦) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٩٨٥) عن معمر عن همام بن منبه قال : سمعت ابن عباس ، وإسناده صحيح ، وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٣٢٧) من طريق هشام بن يوسف عن معمر به .

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٩٣) .

(٤) أخرجه بهذا السياق أحمد (٤/ ٩٣) ، والترمذي (٢٧٥٥) ، وفي رواية عند أحمد (٤/ ١٠٠) أنه خرج فقاموا له فقال... الحديث .

ما ورد عن أَبِي عَبْدِ رَبِّهِ قَالَ : سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : **«إِنَّ مَا بَقِيَ مِنْ الدُّنْيَا بَلاءٌ وَفِتْنَةٌ وَإِنَّمَا مَثَلُ عَمَلِ أَحَدِكُمْ كَمَثَلِ الْوِعَاءِ إِذَا طَابَ أَعْلاهُ طَابَ أَسْفَلُهُ وَإِذَا خَبُثَ أَعْلاهُ خَبُثَ أَسْفَلُهُ»**(١) .

ومن أقواله للمسور بن مخرمة : «... والله مع ذلك ما كنت لأخير بين الله وغيره إلا اخترت الله على ما سواه ، قال : ففكرت حين قال لي ما قال فوجدته قد خصمني ، قال حميد بن عبد الرحمن : فكان المسور إذا ذكره بعد ذلك دعا له بخير»(٢) .

وكان مع كونه خليفة يقوم يعلم الناس الوضوء عمليًا(٣)

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٩٤) بإسنادٍ حسن .

(٢) أخرج ذلك معمر (٢٠٧١٧مصنف) بإسناد صحيح عن عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُ وَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: سَلَّمْتُ عَلَيْهِ - ثُمَّ قَالَ: «مَا فَعَلَ طَعْنُكَ عَلَى الْأَئِمَّةِ يَا مِسْوَرُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ارْفُضْنَا مِنْ هَذَا، أَوْ أَحْسِنْ فِيمَا قَدِمْنَا لَهُ، قَالَ: «لَتُكَلِّمَنَّ بِذَاتِ نَفْسِكَ» قَالَ: فَلَمْ أَدَعْ شَيْئًا أَعِيبُهُ بِهِ إِلَّا أَخْبَرْتُهُ بِهِ، قَالَ: «لَا أَبْرَأُ مِنَ الذُّنُوبِ فَهَلْ لَكَ ذُنُوبٌ تَخَافُ أَنْ تَهْلَكَ إِنْ لَمْ يَغْفِرْهَا اللَّهُ لَكَ؟» ، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا يَجْعَلُكَ أَحَقَّ بِأَنْ تَرْجُوَ الْمَغْفِرَةَ مِنِّي، فَوَاللَّهِ لَمَا أَلِي مِنَ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْأُمُورِ الْعِظَامِ الَّتِي تُحْصِيهَا أَكْثَرُ مِمَّا تَلِي، وَإِنِّي لَعَلَى دِينٍ يَقْبَلُ اللَّهُ فِيهِ الْحَسَنَاتِ، وَيَعْفُو فِيهِ عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَاللَّهِ مَعَ ذَلِكَ مَا كُنْتُ لِأُخَيَّرَ بَيْنَ اللَّهِ وَغَيْرِهِ، إِلَّا اخْتَرْتُ اللَّهَ عَلَى مَا سِوَاهُ» قَالَ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ لِي مَا قَالَ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ خَصَمَنِي، فَكَانَ إِذَا ذَكَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ.

(٣) كما في مسند أحمد (٤/ ٩٥) بإسنادٍ يتقوى بغيره .

وفي مسند أحمد (٣/ ٤٤٤) بإسناده قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ أَنْ عَلِّمِ النَّاسَ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَمَعَهُمْ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«**تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، فَإِذَا عَلِمْتُمُوهُ، فَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ** ».

وقد خرجته في غير وكل من روى عن النبي ﷺ أو صحب معاوية أو لقيه لم يتهمه منهم أحد.

فهذه سيرة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ،فلْيُنظر في سير شانئه من الشيعة الذين ما قام للإسلام عدوًّا من غيرهم إلا كانوا معه على المسلمين؟

وقد قال شيخ الإسلام بعد ذكر فضائل معاوية ومناقبه وحسن سيرته في أيامه :

فلم يكن من ملوك المسلمين ملك خير من معاوية، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيرًا منهم في زمن معاوية إذا نسبت أيامه إلى أيام من بعده، وأما إذا نسبت إلى أيام أبي بكر وعمر ظهر التفاضل[1].لعبد لرحمن بن شبل

وعلي بن أبي طالب لم يكفر طائفة معاوية رضي الله عنه ومن معه أو يسبهم ، فلم يرد عنه نحو من ذلك بإسناد صحيح

وقد أخرج ابن أبي شيبة وغيره بإسناد قوي لطرقه أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه سُئِلَ عَنْ أَهْلِ الْجَمَلِ، قَالَ : قِيلَ : أَمُشْرِكُونَ هُمْ ؟ قَالَ : مِنَ الشِّرْكِ فَرُّوا ، قِيلَ :

(١) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ١١٦) .

أَمُنَافِقُونَ هُمْ ؟ ، قَالَ : إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ، قِيلَ : فَمَا هُمْ؟، قَالَ: إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا [(١)].

وما علم أن أحدًا من الصحابة رضي الله عنهم حكم بردَّة الفريق الآخر أو لعنه أو سبه مع كونهم كانوا يقاتلونهم ، وكذلك الشأن في الخوارج الذين قاتلوهم وقد كانوا يرون تكفير أصحاب رسول الله ﷺ .

بل ورد من عدة طرق أن عليًّا رضي الله عنه لم يسب الذين قاتلوه يوم الجمل ، بل قال في شأنهم : «إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا» [(٢)].

والخلاصة[(٣)] أن معاوية كان أول ملوك المسلمين وهو خيرهم

لأن النبي ﷺ قال : «**خِلافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلاثُونَ سَنَةً ، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ مُلْكَهُ مَنْ**

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٥) ، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٩٣) فما بعدها وروي بألفاظ متقاربة .

وقد أخرج المروزي (٥٩١) وغيره هذا القول نفسه عن الذين قاتلهم يوم النهروان، وراجع مزيدًا في كتابنا «التوضيحات الجلية» .

قلت «**محمد**»: أما الخوارج فقد وقع الإجماع على عدم تكفيرهم .

قال الخطابي رحمه الله :

أَجْمَعَ عُلَمَاء الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ الْخَوَارِج مَعَ ضَلالَتهمْ فِرْقَة مِنْ فِرَق الْمُسْلِمِينَ ، وَأَجَازُوا مُنَاكَحَتهمْ وَأَكْل ذَبَائِحهمْ ، وَأَنَّهُمْ لا يُكَفَّرُونَ مَا دَامُوا مُتَمَسِّكِينَ بِأَصْلِ الإِسْلام .

حكاه عنه الحافظ في «الفتح» في شرح حديث (٦٩٣٣) فكيف بطائفة معاوية رضي الله عنه .

(٢) انظر «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٣٥) ط الكتب العلمية .

(٣) بتصرف من «شرح الطحاوية» ص (٤٧٩ - ٤٨٠) .

يَشَاءُ»[(١)].

وكَانت خلافةُ أبي بكرٍ سنتين وثلاثة أشهر ، وخلافة عمر عشر سنين ونصف ، وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة ، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ابنه ستة أشهر .

لكن إِنَّمَا صَارَ معاوية إِمَامًا حَقًّا لَمَّا فَوَّضَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنهما الْخِلافَةَ .

وَالْخِلافَةُ ثَبَتَتْ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بَعْدَ عُثْمَانَ رضي الله عنه ، بِمُبَايَعَةِ الصَّحَابَةِ ، سِوَى مُعَاوِيَةَ مَعَ أَهْلِ الشَّامِ .

وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، فَإِنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه لَمَّا قُتِلَ كَثُرَ الْكَذِبُ وَالافْتِرَاءُ عَلَى عُثْمَانَ وَعَلَى مَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ كَعَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، وَعَظُمَتِ الشُّبْهَةُ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْحَالَ ، وَقَوِيَتِ الشَّهْوَةُ فِي نُفُوسِ ذَوِي الأَهْوَاءِ وَالأَغْرَاضِ ، مِمَّنْ بَعُدَتْ دَارُهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَيَحْمِي اللَّهُ عُثْمَانَ أَنْ يَظُنَّ بِالأَكَابِرِ ظُنُونَ سُوءٍ ، وَيَبْلُغَهُ عَنْهُمْ أَخْبَارٌ ، مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُحْدَثٌ ، وَمِنْهَا مَا لَمْ يُعْرَفْ وَجْهُهُ ، وَانْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ أَهْوَاءُ قَوْمٍ يُحِبُّونَ الْعُلُوَّ فِي الأَرْضِ ، وَكَانَ فِي عَسْكَرِ عَلِيٍّ رضي الله عنه - مِنْ أُولَئِكَ الطُّغَاةِ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ قَتَلُوا عُثْمَانَ - مَنْ لَمْ يُعْرَفْ بِعَيْنِهِ ، وَمَنْ تَنْتَصِرُ لَهُ قَبِيلَتُهُ ، وَمَنْ لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ حُجَّةٌ بِمَا فَعَلَهُ ، وَمَنْ فِي قَلْبِهِ نِفَاقٌ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ إِظْهَارِهِ كُلِّهِ ، وَرَأَى

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٠) ، وأبو داود (٤٦٤٨) وغيرهما بإسنادٍ حسن .

طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يُنْتَصَرْ لِلشَّهِيدِ الْمَظْلُومِ ، وَيُقْمَعْ أَهْلُ الْفَسَادِ وَالْعُدْوَان، وَإِلا اسْتَوْجَبُوا غَضَبَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ . فَجَرَتْ فِتْنَةُ الْجَمَلِ عَلَى غَيْرِ اخْتِيَارٍ مِنْ عَلِيٍّ ، وَلا مِنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، وَإِنَّمَا أَثَارَهَا الْمُفْسِدُونَ بِغَيْرِ اخْتِيَارِ السَّابِقِينَ ، ثُمَّ جَرَتْ فِتْنَةُ صِفِّينَ لِرَأْيٍ ، وَهُوَ أَنَّ أَهْلَ الشَّامِ لَمْ يُعْدَلْ عَلَيْهِمْ ، أَوْ لا يُتَمَكَّنْ مِنَ الْعَدْلِ عَلَيْهِمْ – وَهُمْ كَافُّونَ ، حَتَّى تَجْتَمِعَ الْأُمَّةُ ، وَأَنَّهُمْ يَخَافُونَ طُغْيَانَ مَنْ فِي الْعَسْكَرِ ، كَمَا طَغَوْا عَلَى الشَّهِيدِ الْمَظْلُومِ ، وَعَلِيٌّ رضي الله عنه هُوَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ الْمَهْدِيُّ الَّذِي تَجِبُ طَاعَتُهُ ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ عَلَيْهِ ، فاعْتَقَدَ أَنَّ الطَّاعَةَ وَالْجَمَاعَةَ الْوَاجِبَتَيْنِ عَلَيْهِمْ تَحْصُلُ بِقِتَالِهِمْ فَيُطْلَبُ إِمَامٌ ، فَاعْتَقَدَ أَنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ أَدَاءُ الْوَاجِبِ ، وَلَمْ يَعْتَقِدْ أَنَّ التَّأْلِيفَ لَهُمْ كَتَأْلِيفِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ مِمَّا يَسُوغُ ، فَحَمَلَهُ مَا رَآهُ – مِنْ أَنَّ الدِّينَ إِقَامَةُ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ وَمَنْعُهُمْ مِنَ الإِثَارَةِ ، دُونَ تَأْلِيفِهِمْ – : عَلَى الْقِتَالِ ، وَقَعَدَ عَنِ الْقِتَالِ أَكْثَرُ الأَكَابِرِ ، لِمَا سَمِعُوهُ مِنَ النُّصُوصِ فِي الأَمْرِ بِالْقُعُودِ فِي الْفِتْنَةِ ، وَلِمَا رَأَوْهُ مِنَ الْفِتْنَةِ الَّتِي تَرْبُو مَفْسَدَتُهَا عَلَى مَصْلَحَتِهَا . وَنَقُولُ فِي الْجَمِيعِ بِالْحُسْنَى : ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾

وَالْفِتَنُ الَّتِي كَانَتْ فِي أَيَّامِهِ قَدْ صَانَ اللَّهُ عَنْهَا أَيْدِينَا ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَصُونَ عَنْهَا أَلْسِنَتَنَا ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ . أ.هـ

شهادة إمام من أئمة التابعين لمعاوية رضي الله عنه

وقد أخرج أحمد في «مسائل صالح» ص(٢١٨) بإسنادٍ حسن قول أبي مسلم الخولاني ذاك الإمام العابد الزاهد أنه قام أمام معاوية والجمع فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أما بعد فلا والله ما أبغضْناكَ منذ أَحببْناك ، ولا عَصَيناك منذ أَطَعْناك ، ولا فارَقْناكَ منذ جامَعَنْاك ، ولا نَكَثْنا بَيْعَتَنا منذُ بايَعْناك ، سُيوفُنا على عَواتِقِنا ، إنْ أَمَرْتَنا أَطَعْناك ، وإنْ دَعَوْتَنا أَجَبْناك ، وإنْ سَبَقْتَنا أَدْرَكْناك، وإنْ سَبَقْناكَ نَظَرْناك ... » .

وقد أجمع أهل السنة والجماعة الذين هم أهل الحل والعقد[1] الذين يعتد بإجماعهم على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة ﭫ بعد قتل عثمان ﭬ، والاسترجاع على تلك المصائب التي أصيبت بها هذه الأمة ، والاستغفار للقتلى من الطرفين ، والترحُّم عليهم ، وحفظ فضائل الصحابة ، والاعتراف لهم بسوابقهم ، ونشر مناقبهم ، عملاً بقول الله ﻷ: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [الحشر : ١٠] ، واعتقاد أن الكل منهم مجتهد، إن أصاب فله أجران، أجر على اجتهاده، وأجر على إصابته، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد، والخطأ مغفور، ولا نقول: إنهم معصومون، بل مجتهدون إما مصيبون، وإما مخطئون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك .

(١) فيما حكاه حافظ بن أحمد حكمي في «معارج القبول» (٢/ ١٢٠٨) وبنحوه هو كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والقاضي عياض وغيرهما وهو مذهب الإمام أحمد .وحكاه شيخ الإسلام الصابوني في «عقيدة السلف» ص (٧٦) عن أهل السنة من السلف .

وما روى من الأحاديث في مساويهم الكثير منه، مكذوب، ومنه ما قد زيد فيه أو نقص منه وَغُيِّر عن وجهه ، والصحيح منه هم فيه معذورون[١].

وفي سبب الحروب التي جرت بينهم إجمالاً ما ذكره بعض العلماء قال :

إن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام :

قسم : ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف ، وأن مخالفه باغ ، فوجب عليهم نصرته ، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده .

وقسم ثان :

عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه .

وقسم ثالث :

اشتبهت عليهم القضية ، وتحيروا فيها ، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين، فاعتزلوا الفريقين ، فكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم؛ لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك ، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال

(١) «معارج القبول» (٢/ ١٢٠٨) ، وهو ظاهر مذهب الإمام أحمد فيما حكاه عنه الخلال في «السنة» .

البغاة عليه، فكلهم معذورون رضي الله عنهم .

ولهذا اتفق أهل الحق ومن يُعتدُّ به في الإجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين ، وكلام الأئمة في هذا الباب يطول، وما أحسن ما قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وقد سئل عن الفتن أيام الصحابة فقال تاليا قول الله عز وجل ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة : ١٣٤][(١)].

وقد أخرج اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» بإسناده عن عبد الحميد الميموني قال : قلت لأحمد بن حنبل : أليس ، قال رسول الله ﷺ : «كل صهر ونسب منقطع إلا صهري ونسبي» ؟ قال : نعم ، قلت : هذه كلها لمعاوية رضي الله عنه ؟ ، قال : نعم[(٢)]. أ.هـ

والمقصود : «أن معاوية وإن قاتل عليًا رضي الله عنه فإنه كان لا ينكر إمامته ولا يدعيها لنفسه ، وإنما كان يطلب قتلة عثمان رضي الله عنه ظانًا أنه مصيب ، وكان مخطئًا وعلي رضي الله عنه وعنه مستمسك بالحق»[(٣)].

---

(١) «معارج القبول» (٢/ ١٢٠٩ - ١٢١٠) ، وراجع كلام لأحمد مطولاً في كتابه «أصول السنة» .

(٢) وقصة قول الإمام أحمد عند اللالكائي في «شرح الاعتقاد» (٢٧٨٦)، وبوب له بباب ما روى عن النبي ﷺ في فضائل أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

(٣) وأصل هذا الحديث «كل صهر ونسب ... إلخ» مرويٌّ من طرق متكلَّم فيها ذكرتها عند تحقيقي «البداية والنهاية»، (٧/ ٢٢٥) وهو مرويٌّ بلفظ «كل سبب ونسب فإنه ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي» والحديث له طرق وشواهد كثيرة، ولذا صححه الألباني في «الصحيحة» (٥/ ٦٤) =

والعشرة المبشرون بالجنة هم أفضل الصحابة الذين بشرهم ﷺ بالجنة[(١)] **وقد جمعوا في حديث واحد** وهو حديث سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْـنِ عَمْـرِو بْـنِ نُفَيْـلٍ قَالَ : أَشْهَدُ عَلَى التِّسْعَةِ أَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ ، وَلَوْ شَهِدْتُ عَلَى الْعَاشِرِ لَمْ آثَمْ ، قِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحِرَاءَ ، فَقَالَ : **«اثْبُتْ حِرَاءُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ»** قِيلَ : وَمَنْ هُمْ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَسَعْدٌ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ** رضي الله عنه**»** قِيلَ : فَمَنْ الْعَاشِرُ ؟ قَالَ : أَنَا[(٢)].

والنبي ﷺ يقول : **«لاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ**

=

ومعناه على أي حال صحيح، والله أعلم كما قال الإمام الجويني في «لمع الأدلة» ص(١٢٩) ط دار الكتب .

(١) وهم كثير عددهم كعكاشة بن محصن ، وأهل بدر ، وأهل بيعة الرضوان ، وأم حرام بنت ملحان ، والمرأة التي كانت تُصرَع ، ومن اهتز له عرش الرحمن ، وغير هؤلاء كعبد الله بن حرام الأنصاري وأنس بن النضر ، واليمان والد حذيفة ، فلكل هؤلاء وغيرهم أدلة خاصة في أنهم في الجنة، لكن تميز هؤلاء العشرة في أنهم أفضلهم، وقد جُمعوا في حديث واحد .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٦٦٩ وغيره، وله شاهد من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وسعيد بن زيد في الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»، والحديث صحيح ونقل الترمذي تصحيح البخاري لحديث سعيد بن زيد عقب حديث (٣٧٥٧) .

الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»[١].

وقال لما قيل له: ليدخلن حاطب بن أبي بلتعة النار فقال ﷺ : «**كَذَبْتَ**[٢] **لاَ يَدْخُلُهَا ، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ**»[٣].

والرافضة يبرؤون من جمهور هؤلاء ، بل يبرءون من سائر أصحاب رسول الله ﷺ إلا من نفر قليل نحو بضعة عشر رجلاً !

ومعلوم أنه لو فرض في العالم عشرة من أكفر الناس لم يجب هجر هذا الاسم لذلك – على فرض التسليم –

وقوله ﷺ : «**لاَ يَزَالُ أَمْرُ النَّاسِ مَاضِيًا مَا وَلِيَهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُل**»[٤].

وقوله ﷺ : «**لاَ يَزَالُ الإِسْلاَمُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَىْ عَشَرَ خَلِيفَةً**»[٥].

فمعني به :

الخلفاء العشرة : الأربعة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الحسن ابنه ثم معاوية رضي الله عنه ثم يزيد بن معاوية ثم عبد الملك بن مروان ثم أولاده الذين

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٤٩٦) .

(٢) أي: أخطأت .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٤٩٥) من حديث جابر أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبًا فقال : «يا رسول الله : ليدخلن حاطب النار ، فقال ﷺ : ...فذكره» .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٧٢٢٢) ، ومسلم (١٨٢١) .

(٥) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٢١) .

كان منهم عمر بن عبد العزيز

وَمَنْ أَضلُ مِنْ الرَّافِضَةُ الذين يزعمون أن هؤلاء هـم الاثْنَـيْ عَشَـرَ إِمَامًـا ، أَوَّلُهُمْ عَلِيُّ بْـنُ أَبِـي طَالِـبٍ ﷺ – وَيَـدَّعُونَ أَنَّـهُ وَصِـيُّ النَّبِـيِّ ﷺ دَعْـوَى مُجَرَّدَةً عَنِ الدَّلِيلِ ، ثُـمَّ الْحَسَـنُ ﷺ ، ثُـمَّ الْحُسَـيْنُ ﷺ ، ثُـمَّ عَلِـيُّ بْـنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ ، ثُـمَّ مُحَمَّـدُ بْـنُ عَلِـيٍّ الْبَـاقِرُ ، ثُـمَّ جَعْفَـرُ بْـنُ مُحَمَّـدٍ الصَّادِقُ ، ثُمَّ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ الْكَـاظِمُ ، ثُـمَّ عَلِـيُّ بْـنُ مُوسَـى الرَّضِـيُّ ، ثُـمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَوَادُ ، ثُمَّ عَلِيُّ بْـنُ مُحَمَّـدٍ الْهَـادِي ، ثُـمَّ الْحَسَـنُ بْـنُ عَلِـيٍّ الْعَسْكَرِيُّ ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ ، وَيُغَالُونَ فِي مَحَبَّتِهِمْ ، وَيَتَجَاوَزُونَ الْحَدّ.

والأعجب :

أن عندهم – ويعترفون بذلك – أَنَّ الأَمْرَ لَمْ يَزَلْ فِي أَيَّـامِ هَـؤُلاءِ فَاسِـدًا ، يَتَوَلَّى عَلَيْهِمُ الظَّالِمُونَ الْمُعْتَدُونَ ، بَلِ الْمُنَافِقُونَ الْكَافِرُونَ ، وَأَهْلُ الْحَـقِّ أَذَلُّ مِنَ الْيَهُودِ فكيف ذلك ؟!

وَقَوْلُهُمْ ظَاهِرُ الْبُطْلانِ مخالف لما دل عليه الدليل الذي يحتجون به ، بَـلْ لَـمْ يَزَلِ الإِسْلامُ عَزِيزًا فِي ازْدِيَادٍ فِي أَيَّامِ هَؤُلاءِ الإِثْنَيْ عَشَرَةَ[1] .

وأما ما أخرجه البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَـةَ وَنَسْـوَاتُهَا

(١) وقد نبه على ضلالهم هذا ابن أبي العز الحنفي طيب الله ثراه في «شرح الطحاوية» ص(٤٨٧) .

تَنْطُفُ [١]، قُلْتُ : قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ مَا تَرَيْنَ ، فَلَمْ يُجْعَلْ لِي مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ[٢]، فَقَالَتِ : الْحَقْ فَإِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ ، وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ فِي احْتِبَاسِكَ عَنْهُمْ فُرْقَةٌ ، فَلَمْ تَدَعْهُ حَتَّى ذَهَبَ ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ[٣] خَطَبَ مُعَاوِيَةُ ، قَالَ : مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي هَذَا الأَمْرِ فَلْيُطْلِعْ لَنَا قَرْنَهُ ، فَلَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ[٤] ، قَالَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ : فَهَلاَّ أَجَبْتَهُ ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَحَلَلْتُ حُبْوَتِي[٥] وَهَمَمْتُ أَنْ أَقُولَ أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْكَ مَنْ قَاتَلَكَ وَأَبَاكَ عَلَى الإِسْلاَمِ ، فَخَشِيتُ أَنْ أَقُولَ كَلِمَةً تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَمْعِ ، وَتَسْفِكُ الدَّمَ ، وَيُحْمَلُ عَنِّى غَيْرُ ذَلِكَ ، فَذَكَرْتُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي الْجِنَانِ ، قَالَ : حَبِيبٌ بْنُ مَسْلَمَةَ[٦]

---

(١) نسواتها : أي ذوائبها ومعنى تنطف : أي تقطر كأنها قد اغتسلت، والمراد أن ذوائبها كانت تنوس أي: تتحرَّك والنوس من الاضطراب .

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٤٩٩): وَقَعَ فِي رِوَايَةِ حَبِيبِ بْنَ أَبِي ثَابِت أَيْضًا قَالَ اِبْن عُمَر : «مَا حَدَّثْت نَفْسِي بِالدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمَئِذٍ»

أي ذكرت الجنة وما أُعد للصابرين ومن آثروا الحياة الدنيا على الآخرة .

(٣) يعني الحكمين اللذين حكما في القضية بين علي ومعاوية في وقعة صفين، وقيل غير ذلك، راجع «فتح الباري» (٧/ ٤٩٨) .

(٤) قيل أراد عليًا وعرض بالحسن والحسين ، وقيل أراد عمر وعرَّض بابنه عبد الله ، وفيه بعد لأن معاوية كان يبالغ في تعظيم عمر رضي الله عنه ، وقدصح عن ابن عمر أنه قال عن معاوية:كان أسود منن عمر» أي من السيادة كما بينته في«شرح صدور الموحدين» .

(٥) الحبوة : ثوب يلقى على الظهر ويربط طرفاه على الساقين بعد ضمهما كما قال الحافظ .

(٦) وهو صحابي صغير .

حُفِظْتَ وَعُصِمْتَ[١].

فهذا ليس فيه تنقيص من قدر معاوية رضي الله عنه

ذلك أن مُعَاوِيَةَ كان يرى فِي الْخِلافَةِ تَقْدِيمُ الْفَاضِلِ فِي الْقُوَّةِ وَالرَّأْيِ وَالْمَعْرِفَةِ عَلَى الْفَاضِلِ فِي السَّبَقِ إِلَى الإِسْلامِ وَالدِّينِ وَالْعِبَادَةِ ، فَلِهَذَا أَطْلَقَ أَنَّهُ أَحَقُّ ، وَرَأْيُ اِبْنِ عُمَرَ بِخِلافِ ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ لا يُبَايَعُ الْمَفْضُولُ إلا إِذَا خَشِيَ الْفِتْنَةَ ، وَلِهَذَا بَايَعَ بَعْدَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ ثُمَّ اِبْنه يَزِيد وَنَهَى بَنِيهِ عَنْ نَقْضِ بَيْعَتِهِ كَمَا سَيَأْتِي فِي الْفِتَنِ ، وَبَايَعَ بَعْدَ ذَلِكَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْن مَرْوَانَ[٢].

وهذه مسألة الخلاف فيها سائغ، وقد رضي بعض الصحابة، كأبي هريرة رضي الله عنه وواثلة وابن عمر وغيرهم كثير أن يؤمر عليهم بعض التابعين ولم ينازعوا الأمر أهله ، مما يدل على أن الخلاف في هذا الرأي من الخلاف السائغ، ومسألة اشتراط القوة والأمانة صالحة لدين الناس وإن كان ثَمَّ قصور في عبادة وزهد ونحو ذلك .

فلا يعاب على معاوية مثل ذلك

لكن إذا كان ثم حروب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وهذه الحروب تقتضي بغض كل منهما لبعض، فكيف يستقيم هذا مع قوله ﷺ : «لا يُحِبُّك إلا مُؤْمِن وَلا يُبْغِضك إلا مُنَافِق»؟.

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤١٠٨) .

(٢) كما أشار الحافظ في «الفتح» (٧/ ٤٩٩ ، ١٣/ ٧٩) .

الجواب : أشار الحافظ في «الفتح» (١/ ٨١) إلى ما حكاه القرطبي في «المفهم» من أن الحروب الواقعة من بعضهم وإن اقتضت بغضًا من طائفة معاوية لعلي والعكس، فهذا ليس في جهة قوله ﷺ لعلي : «**لا يُحِبُّك إِلا مُؤْمِن وَلا يُبْغِضك إِلا مُنَافِق**»[(١)] وشبهه

بل للأمر الطاريء الذي اقتضى المخالفة ، ولذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق، وإنما كان حالهم في ذاك حال المجتهدين في الأحكام للمصيب أجران، وللمخطيء أجر واحد، والله أعلم

وقال الذهبي في «الكبائر» ص(٣١٦) بعد سياق بعض أدلة الثناء عليهم :

فمن طعن فيهم أو سبَّهم ، فقد خرج من الدين ومرق من ملَّة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم ، وإضمار الحقد فيهم ، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم ، وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم ، وفضائلهم ومناقبهم وحُبِّهم ، ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور

(١) فقد أخرج النسائي في «الكبرى» (٨٤٨٧) ، والترمذي (٣٧٣٦) ، وأحمد (١/ ٩٥) من طريق الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن علي قال : «**لَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ ﷺ أَنَّهُ لا يُحِبُّكَ إِلا مُؤْمِنٌ وَلا يَبْغَضُكَ إِلا مُنَافِقٌ**»

رجاله ثقات وهو في صحيح مسلم (٧٨) من نفس الطريق قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «وَالَّذِى فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِىِّ الأُمِّىِّ ﷺ إِلَيَّ أَنْ لاَ يُحِبَّنِى إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضَنِى إِلاَّ مُنَافِقٌ» .

إلا أن الحديث انتقده الدارقطني في «التتبع» ص(٤٢٧) على مسلم بسبب عدى بن ثابت فإنه متكلَّم فيه وهو غالٍ في التشيع وله شواهد لا يثبت منها شيء كما أشرت إلى ذلك في كتابنا «التوضيحات الجلية » نفع الله به أكثر وأكثر .

والوسـائط مـن المنقـول ، والطعـن في الوسـائط طعـن في الأصـل ، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، هذا ظاهر لمن تدبره، وسلم من النفـاق، ومـن الزندقـة والإلحاد في عقيدته.



وسطية أهل السنة في الاعتقادات بين الفرق الإسلامية

وقد توسط أهل السنة والجماعة في الاعتقادات بين الفرق الإسلامية كما كانت أمة محمد ﷺ وسطًا بين الأمم(١)

بين الرافضة الذين يعبدون أصحاب القبور بالذبح لهم، ودعائهم إياهم من دون الله ﷻ ، وغُلُوِّهم في علي بن أبي طالب ؓ وآل البيت زيادة عن الحد المشروع له من تكريمه وإجلاله ونشر فضائله .

وبين بعض الطوائف الأخرى الذين يسبُّون علي بن أبي طالب ؓ .

وأهل السنة يعطون كل ذي حق حقه بغير إفراط أو تفريط حسب ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

وهم وسط في باب الأسماء والصفات

بين المعطلة الذين أنكروا الأسماء والصفات كالجهمية، أو أولوها كالأشاعرة اعتمادًا على العقول البشرية القاصرة وتقديمها على الكتاب والسنة ، وبين الممثلة الذين يضربون لله الأمثال، ويدَّعون أن صفات الله مماثلة لصفات خلقه .

فأهل السنة آمنوا بجميع الأسماء والصفات الثابتة في النصوص الشرعية

على ما وصف الله تعالى نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ أعلم الخلق

(١) كما قال ﷻ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

بـالله؛ لأن الله سـلَّم علـى المرسـلين لسـلامة مـا اعتقـدوه فيـه [١]، ويقـدِّمون النصوص الشرعية على العقول

وأهل السنة وسط في باب القضاء والقدر

بين القدرية الذين نفوا القدر وقالوا : إن أفعال العباد وطاعتهم ومعاصـيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره

وأن الله ﷻ على زعمهم لم يخلق أفعال العباد ولا شاءها فـيهم، بـل العبـاد يَخلقون فعلهم ، فوقعوا في شرك الربوبية الذي لم يقع فيه الكفار قديمًا

وبين الجبرية الذين غلوا في إثبات القدر وقالوا إن العبـد مجبـور علـى فعلـه فلا اختيار له

فأهل السنة يقولون : العباد فاعلون على الحقيقـة، وأفعـالهم تُنْسَـب إلـيهم والذي يختاره العبد ويعمله قد فُعل بتقدير الله ومشيئته وخلقه

لأن الله خالق العباد وعملهم كما قال ﷻ : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الصافات : ٩٦] .

فمشيئة العبد تحت مشيئة الله كما قال ﷻ : ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [التكوير : ٢٩] .

---

(١) كما في قال ﷻ : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات : ١٨٠ – ١٨٢] .

ومع ذلك فقد أمر الله العباد بطاعته وطاعة رسوله ﷺ ونهاهم عن معصيته، ولا يرضى عن الفاسقين ويريد هدايتهم إرادة شرعية

وقد أقيمت الحجة على الناس بإرسال الرسل وإنزال الكتب

فمن أطاع أطاع عن بينة واختيار، وكذلك من عصى فيستحق الثواب أو العقاب ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ [فصلت : ٤٦] .

فالمُكوَّن مرَّ بمراتب أربع علم الله بذلك ثم كتابة الله له ثم مشيئة فشاءه الله هكذا ، ثم خلق وإيجاد وتكوين لما شاءه الله وقدَّره، وأراد حصوله كوناً.

وأهل السنة وسط بين الخوارج والمرجئة في الحكم على الناس

فالخوارج يكفرون أهل الكبائر، ويحكمون عليهم بالخلود في النار

والمرجئة غَلَّبوا نصوص الوعيد فقالوا: إن الأعمال ليست من الإيمان ، فلا يضّر مع الإيمان معصية فالزاني ونحوه لا يستحق النار لأن إيمانه كإيمان جبريل وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما

وأهل السنة جمعوا بين هذا وذاك بالحكم على المعاصي بأنها تنقص الإيمان ولهم في ذلك أدلة تقدم ذكرها، والعاصي وإن أصّر لا يدخل في الكفر بمعصيته.

وأهل السنة وسط في الاعتقاد في أصحاب رسول الله ﷺ

فالشيعة الروافض غلوا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأولاده وآل البيت عمومًا، فادعوا لبعضهم العصمة وعلم الغيب وفضَّلوا عليًا على أبي بكر

وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فخالفوا نصوص الوحي المذكورة في ذلك.

فَالرَّافِضَةُ – قبحهم الله وأخزاهم في كل زمان ومكان – كَفَّرَتْ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَامَّةَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارَ ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، وَكَفَّرُوا جَمَاهِيرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ والمتأخرين .

فَيُكَفِّرُونَ كُلَّ مَنْ اعْتَقَدَ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الْعَدَالَةَ أَوْ تَرَضَّى عَنْهُمْ كَمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَوْ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِالاسْتِغْفَارِ لَهُمْ وَلِهَذَا يُكَفِّرُونَ أَعْلامَ الْمِلَّةِ مِثْلَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ وَأَبِي مُسْلِمٍ الخولاني وَأُوَيْسٍ الْقَرْنِيِّ ...[1] ذكره شيخ الإسلام .

وأضاف :

وَلِهَذَا السَّبَبِ – يعني لأنهم يعتقدون ردَّة المسلمين ، وأنهم كفار ردَّة، بينما النصارى واليهود كفار أصليون وكفر الردَّة أعظم من الكافر الأصلي – فَيُعَاوِنُونَ التَّتَارَ عَلَى الْجُمْهُورِ – أهل الإسلام – وَهُمْ كَانُوا مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبَابِ فِي خُرُوجِ جنكيزخان – مَلِكِ الْكُفَّارِ – إلَى بِلادِ الإِسْلامِ وَفِي قُدُومِ هُولاكُو إلَى بِلادِ الْعِرَاقِ ؛ وَفِي أَخْذِ حَلَبَ وَنَهْبِ الصالحية وَغَيْرِ ذَلِكَ بِخُبْثِهِمْ وَمَكْرِهِمْ ؛ لَمَّا دَخَلَ فِيهِم مَنْ تَوَزَّرَ مِنْهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَغَيْرُ مَنْ تَوَزَّرَ مِنْهُمْ .

وَبِهَذَا السَّبَبِ نَهَبُوا عَسْكَرَ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا مَرَّ عَلَيْهِمْ وَقْتُ انْصِرَافِهِ إلَى

(١) كما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٧٧) .

مِصْرَ فِي النَّوْبَةِ الأُولَى .

وَبِهَذَا السَّبَبِ يَقْطَعُونَ الطُّرُقَاتِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

وَبِهَذَا السَّبَبِ ظَهَرَ فِيهِمْ مِنْ مُعَاوَنَةِ التَّتَارِ وَالإِفْرِنْجِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَالْكَآبَةِ الشَّدِيدَةِ بِانْتِصَارِ الإِسْلامِ مَا ظَهَرَ وَكَذَلِكَ لَمَّا فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ السَّاحِلَ – عَكَّةَ وَغَيْرَهَا – ظَهَرَ فِيهِمْ مِنْ الانْتِصَارِ لِلنَّصَارَى وَتَقْدِيمِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَدْ سَمِعَهُ النَّاسُ مِنْهُمْ .

وَكُلُّ هَذَا الَّذِي وَصَفْت بَعْضَ أُمُورِهِمْ وَإِلا فَالأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ .

وَأَعْظَمَ السُّيُوفِ الَّتِي سُلَّتْ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إِلَيْهَا وَأَعْظَمَ الْفَسَادِ الَّذِي جَرَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إِلَيْهِمْ .

فَهُمْ أَشَدُّ ضَرَرًا عَلَى الدِّينِ وَأَهْلِهِ ، وَأَبْعَدُ عَنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ مِنْ الْخَوَارِجِ الحرورية

وَلِهَذَا كَانُوا أَكْذَبَ فِرَقِ الأُمَّةِ ، فَلَيْسَ فِي الطَّوَائِفِ الْمُنْتَسِبَةِ إِلَى الْقِبْلَةِ أَكْثَرُ كَذِبًا وَلا أَكْثَرُ تَصْدِيقًا لِلْكَذِبِ وَتَكْذِيبًا لِلصِّدْقِ مِنْهُمْ وَسِيَّمَا النِّفَاقُ فِيهِمْ أَظْهَرُ مِنْهُ فِي سَائِرِ النَّاسِ .

وَكُلُّ مَنْ جَرَّبَهُمْ يَعْرِفُ اشْتِمَالَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْخِصَالِ ؛ وَلِهَذَا يَسْتَعْمِلُونَ

التَّقِيَّةَ الَّتِي هِيَ سِيمَا الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ ويَسْتَعْمِلونها مَعَ الْمُسْلِمِينَ[(١)].

(١) بتصرف من «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٧٧) وما بعدها ، وفي «مدارج السالكين» (١/ ٥٦) مبحث نفيس في بيان تضمن ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٦ ، ٧] .للرد على الرافضة والخوارج معًا، عقده ابن القيم في «المدارج» (١/ ٥٦ - ٥٧) أرجو إن نقلته برمَّته أن يكون فيه فائدة ونفع مع طوله والله المستعان ، فإنه قال رَحِمَهُ اللهُ وطيب ثراه :

ووجه تضمنه إبطال قولهم - يعني قول الرافضة - : أنه سبحانه قسم الناس إلى ثلاثة أقسام : منعم عليهم وهم أهل الصراط المستقيم الذين عرفوا الحق واتبعوه ، ومغضوب عليهم وهم الذين عرفوا الحق ورفضوه، وضالون وهم الذين جهلوه فأخطأوه .

فكل من كان أعرف للحق ، وأتبع له : كان أولى بالصراط المستقيم .

ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم : هم أولى بهذه الصفة من الروافض . فإنه من المحال أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ - ورضي الله عنهم - جهلوا الحق وعرفه الروافض ، أو رفضوه وتمسك به الروافض .

ثم إنا رأينا آثار الفريقين تدل على أهل الحق منهما . فرأينا أصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الكفر ، وقلبوها بلاد إسلام . وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدى .

فآثارهم تدل على أنهم هم أهل الصراط المستقيم . ورأينا الرافضة بالعكس في كل زمان ومكان، فإنه قط ما قام للمسلمين عدو من غيرهم إلا كانوا أعوانهم على الإسلام ، وكم جروا على الإسلام وأهله من بلية؟! وهل عاثت سيوف المشركين عباد الأصنام - من عسكر هولاكو وذويه من التتار - إلا من تحت رؤسهم؟! وهل عُطِّلت المساجد ، وحرِّقت المصاحف ، وقتل سروات المسلمين وعلماؤهم وعبادهم وخليفتهم ، إلا بسببهم ومن جرائهم؟!

ومظاهرتهم للمشركين والنصارى معلومة عند الخاصة والعامة ، وآثارهم في الدين معلومة .

فأي الفريقين أحق بالصراط المستقيم؟! وأيهم أحق بالغضب والضلال إن كنتم تعلمون؟!

ولهذا فسر السلف الصراط المستقيم وأهله : بأبي بكر وعمر وأصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم ، وهو كما فسروه ، فإنه صراطهم الذي كانوا عليه ، وهو عين صراط نبيهم ، وهم الذين =

فالخوارج جَفُو في حق علي ﵁، فكفَّروه والرافضة جَفَو في حق أكثر الصحابة فسبُّوهم وقالوا إنهم كفار ، وأنهم ارتدوا بعد النبي ﷺ حتى الصديق وعمر ﵄ عند بعضهم كافرين وكذلك أمهات المؤمنين ، ولا يستثنون من الصحابة إلا آل البيت

لكنهم قد يترضَّوا عن بعض الصحابة تقربًا لأهل السنة ومخادعة لهم

=

أنعم الله عليهم ، وغضب على أعدائهم ، وحكم لأعدائهم بالضلال ، وقال أبو العالية – الرياحي والحسن البصري ، – وهما من أجل التابعين –: الصراط المستقيم رسول الله ﷺ وصاحباه

وقال أبو العالية أيضًا في قوله: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾: هم آل رسول الله ﷺ ، وأبو بكر وعمر وهذا حق . فإن آله ﷺ وأبا بكر وعمر على طريق واحدة . ولا خلاف بينهم، وموالاة بعضهم بعضًا وثناؤهم عليهما ، ومحاربة من حاربا ، ومسالمة من سالما معلومة عند الأمة . خاصها وعامها . وقال زيد بن أسلم : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [النساء : ٦٩] هم رسول الله ﷺ ، وأبو بكر وعمر .

ولا ريب أن المنعم عليهم : هم أتباعه ، والمغضوب عليهم : هم الخارجون عن أتباعه ، وأتبع الأمة له وأطوعهم : أصحابه وأهل بيته ، وأتبع الصحابة له : السمع والبصر ، أبو بكر وعمر . وأشدّ الأمة مخالفة له : هم الرافضة ، فخلافهم له معلوم عند جميع فرق الأمة ، ولهذا يبغضون السنة وأهلها ، ويعادونها ويعادون أهلها . فهم أعداء سنته ﷺ ، وأهل بيته وأتباعه من بنَيهم أكمل ميراثًا ، بل هم ورثته حقًا .

فقد تبين أن الصراط المستقيم : طريق أصحابه وأتباعه ، وطريق أهل الغضب والضلال طريق الرافضة .

وبهذه الطريق – بعينها – يُردّ على الخوارج ، فإن معاداتهم الصحابة معروفة .

مشابهة للمنافقين ولذلك يستخدمون التقية فيظهرون لأهل الإسلام خلاف ما يبطنون

أما أهل السنة وفقهم الله متوسطون وذكرنا اعتقادهم في الصحابة من قبل

جعلنا الله وسطًا في الاعتقادات وأسكننا الفردوس الذي هو أعلى الجنة وأوسطها وفوقه عرش الرحمن وأحبابنا وإخواننا وأرحامنا ووالدينا مع أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين، إنه ولي ذلك ومولاه

وَقَدْ تَعَلَّقَ الرَّوَافِض وَالإِمَامِيَّة وَسَائِر فِرَق الشِّيعَة فِي أَنَّ الْخِلافَة كَانَتْ حَقًّا لِعَلِيٍّ ، وَأَنَّهُ وَصَّى لَهُ بِهَا بحديث النبي ﷺ «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُون مِنْ مُوسَى إِلا أَنَّهُ لا نَبِيّ بَعْدِي»[1] .

قَالَ الْقَاضِي: ثُمَّ اِخْتَلَفَ هَؤُلاءِ ، فَكَفَّرَتْ الرَّوَافِض سَائِر الصَّحَابَة فِي تَقْدِيمهمْ غَيْره ، وَزَادَ بَعْضهمْ فَكَفَّرَ عَلِيًّا لأَنَّهُ لَمْ يَقُمْ فِي طَلَب حَقّه بِزَعْمِهِمْ ، وَهَؤُلاءِ أَسْخَف مَذْهَبًا وَأَفْسَد عَقْلا مِنْ أَنْ يُرَدَّ قَوْلهمْ ، أَوْ يُنَاظَرَ .

قَالَ الْقَاضِي: وَلا شَكَّ فِي كُفْر مَنْ قَالَ هَذَا ؛ لأَنَّ مَنْ كَفَّرَ الأُمَّةَ كُلّهَا وَالصَّدْر الأَوَّل فَقَدْ أَبْطَلَ نَقْل الشَّرِيعَة ، وَهَدَمَ الإِسْلام ، وَأَمَّا مَنْ عَدَا هَؤُلاءِ الْغُلاة فَإِنَّهُمْ لا يَسْلُكُونَ هَذَا الْمَسْلَكَ .

فَأَمَّا الإِمَامِيَّةُ وَبَعْض الْمُعْتَزِلَة فَيَقُولُونَ: هُمْ مُخْطِئُونَ فِي تَقْدِيم غَيْره لا

(١) وهو حديث أخرجه البخاري (٤٧٠٦) ، ومسلم (٢٤٠٤) .

كُفَّار. وَبَعْض الْمُعْتَزِلَة لا يَقُولُ بِالتَّخْطِئَةِ لِجَوَازِ تَقْدِيم الْمَفْضُول عِنْدهمْ[١].

وأهل السنة وسط بين منفى الشفاعة مطلقاً كالمعتزلة، وبين من أثبتها، فقالوا بإثبات الشفاعة لهم بشرط إذن الله تعالى للشافع والمشفوع له، والقدر المشفوع به.

(١) انظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» حديث (٢٤٠٤).

فصل في بعض طريقة أهل السنة

ومن طريقة أهل السنة والجماعة العملية اتباع آثار الرسول باطنًا وظاهرًا كما قال ﷻ : ﴿ **وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار

لقوله ﷻ : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

واتباع رسول الله ﷺ واتباع الخلفاء الراشدين على وجه الخصوص؛ لقوله ﷺ : «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعدِه عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**».

وأهل السنة يعلمون أن أصدق الكلام كلام الله

لقوله ﷻ : ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلا** ﴾ [النساء : ١٢٢]

وقوله ﷻ : ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا** ﴾ [النساء : ٨٧] .

وقال ﷺ في خطبته : «**أَحْسَنُ الْكَلامِ كَلامُ اللَّهِ**»(١).

وأهل السنة يقولون أن خير الهدي هدي محمد ﷺ لقوله ﷺ : «**خَيْرَ**

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٢٣٥) من حديث جابر رضي الله عنه، و رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته بعد التشهد : «أَحْسَنُ الْكَلاَمِ كَلاَمُ اللَّهِ وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ» وإسناده حسن.

الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ»(١) .

وأهل السنة والجماعة يؤثرون كلام الله على كلام غيره من أصناف الناس كما يقدمون هديه على هدي كل أحد في العقائد والعبادات والمعاملات والأحوال وفي كل شيء.

لقوله ﷻ : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

وقال ﷻ : ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [آل عمران : ٣١] .

وأهل السنة يثبتون الرجم ويقرون به على أنه سنة رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده

والرجم حق على من زنى، وقد أحصن إذا اعترف أو قامت البينة

وقد رجم رسول الله ﷺ، ورجم الخلفاء الراشدون من بعده

فَعنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه يَقُولُ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ فَكَانَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةُ الرَّجْمِ قَرَأْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا فَرَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ : مَا نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ وَإِنَّ الرَّجْمَ فِي

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٨٦٧) .

كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ[١] عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أَحْصَنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَـةُ أَوْ كَانَ الْحَبَلُ أَوْ الاِعْتِرَافُ[٢].

والإجماع حجة ودليل مستقل كالكتاب والسنة ، وإن كان يليهما في مرتبة القوة ، والإجماع موجود عند عامة العلماء[٣]

قال الله ﷻ : ﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ [النساء : ١١٥] .

واستدلوا بقوله ﷺ : «**لا تَجْتَمِع أمتِي عَلَى ضَلالَة**» ، وإن كان في صحة إسناده خلاف ، لكن معناه صحيح [٤].

فلو أجمعت الأمة على ضلالة فقد ضاع أصل الدين الذي تولى الله ﷻ حفظه .

وفي صحيح البخاري[٥] عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، فَغَضِبَ فَقَالَ : أَلَيْسَ

---

(١) يعني عمر رضي الله عنه بذلك الآية المنسوخة كتابة والباقية الحكم وهي : «والشيخة والشيخة فارجموها إذا زنيا البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [المائدة : ٣٨] .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٨٢٠) ، ومسلم (١٦٩١) .

(٣) أي: يمكن أن يجمعوا على مسألة ، وقد أُلِّفَت كُتب في المسائل المجمع عليها ، كـ «الإجماع» لابن المنذر ، و«الإقناع» لابن القطان الفاسي ، وغيرهما .

(٤) وقد ذكرت في «التوضيحات الجلية» عدة أدلة على مشروعية الإجماع .

(٥) برقم (٤٣٤٠) .

أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي ، قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا ، فَجَمَعُوا ، فَقَالَ : أَوْقِدُوا نَارًا ، فَأَوْقَدُوهَا ، فَقَالَ : ادْخُلُوهَا . فَهَمُّوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا ، وَيَقُولُونَ فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّارِ ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : **«لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»**.

يَعْنِي أَنَّ الدُّخُول فِيهَا مَعْصِيَة ، وَالْعَاصِي يَسْتَحِقّ النَّار . وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُون الْمُرَاد لَوْ دَخَلُوهَا مُسْتَحِلِّينَ لذَلك فَإِنَّهُم ارْتَكَبُوا حِينئذٍ مَا نُهُوا عنه مِن قَتْلِ أَنْفسِهم[1] .

وقد استنبط من هذا الحديث الشيخ محمد بن أبي جمرة[2] أن :

الْجَمْع مِنْ هَذِهِ الأَمَة لا يَجْتَمِعُونَ عَلَى خَطَأ لانْقِسَامِ السَّرِيَّة قِسْمَيْنِ : مِنْهُمْ مَنْ هَانَ عَلَيْهِ دُخُول النَّار فَظَنَّهُ طَاعَة ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَهِمَ حَقِيقَة الأَمْر وَأَنَّهُ مَقْصُور عَلَى مَا لَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ .

ولا ينعقد إجماع الصحابة بأهل المدينة وحدها

فإن كثيرًا من الوفود كانوا يأتون النبي ﷺ يحملون الفقه من رسول الله ﷺ ثم يتفرقون في البلاد ، فمن ذلك

قول أهل اليمن لما قدموا على رسول الله ﷺ : جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ

(١) وبنحوه قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٧٥) .

(٢) فيما حكاه الحافظ في «الفتح» (٨/ ٧٥) .

وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الأَمْرِ مَا كَانَ ، قَالَ : «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ... الحديث**»[١] .

قال ابن التين عن الداودي :

فِيه دَلِيل عَلَى أَنَّ إِجْمَاع الصَّحَابَة لا يَنْعَقِد بِأَهْلِ الْمَدِينَة وَحْدهَا[٢] .

وأهل السنة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعدم التأخير عنه

لقوله ﷻ : ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وذلك بضوابط تقتضيها الشريعة منها :

أولاً : كون الآمر الناهي عالمًا بحكم الشرع فيما يأمر به وينهي

وقد قال الله ﷻ لنبيه ﷺ :﴿ **فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ** ﴾ [المائدة : ٤٨] . **فمن لم يعرف ما أنزله الله كيف يأ بالمعروف وينهى عن المنكر.**

وقال ﷻ :﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا** ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٨) .

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٤٩٤) .

وقال ﷻ : ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ** ﴾ [النحل : ١١٦] .

الثاني : أن يكون على علم بحال المأمور من توجّه الخطاب له أو كونه لا ينقلب منكره إلى منكرٍ أشد منه، وهل الذي سيؤمر به واجب عليه أم لا؟

فالنبي ﷺ لما رأى المصلي دخل المسجد وجلس ولا يكن يعلم هل صلى أم لا قَالَ له : «**أَصَلَّيْتَ**»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «**قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا**»[(١)] .

الثالث: كونه قادرًا على الأمر لئلا يلحقه من الضرر ما لا يتحمَّله ما لم يصدع به غيره، والله ﷻ يقول : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن : ١٦] .

وقال ﷻ : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وقد قال ﷻ : ﴿ **وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

فلا يغيَّر المنكر إلى منكر أشد منه أو يغير بمنكر، وليس هنا محل الإسهاب في بيان ذلك، وفي ذلك مصنفات .

وأهل السنة والجماعة يعتقدون

أن المسلمين تتكافئ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٩٣٠) ، ومسلم (٨٧٥) .

ويعتقدون

أن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ، ومثلهم (أي المؤمنين) في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى

وكل هذا قاله النبي ﷺ بنصه

كما يأمرون بالصبر على البلاء وعلى الطاعة وعن المعصية

لأمر الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ [البقرة : ١٥٥ – ١٥٧] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ** ﴾ [العنكبوت : ١٠] .

والأدلة على ذلك كثيرة

كما يأمرون بالشكر عند النعماء والرضا بالقضاء

قال سبحانه وتعالى:﴿ **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ [إبراهيم : ٧] .

وأهل السنة يدعون إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال، وأن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا

وأن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم الذي لا يفتر

فيصل المؤمن من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه ، ويصبر على أذى جاره ويقابل الحسنة بالسيئة ويعفو ويصفح ...

قال الله ﷻ : ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

وقال ﷻ : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى : ٤٠] .

وقال ﷺ لمن يصل أرحامه ويقطعونه ، ويحلم عليهم ويجهلون عليه ، ويحسن إليهم وهم يسيئون إليه : «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا تَقُولُ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ وَلا يَزَالُ مَعَكَ مِنْ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» . وهو صحيح مُخَرَّج في غير هذا الموطن .

قال الله ﷻ : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت : ٣٥] .

كما يأمر أهل السنة ببر الوالدين – أولى الناس بحسن الصحبة – لاسيما الأم ، وصلة الرحم والإحسان إلى الجيران ، والإحسان إلى ابن السبيل والمملوك

وقد تواترت الأحاديث الثابتة في الحض على ذلك .

وقد اقترنت دعوة النبي ﷺ إلى بعض هذه الأمور مع الدعوة إلى

التوحيد[١].

وأبناء السبيل جاء الحض بالوقف عليهم كما في حديث عمر في الوقف[٢].

كما يأمرون بما يحبه الله من معالي الأمور ، وينهون عن سفاسف الأمور

وقد ورد في ذلك حديث رجاله ثقات على إشكال في تصحيحه[٣] عن رسول الله ﷺ : **«إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَمَعَالِيَ الأُمُور وَيَكْرهُ سَفْسَافَهَا»**. لكنه على أي حال صحيح المعنى إن شاء الله .

وأهل السنة والجماعة سُموا بذلك

لأنه يتبعون سبيل سنة رسول الله ﷺ، ويجتمعون عليها، فسُمّو بالسنة والجماعة لأجل ذلك ، فهم الذين يسيرون على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون أعلام الهدى ، ومصابيح الدجى ، أولو المناقب المأثورة ، والفضائل المذكورة ، الذين أجمع المسلمون

---

(١) وراجع كتبي «فقه التعامل مع الجار وبيان حقوقه» ، و«بر الوالدين» ، و«صلة الرحم» ،وقد ذكرت فصلاً في كتابي «تبصير النساء» في الإحسان إلى المماليك .

(٢) كما في صحيح البخاري (٢٧٧٢) ، ومسلم (١٦٣٢) وهو قول ابن عمر : أَصَابَ عُمَرُ بِخَيْبَرَ أَرْضًا فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : أَصَبْتُ أَرْضًا لَمْ أُصِبْ مَالاً قَطُّ أَنْفَسَ مِنْهُ فَكَيْفَ تَأْمُرُنِي بِهِ؟ ، قَالَ ﷺ : **«إِنْ شِئْتَ حَبَّسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا»** ، فَتَصَدَّقَ عُمَرُ أَنَّهُ لا يُبَاعُ أَصْلُهَا ، وَلا يُوهَبُ ، وَلا يُورَثُ فِي الْفُقَرَاءِ وَالْقُرْبَى وَالرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالضَّيْفِ وَابْنِ السَّبِيلِ لا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ» .

(٣) تقدم الكلام عليه في باب الأسماء والصفات .

على هدايتهم ، وهم الطائفة المنصورة الذين أنعم الله عليهم ، والتي لا تزال ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة جعلنا الله تعالى منهم وكتب لنا عظم الأجور .

وجعل الله البركة في أعمالنا.

رباه رباه .. لا تجعلها صيحة في وادٍ، ولا نفحة في رماد.

فاللهم لا تجعلنا جسرًا يعبر عليه إلى الجنة ثم يلقى به بعد ذلك في النار، واستر علينا في الدارين، ومسكنا بالعروة الوثقى حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا على المنهج القويم الذي ليس فيه التباس

ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب

رباه رباه

إن عظُمت ذنوبي كثرة ... فقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فبمن يلوز ويستجير المجرم

أدعوك ربي كما أمرت تضرعًا ... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم

ما لي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم أني مسلم

اللهم عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك.

فأنت أهل ذلك، وإن كنت أنا لست أهلاً له.

ففضلك رب لا عدلك.

اجعل عملي صالحًا، ولوجهك خالصًا ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئًا.

أمتنا وزوينا جميعًا على الإسلام والسنة، وأجرنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه الأطهار

كتبه

أبو يحيى محمد بن أحمد بن عبده

بلطيم – كفر الشيخ – مصر

الفهرس